مجلة علمية مُحَكَّمة تصدر عن مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان

أديان

الإصدار ١٣ / يناير ٢٠٢٠

الأديان وخطاب الكراهية

ISSN: 7480 - 2218
ثمن النسخة: ٣٠ ريال/ ١٠ دولار

تصدر عن مركز الدوحة الدولي
لحوار الأديان
ص. ب. ١٩٣٠٩ الدوحة - قطر

http://www.dicid.org/journals.php
dicid.admin@dicid.org
dicid.news@dicid.org
http://www.qscience.com/loi/rels

مباشر: ٤٤٨٦٤٦٦٦-٩٧٤+
٤٤٨٦٥٥٥٤-٩٧٤+

فاكس: ٤٤٨٦٣٢٢٢-٩٧٤+
٤٤٨٦٩٩٠٠-٩٧٤+

GEORGETOWN UNIVERSITY
School of Foreign Service in Qatar

DICID
مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان
Doha International Center for Interfaith Dialogue

مجلة أديان (دورية علمية محكَّمة)

هيئة التحرير

- د. إبراهيم صالح النعيمي، رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان ورئيس التحرير
- د. أحمد عبد الرحيم، محرر اللغة العربية، باحث بمركز الدوحة الدولي لحوار الأديان
- د. محمادي علي محمادي، محرر اللغة الإنجليزية، باحث بمركز الدوحة الدولي لحوار الأديان

الهيئة الاستشارية الدولية

- د. رودني بلاكشيرت، قسم الدراسات الدينية والفلسفية، جامعة لاتروب، بنديغو، أستراليا
- د. ديفيد بيكويل، رئيس قسم اللاهوت والفلسفة، جامعة نوتردام، الولايات المتحدة الأمريكية
- د. جيمس كاستنغر، أستاذ الدراسات الدينية، جامعة ساوث كارولاينا، الولايات المتحدة الأمريكية
- د. إريك جيفري، أستاذ اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة ستراسبورغ 2، فرنسا
- د. عائشة المناعي، مدير مركز محمد بن حمد آل ثاني لإسهامات المسلمين في الحضارة كلية الدراسات الإسلامية، جامعة حمد بن خليفة
- د. إبراهيم كالين، أستاذ الدراسات الدينية، دكتوراه جامعة جورج واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية
- د. أوليفر ليمان، أستاذ الفلسفة والدراسات اليهودية، جامعة كنتاكي، الولايات المتحدة الأمريكية
- د. روزمير ماهموتسيهاجيتش، أستاذ بجامعة سرايفو، البوسنة والهرسك
- د. كنت أولدميدو، قسم الفلسفة والدراسات الدينية، جامعة لاتروب، بنديغو، أستراليا
- د. سيد حسين نصر، أستاذ الدراسات الإسلامية، جامعة جورج واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية
- د. إليزر سيغال، أستاذ بقسم الدراسات الدينية، جامعة كالغاري، كندا
- د. رضا شاه كاظمي، باحث، معهد الدراسات الإسماعيلية، لندن، المملكة المتحدة
- د. أرفيند شارما، رئيس قسم الأديان المقارنة، جامعة ماكغيل، مونتريال، كندا
- د. علي بن مبارك، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعي تونسي

إخراج

- حمدي بلاكيدج

أديـــان

مجلة علمية يصدرها مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان

مجلة دولية محكمة نصف سنوية، تصدر باللغتين العربية والإنجليزية، متخصصة في دراسة كافة القضايا الإنسانية من منظور الأديان، كما تركز على الحوار بين الأديان والتواصل الحضاري بين مختلف الثقافات، من خلال نشر الدراسات والأبحاث الأكاديمية المتخصصة؛ وذلك لخلق حوار فكري وثقافي تفاعلي لتناول المحور الواحد من زوايا متعددة، مما يعطي تنوعا فكريًّا وثقافيًّا يُثري المجلة ببعدٍ تعدديّ نوعيّ مبدع في مجال الدراسات الدينية.

كما توفر المجلة فضاء للتلاقي والتفاكر حول المشتركات العامة والمقاصد المشتركة للأديان، وذلك في عالم يتخلله سوء التفاهم الديني، وممارسات العنف، واختطاف التعاليم الدينية من قبل الأيديولوجيات السياسية.

﴿... لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ (المائدة: ٤٨).

تجد مجلة أديان إلهامها في الرسالة العالمية للإيمان بإلهٍ واحد، في معناها الواسع، كما أنها تسعى لمشاركة مختلف الديانات التي لها مبادىء وقيم مشتركة في داخل هذا الإطار المفهومي الواسع.

وتشجع المجلة الدراسات المقارنة والتبادلات بين الأديان بروح الحوار والاغتناء المشترك. وهدفها هو الترويج للتفاهم بين أتباع الأديان، وبدراسة واكتشاف الأسس الدينية والروحية المشتركة بينهم، وعلاقاتهم البناءة المتبادلة في الماضي، والحاضر وفي المستقبل، ودراسة وتفهم أفضل لأسباب الصراعات بينهم، والتحديات التي يواجهونها، وإيجاد سبل التعاون فيما بينهم.

كما تود المجلة أن تحيي الأفق العالمي للإسلام وتؤكد عليه، وذلك برعاية دراسات في العلاقات بين الإسلام والديانات والحضارات الأخرى في مجالات التاريخ، والفنون، والدراسات الدينية. وفي هذا أيضاً مسعى لتفعيل الخطاب الفكري في الإسلام، وذلك في إطار ارتباط تفاعلي ومثمر بين الإسلام والديانات الأخرى.

المقالات والأبحاث المنشورة في مجلة أديان هي على مسؤولية كتابها بصورة كاملة، ولا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان. وهي تُنشر في إطار حوار مستمر حول الأديان، ولا تُؤخذ بأنها تعبر عن مواقف أي منظمة راعية للمجلة.

And We have not sent you, O Muhammad, except as a mercy to the worlds

محتويات

افتتاحية العدد: الأستاذ الدكتور إبراهيم النعيمي- رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان- رئيس التحرير ٦

حوار العدد: مع سماحة مفتي أستراليا الأستاذ الدكتور إبراهيم أبو محمد ٧

الأبحاث

القيم الأخلاقية المشتركة بين الديانات التوحيدية ودورها في مواجهة خطاب الكراهية : ليليا شنتوح ١٩

الآنا والآخر في الأديان السماوية: في ضوء معادلة "نحن النعيم والآخرون هم الجحيم": الحسن حما ٣٥

دور النصوص الدينية في توجيه الخطاب للآخر؛ النصوص اليهودية أنموذجًا: وليد مسعود منصور ٤٩

المرويات الكبرى؛ من صناعة ثقافة الكراهية إلى رفض المثاقفة: مكي سعد الله ٦٣

المؤسسات الدينية: الأدوار والوظائف في مواجهة خطاب الكراهية: محمد حسين الحاج ٧٣

خطاب الكراهية في الإعلام: التحريض الديني أسبابه وحلوله: سعدية بن دنيا ٨٧

سؤال الكراهية بين الخطاب الديني والواقع البشري: قراءة في طروحات فكرية مختلفة: جميلة تلوت ١٠٣

خِطَابُ الكَرَاهِيَةِ: الأسباب الجوهرية والحلول المقترحة (من منظور الإسلام) الأستاذ الدكتور جمال بدوي / ترجمة: أحمد عبد الرحيم ١١٥

ملخص بحث (الموريسكيون.. ضحايا الاضطهاد الديني) الدكتور: محمد عبد السميع ١٢٩

السيرة الذاتية للكتاب ١٣٢

افتتاحية العدد

نضع بين يديك أيها القارئ الكريم العدد الثالث عشر من مجلة أديان، الصادرة عن مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، والذي يحمل عنوان (الأديان وخطاب الكراهية). يزخر هذا العدد بمجموعةً من الأبحاث المتنوعة في التوجه والفكر والثقافة باللغتين العربية والإنجليزية لباحثين جادين في علم الأديان.

إنه وسط ما يشهده عالمنا اليوم من اضطراب وعدم استقرار بسبب الصراعات التي تتماس أسبابها بصورةٍ أو بأخرى مع مظاهر التحريض على العنصرية والطائفية الدينية، فقد باتت ترتفع أبواق الدعوة إليها بمظاهر عدة والتي من بينها وأكثرها انتشارا وتأثيرا (خطاب الكراهية). ذلك الخطاب الذي لا ينكر أحد أن للتعصبِ الدينيِّ فيه النصيبَ الأكبر وكأنه الوقود الذي يؤججه، ويحارب فكرة الحوار والتعايش السلمي، ويشعل نيران الصراع بين الحضارات الناشئ في الحقيقة عن أفهامٍ مغلوطة، وأحكامٍ مُسْبَقة، وتصوُّراتٍ ذِهنيَّةٍ خاطئة تجاه بعضنا البعض.

ولعله لا سبيل للمواجهة الحقيقية لخطاب الكراهية؛ إلا بمواجهةِ أصلِه وتطهيرِ جذوره، تلك المواجهةُ القائمةُ على المحاجاة بالفكر، والسعيِ بكلِّ سبيلٍ- عِلمًا وعَملا- لكشفِ الضلالِ الكامن في دعوات الطائفية والعنصرية ورفض الآخر. وهذا ما جعلنا نحرص في هذا العدد من مجلة أديان أن ترتكز أبحاثه على تفصيل القضايا الفكرية المتعلقة بخطاب الكراهية ومفهومه ونشأته، وموقف الأديان السماوية منه، وأثر الخطاب الديني المتطرف في انتشار هذا الخطاب، كما تناقش أبحاث المجلة كذلك دور القيم الأخلاقية المشتركة بين الأديان في مواجهة خطاب الكراهية، وتحيط كذلك بدور المؤسسات الدينية والتعليمية في القيام بهذا الواجب. وهناك من الأبحاث التي تتناول الإعلام التحريضي وبخاصة الإعلام الديني؛ لتكشف لنا الحد الفاصل ما بين خطاب الكراهية المقيت وحرية التعبير المشروعة التي لا تتجاوز حقوق الآخرين بالتعدي عليهم، وغير ذلك من الأبحاث التي حرصنا في اختيارها- كما هو معتاد في الأعداد السابقة للمجلة- أن تكون معبرة عن مجلة أديان التي هي فضاء رحْب لكل فكرٍ ورأيٍ حر، قد نتفق معه وقد نخالفه؛ ما دام صاحبه قد طرحه بصورةٍ علميةٍ أكاديمية رصينة.

وأتمنى أن يجد القارئ في هذا العدد إحاطة كافية لأحد أهم القضايا التي تواجه عالمنا اليوم (خطاب الكراهية)، مع محاولة تقديم الحلول لها. كما نتمنى أن يجد فيه كل باحثٍ ما يثري ثقافته، ويزيد علمه، ويفتح له آفاقًا واسعةً أخرى تُضاف لكلِّ ما عرضته المجلة من قبل من مواضيعَ متخصصةٍ في الحوار بين الأديان.

الأستاذ الدكتور إبراهيم النعيمي
رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان- رئيس التحرير

حوار مجلة أديان مع

سماحة مفتي أستراليا الأستاذ الدكتور إبراهيم أبو محمد

واقع خطاب الكراهية في الغرب وسُبل مواجهته

- أديان: في البداية نود من فضيلتكم تفسيرًا لخطاب الكراهية في الغرب: ما منشأه؟ وما مدى ارتباط الدين بمثل هذا الخطاب المتطرف؟

سماحة المفتي:
خطاب الكراهية في الغرب لم يتكون بين عشية وضحاها، وإنما هو خليط تراكمات من التصريحات الإعلامية والسياسية صدرت قديما من رموز في السياسة ورموز في الإعلام وأحيانا في مراكز القرار، ثم استحياها آخرون في العصر الحديث بدوافع كانت في البداية ناشئة من الهوى السياسي ومحاولات كسب أصوات الناخبين لكنها تراكمت في الوعي العام وشكلت في النهاية لدى البعض عقدة خوف أو وسيلة استثمار سياسية للوصول إلى البرلمان حيث يتنامى خطاب الكراهية والعنصرية ضد المهاجرين عموما والمسلمين على وجه مخصوص تحت دعوى مخاوف من تغيير هوية البلاد.

أما عن جذور الصراع وتاريخ الكراهية ورموزها في الغرب فيجب أن نشير هنا إلى ظهور كتابات هيأت المناخ وصنعت بيئة للعنصرية والكراهية وقد استغلت هذه الكتابات خلو الساحة من الحضور الإسلامي بمعناه العلمي والحضاري في الغرب حيث

كانت الدنيا مدبرة عن المسلمين، وانشغل العرب بعضهم ببعض ومن ثم فقد نشأ تيار حديث في مجال البحث العلمى في الغرب يحاول التنكر لتراث المسلمين العلمي والحضاري وأثره في نهضة الغرب، كما يحاول إسدال الستار على العطاء العلمي لعمالقة الإسلام بداية بابن سينا والفارابي وابن رشد والغزالي والبيروني وغير هؤلاء.

من هؤلاء على سبيل المثال برنارد لويس ومدرسته، ثم كانت الثمرة المرة لتلك الكتابات أن ظهر في بداية هذا القرن وتحديدا في الثاني والعشرين من اكتوبر / تشرين الأول من العام ٢٠١٤ وفي مدينة "درسدن": الألمانية ما عرف بحركة "بيغيدا" أسسها شخص يدعى لوتز باخمان.. وهي حركة تجمع بين تيارات يمينية متطرفة ونازيين جدد، وجماعات مثيري الشغب في الملاعب المعروفة باسم "هوليغنز"، جمعهم العداء للعرب والمسلمين، ومن ثم فهي تؤمن بوجوب طرد المسلمين من أوروبا، لأنها تدعي أن تزايد عددهم قد يؤدي لأسلمة أوروبا في المستقبل. ثم نشأت حركة وطنيون أوروبيون ضد أسلمة الغرب، وسمعنا عن حزب الحرية النمساوي وحزب التجمع الوطني الفرنسي وحزب البديل من أجل ألمانيا، وحزب الحرية الهولندي المناهض للإسلام كما سمعنا عن أشخاص ورموز للعنصرية والكراهية مثل خيرت هليدرز في بولندا ولوبيان في فرنسا وغيرها.

وقد يكون من المفيد أن نزيد الأمر وضوحا حين يجيبنا عن منشأ هذا الخطاب فيجيبنا عليه الإرهابي الأسترالي القاتل في جريمة كرايستشيرش "برينتون تارانت" والذي ارتكب مجزرة الاعتداء على مسجدين في مدينة كرايستشرش بنيوزيلاندا يوم الجمعة ١٥ مارس ٢٠١٩ وقتل فيها ٥١ مسلما ومثلهم من الجرحي وهم يؤدون صلاة الجمعة، حيث نقلت وكالات الأنباء أن القاتل حين ذهب لارتكاب الجريمة كان يسمع موسيقي وأناشيد حماسية باللغة الإنجليزية، وأن سلاحه يحمل شارات عنصرية وتاريخية لها دلالات معينة، وقد يتساءل القارئ والمتابع للأحداث من أين جاء "برينتون تارانت" الإرهابي الأسترالي القاتل" بكل هذه الأحقاد؟ وبكل هذه العنصرية والكراهية؟ يجيب هو في سير التحقيقات أنه جمع نصوصا لمجموعة من المتطرفين اليمينيين أبدى إعجابه بهم كان على رأسهم مجموعة ممن أدينوا بجرائم الكراهية والعنصرية، ويُضيف قوله: لقد قرأت كتابات (ديلان رووف) وغيره الكثير، لكنني استلهمت الإلهام الحقيقي من الفارس جستشيار بريفيك. و"جستشيار" بريفيك لمن لا يعرفه كان لقب الرجل الثاني في القرون المظلمة في إنجلترا، وهو كبير السياسيين والقضاة ونائب الملك عند غيابه، وكانت هذه التسمية ما بين عهد وليام الأول إلى هنري الثالث (معجم كولينز). و"بريفيك" هو (أندرس بريفيك) نرويجي قتل ٧٧ شخصا.

ومن ثم فخطاب الكراهية السائد اليوم هو مزيج من التصريحات القديمة والحديثة وظفت فيه الإسلاموفوبيا لتبرير العدوان والتشويه من رموز في الساسة والإعلام وبعضهم لا زال في سدة الحكم حتى هذه اللحظة.

- أديان: لا يخفى الآن أن الأفكار التي يتغذى عليها خطاب الكراهية أصبحت تنتشر في العالم بصورةٍ مخيفة، وبشكلٍ كبير تجاه الأقليات في الغرب، تُرى ما السبب في ذلك؟ وعلى مَن تقع المسؤولية عن تأجيج مثل هذا الخطاب؟وأيضا على مَن تقع المسؤولية للتصدي له؟

خطاب الكراهية لم ينتشر لسبب واحد وإنما انتشر لمجموعة من الأسباب اختلط فيها الحق والباطل، ومن ثم حدثت الفوضى التي وفرت بيئة ومناخا لانتشار أفكار السوء التي اعتمد عليها وتغذى بها خطاب الكراهية وفي مقدمتها من "يستثمرون ظاهرة الإرهاب" "ومن يستثمرون فيها"، ومعلوم للعامة والخاصة،والجامعيين والمجمعيين أن تنظيم "داعش" وهو التنظيم الأشهر، صنعته أجهزة استخبارات عالمية، جعلت منه أسطورة وضخمته ونفخت فيه أجهزة إعلام موجه لإثارة الرعب والفزع، وكانت الإشارة واضحة في اختيار اسم التنظيم "بالدولة الإسلامية" لإحداث ارتباط شرطي بين الإسلام وبين الإرهاب، ثم لتركيز حجم الخوف من الحديث عن الإسلام كدولة ونظام،يضاف إلى ذلك كل ما هو معروف من خلال الزخم الإعلامي أن تهمة الإرهاب أضحت من أكثر التهم خطورة وهي تهمة يترتب عليها استباحة المتهمين بها استباحة تامة لذلك فقد استثمرتها أنظمة دكتاتورية قمعية أخرى في القضاء على معارضيها "فاستغلتها لتكميم الأفواه وكبت الحريات وحتى استباحة الأرواح وسفك الدماء، حتى أضحت التهمة "بالإرهاب" محل تندر وسخرية من كثرة ابتذالها واستعمالها تجاه كل معارض في الوطن العربي، ومن هنا تقع المسؤولية على من صنعوا هذا التنظيم ومكنوا له لتبرير سيطرة وبسط نفوذ دول بعينها، ويضاف إليهم ويشاركهم في الوزر السياسي كل من استثمروا الإرهاب أو استثمروا فيه .

أما الآثار والمخاطر فقد كان المستهدف الأول هو الوجود الإسلامي في مجتمعات الغرب حيث تركزت كل عوامل الخوف تجاه المهاجرين المسلمين.

وفي تصورى أن مسؤولية التصدي لخطاب الكراهية هي مسؤولية كبرى ويجب أن تأخذ حظها من الرعاية والاهتمام للأسباب الآتية:

أولا: لأنها قضية يؤثر فيها الفكر على السلوك والممارسة، ومعروف أن كل سلوك خاطئ هو نتاج لفكرة خاطئة فإذا صححت الأفكار صححت السلوكيات، وصححت الممارسة.
ثانيا: معروف أن خطاب الكراهية ناشئ عن تعصب وجه طاقة العاطفة في اتجاه خاطئ، هو اتجاه الكراهية، ومن ثم فنحن أمام مجموعة من أخطر الدوافع تأثيرا في السلوك الإنساني، ولا يكفي الجانب الأمني وحده في معالجتها، وإنما يجب أن تتقاسم مسؤوليته وتشترك في معالجته -كما أشرت - مجموعة من التخصصات تحيط بكل جوانب القضية، وتعالج كافة أبعادها الخطرة بعيدا عن الاستهانة بها أو التقليل من خطورتها.

ثالثا: خطاب الكراهية والأفكار التي تغذيه لا يجب النظر إليه كظاهرة اجتماعية فقط، فذلك تبسيط مخل، واستهانة بما يجب أن تعرف خطورته وآثاره، ومن ثم يجب النظر إليه كقضية تهديد للأمن القومي وهذا يحتم علينا أن نشرك في معالجتها كل الفئات العمال والنخب الثقافية.

- أديان: الإسلاموفوبيا من الظواهر المعاصرة التي لا تعني الشرق بصورة رئيسية، وإنما منشأها والممارسات الناتجة عنها موجودة في الغرب، والواقع الآن أنها بدأت تنتشر بشكل خطير. ما رأيكم في كيفية تعامل المؤسسات الدينية والسياسية في الغرب مع هذه الظاهرة؟ وهل ترون أنه يمكن وضع تصوُّرٍ طويل المدى أو قصير المدى لمواجهة ذلك؟

"الاسلاموفوبيا" ظاهره تتضمن الخوف المرضى من الإسلام، وبغض المسلمين إلى حد الكراهية، والتحامل ضد كل ما هو إسلامي المنشأ والميلاد، ويستغل اليمين المتطرف في أوروبا هذه الظاهرة في سياساته للتخويف من المهاجرين؛ خاصة المسلمين من أجل توسيع القواعد الشعبية والجماهيرية له، ويقدم نفسه باعتباره المدافع عن الثقافة الغربية والتقاليد والوحدة القومية فى كثير من دول أوروبا. وقد كثر الحديث عن تلك الظاهرة وانتشارها في الغرب، ونعترف بأن أساليب المواجهة في بلاد الغرب لا زالت قاصرة حتى الآن لأسباب نذكر منها:

- القصور في تقدير خطر ظاهرة "الإسلاموفوبيا". عموما حجما ووزنا وتأثيرا.

- عدم استعداد وجاهزية الكثير من المؤسسات الدينية لفم طبيعة الظاهرة بشكل خاص من ناحية.

- العجز عن مواجهة الظاهرة لعدم توفر الإمكانيات العلمية المتمثلة في الكفاءات القادرة على الصد والرد؛ لأن الاهتمام كان في البداية محصورا في بناء المساجد والمراكز الإسلامية، ولم يأخذ الاهتمام بتشييد العقول حظه من الرعاية والعناية، رغم أن الأولوية في ديننا تتوجه لبناء الساجد قبل بناء المساجد

وأمر آخر أراه مهما ويجب أن نشير إليه حتى نتلافى القصور والتقصير وهو: أن جل اهتمام الترجمة كانت لكتب في العقيدة والفقه وتبني تيارات مذهبية معينة، ومن ثم غاب عن عين الباحثين في الإسلام من غير المسلمين المصادر والمراجع والكتب التي تشرح حقائق الإسلام وتوضح الجوانب الحضارية والإنسانية والأخلاقية فيه باللغة الإنجليزية، وهذه الجوانب هي موضع اهتمام الباحثين من غير المسلمين في الغرب.

وأخيرا: كان النقص في وفرة المال لمقاضاة من ينشرون " الإسلاموفوبيا" ويرجون لها ويساعدون على تسويقها. فإذا تلافينا هذه الأسباب استطعنا أن نضع تصورا قصير المدى على الأقل في المرحلة الراهنة.

هذا بالإضافة إلي أن التصور في المدى البعيد والذى يساعد في القضاء على هذه الظاهرة وانحسارها يحتاج أيضا إلي سن تشريعات قانونية تحمي الأديان وبخاصة الإسلام من انتشار خطر هذه الظاهرة، وهذا ما نسعى إليه ونعمل عليه الآن بالاتفاق مع القيادات السياسية والدينية والاجتماعية في استراليا، وعما قريب إن شاء الله نرجو أن نكشف عن ثمرة تلك الجهود المباركة.

- أديان: من خلال الواقع الذي نشهده الآن، هل ترون أن خطاب الكراهية ينحصر في أفراد وجماعات تحمل أفكارا متطرفة، أم أنه تخطَّى ذلك الحد مما ينذر بعواقب وخيمة إن لم يتم التصدي له؟

خطورة خطاب الكراهية أنه لم يعد ينحصر في أفراد وجماعات تحمل أفكارا متطرفة، وإنما تعداه ليشمل مثلا أحزابا سياسية، ولدينا في أستراليا حزب صغير يتكون من ثلاثة أعضاء أو أربعة في البرلمان، والحال نفسه في بعض بلاد الغرب كفرنسا وإيطاليا وهولندا، وهي أحزاب ممثلة في البرلمانات، ومع الأسف هذه الأحزاب التي تتبنى العنصرية والكراهية تحظى بدعم وتأييد من مؤسسات ودول لا تريد للعالم أن يستقر ويهدأ، ومن ثم نرى أنه ومن الضروري وعلى مستوى الهيئات والمنظمات الدولية كمجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة ومؤسسات المجتمع المدني أن تؤدي واجبها في هذا الصدد، وأن تجرم خطاب الكراهية، وأن تجند لمحاربته منظومات قانونية وقضائية إن أرادت حقا حماية السلام والأمن.

- أديان: من خلال موقع لفضيلتكم الديني كمفتي لأستراليا، نود منكم بيانا توصيفيا شرعيا لما يجب عليه أن تكون علاقة المسلم مع غيره (ممن يختلفون عنه في الدين والعقيدة)، وخاصة حينما يعيش المسلم في بلدٍ غير إسلامي؟

أشكركم على هذا السؤال المهم لأنه يمنحنا فرصة لرسم الملامح والقسمات التي يجب على المسلم بين غير المسلمين أن يتحلى بها ليكون مصدر إشعاع وإشراق.

أو دعني أختار تشبيها آخر يناسب ما نعيشه ونحياه في استراليا، و وبخاصة ونحن نعاني حالة من الجفاف تهدد الحياة، عطشا، وحالة من هياج النار والحرائق تهدد الحياة حرقا، وتجعلنا - وسط هذا الدخان الذى يحجب الرؤية ويزكم الأنوف وتضيق به الأنفاس - نشعر حتى بقيمة قطرات الندى عندما ننتظرها عند الصباح الباكر، فضلا عن الماء العذب الفرات. من هنا تأتي قيمة الغيث حين نختارها تشبيها للمسلم في مجتمع المهجر.

أستأذنكم -يا سيدى – أن أشرف باستعمال عبارة النبوة الطاهرة والتي هي الأحلى والأعلى والأجمل في رسم الملامح والقسمات للمسلم بين غير المسلمين " بعبارات النبوة كاملة الوصف شكلا ومضمونا، ليكون المسلم "كالغيث" حيثما حل نفع".

المجتمع - يا سيدى - قد تتعدد فيه الأديان وتتعد فيه الأجناس وتعدد فيه الثقافات

والسخافات أيضا فكيف تنتظم الحياة بين الناس داخل هذا المجتمع؟

بعض الناس من المسلمين في مجتمع المهجر يصر على أن يكون في موقع "الآخر" وهذا الإصرار له خطورته وله ثمنه، وثمنه باهظ التكاليف، لأن "الآخر" في مجتمع المهجر هو الجحيم، كما أشرت من قبل.

وأنت هنا قد هاجرت منذ زمن، وتملكت بيتا، واشتريت قبرا، فأنت مواطن كامل المواطنة، فلماذا تشعر أنت وتشعر غيرك بأنك غريب ومختلف...؟

ثم إنك تعيش في مجتمع تخالط فيه الآخرين ولا تملك أن تختار، فأنت مثلا لا تختار زميلك في العمل، ولا جارك في المعمل، ولا رفيقك في القطار، ولا من تتعامل معهم في الشارع والنادي والبنك والمؤسسات العامة. وكل هؤلاء قد يكونون غير مسلمين فكيف تنظم علاقتك بهم؟

من فضل الله علينا أن علاقة المسلم مع غيره ممن يختلفون معه في الدين لم تترك لاجتهاد كل منا، وإنما حدد لها الإسلام أن تنطلق من أصل صحيح، هذا الأصل الصحيح يمكن أن نجمله في مجموعة من الحقائق التي يجب أن تتأكد في عقلية المسلم ووجدانه، وأن تنطلق منها رؤيته للناس فردا ومجتمعا. وهذه الحقائق هي:

كلما ذهبت إلى أي مكان من أرض الله ستجد مسلما ومسيحيا ويهوديا؛ لأن الله خلق البشر كذلك، قال تعالى: "وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ" (يونس: ٩٩).

إن الإسلام ينظر للعالم على أنه منتدى للحضارات والثقافات ومن ثم فالناس إخوة، والأجناس البشرية تتعارف لتتكامل وتتعاون وتتبادل الخبرات العلمية والحياتية ويستفيد بعضها من بعض.

إن عقائد الآخرين وديانهم مناطق مغلقة لا يجوز اقتحامها، وأنها محميات دينية لا يجوز لأحد مهما كان أن يتعدى عليها أو يجرح مشاعر أصحابها حتى لو كانت باطلة في نظرك أنت كمسلم، فقال القرآن الكريم "وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ". (الأنعام: ١٠٨) قال علماء التفسير لا يجوز سب عقائدهم ولا العدوان على كنائسهم ولا تشويه صلبانهم، لأن ذلك مما يدعوا للصراع ويبعث على الكراهية، وفي ذلك ما تعلمون حضراتكم من حماية للنسيج الاجتماعي واستبقاء اللحمة الحضارية بتنوعها صافية بغير تعكير أو تكدير.

- أديان: هناك دور كبير يبر للمؤسسات التعليمية في توجيه النشء للخطاب المعتدل وغرس قيم التعايش مع المختلفين معهم في الثقافات والأديان المختلفة. السؤال: هل ترون أن هذا الدور قائم بالفعل في المؤسسات التعليمية في الغرب؟

وما التحديات التي تواجهها المؤسسات التعليمية الإسلامية تحديدا للتعامل مع هذه القضية.

الوجود الإسلامي اليوم في مجتمع المهجر يعيش الجيل الرابع، وأبناء هذا الجيل -بحمد الله- يملؤون المدارس والجامعات ودور العبادة، وهم أيضا في ميادين العمل ملئ السمع والبصر، منهم الأطباء النوابغ بمختلف تخصصاتهم، والمهندسون البارعون في مختلف الميادين، والصيادلة الناجحون في ميدان الدواء صناعة وتجارة، ومنهم المدرسون والمحاسبون والقانونيون وأساتذة الجامعات ذكورا وإناثا، وكل هؤلاء عاشوا مراحل تعليمهم وسط غير المسلمين ولا يعرفون فروق الأوطان والأعراق والألوان، وقد يصادق الواحد منهم زميلا له سنوات دون أن يسأله من أين هاجر أباه أو أمه، فليس هذا السؤال مطروحا لديهم.

فقط تحاول بعض الصحف وبعض القنوات التلفزيونية وبعض الإذاعات، وندرة من السياسيين في مواسم الانتخابات أن تبرز تلك الفروق لغرض في نفس إبليس، حيث لا يريد للناس أن يعيشوا في سلام ووئام، لكن محاولاتهم عادة ما تبوء بالفشل ويعود بعضهم لجحره دون صيد أو غنيمة.

في المؤسسات التعليمة يحرم الحديث عن دينك وعرقك ولون بشرتك، فتلك محظورات لا يجوز الاقتراب منها فضلا عن إثارتها والمعايرة بها، من جاء قديما ومن جاء حديثا، والأبيض والأسود، صاحبة العيون الزقاء والشعر الأصفر، وصاحبة العيون العسلية والشعر المجعد، كلهم وكلهن ضيوف على أهل البلد الأصليين، وكلهم وكلهن شركاء في هذا الوطن من حيث الحريات والحقوق والواجبات وصون الكرامة الإنسانية.

والتحديات ليست في الخطاب المعتدل وغرس قيم التعايش، فهذه ليست مشكلة، وإنما التحديات في كيفية حماية المجتمع من آفات أخرى في مقدمتها العنف العائلي والمخدرات، والمحافظة على الأسرة، وأن نجنب المجتمع والناس شر الشعبوية الديموقراطية التي تخضع القيم أحيانا، وتضحي بكثير منها في سوق البازار السياسي حين يميل مع الهوى ويحيف مع الشنآن.

- أديان: لقد تابع العالم بكل اهتمام الحدث المزلزل الناتج عن الهجوم الإرهابي على مسجد كرايستشيرش في نيوزيلندا في بداية عام ٢٠١٩م، نود أن نقف مع فضيلتكم عدة وقفات عند هذا الحادث:

- ما موقف سماحة المفتي، وأنتم تمثلون الإسلام بصورة رسمية في أستراليا؟

- ما موقفكم إن كان هذا الهجوم قد وقع على كنيسة أو معبد يهودي، أو كان الذي قام به شخص مسلم؟

- تعلمون أن منفذ هذا الهجوم الإرهابي شخص (أسترالي)، فهل مثل هذا الشخص وما يحمله من أيديولوجية

وأفكار متطرفة ومعادية للإسلام، هل يمثل الحال الأغلب في أستراليا، أم أنه صوت شاذ عن طبيعة المجتمع الأسترالي؟

- ما هي الانعكاسات التي رأيتموها بعد هذا الحادث؟ وهل ترون من إيجابيات يمكن أن تنشأ عنه لبناء مجتمعات تتعايش بسلام مع بعضها البعض؟

عن موقفنا الرسمي أقول: " إن سؤال ما قبل الختام مهم، ويحتاج إلى بسط في القول وقسط في التحليل والتدليل، وبما أنه حديث الذات عن الذات فسأحاول الاختصار والاختزال، وأرجو أن تعذروني:

أولا: عند سماع الخبر الأول للكارثة لم تكن المعلومات المنشورة عبر وكالات الأنباء واضحة أو مفصلة، كان التعتيم والغموض يحيط بها، وشعرت أن محاولات إعلامية تحاول طمس معالم الفاعل وتغطية قبحه وجريمته وتحاول تقديم الحدث على أنه جريمة عادية، والاتصالات بمكان الجريمة لم يكن متاحا بأي شكل، بمعنى أنه كانت هناك محاولات "للطرمخة " وقد بادرت مباشرة بمجرد إحساسي بهذا الأمر بعد سماع الخبر وصرحت للإعلام في تلفزيون" SBS" وغيره من القنوات والإذاعات بأني أحس بمحاولات إعلامية للطرمخة، وأحذر من ذلك بشدة، ولا يجوز أن نتعامل مع جرائم الإرهاب بازدواجية في المعايير.ثم تبين بعد ذلك أن الجريمة كانت أكبر من أن يخفيها ولا حتى شيطان، بعدها جاءنا مفوض الشرطة ومعه كل القادة ليؤدي واجب العزاء وبعدها جاءنا رئيس الوزراء ومعه وفد مكون من وزيرة الخارجية ووزير الهجرة وبعض أعضاء البرلمان .

وأذكر يومها أنني قلت كلمة هذا نصها: " قبل الترحيب بالسيد رئيس الوزراء سكوت موريسون والوفد المرافق له أخاطب زملائي العلماء والأئمة، أرجو أن نتصرف في هذا الحدث الجلل والمصيبة الكبرى بشكل حضاري يليق بديننا وأخلاقنا كمسلمين، أرجو أن نتصرف لا كعلماء وأئمة فقط، وإنما كرجال دولة يمارسون دورهم كمسؤولين"

.

أيها السادة:

أعرف أن درجة الغضب عند شبابنا قد وصلت إلى القمة، لكن مهمتنا كقادة هو إطفاء الحرائق وليس إشعالها هذا أولا..

- ثانيا: أرحب بالسيد رئيس الوزراء والسيدة وزيرة الخارجية الأسترالية والسيد وزير الهجرة والصديق النائب والوزير كريك لاندي وبقية المرافقين، ونؤكد أننا يد واحدة في مواجهة العنصرية والكراهية والحض على الإسلاموفوبيا وتخويف المجتمع من المسلمين، لكن الأمانة الوطنية تحتم علينا أن نقول الحقيقة أن هذا الفاعل المجرم مشاعره لم تتكون بالأمس فقط، إنما تكونت من حشد سياسي وكراهية ضد المسلمين من بعض الرموز الإعلامية العابثة وبعض كبار السياسيين .

و- إذا كانت مهمتكم هو تحقيق الأمن المادي فمهمتنا هو تحقيق الأمن المعنوي، ولن يتحقق كلاهما إلا بتحقيق العدالة بقانون موحد ليس فيه إزدواجية معايير، فهذا الحدث لو قام في جالية أخرى غير الجالية الإسلامية لقامت له الدنيا بأسرها..

- سؤالي للمسؤلين ومعنا كبارهم، كم يكفي من الدماء ليصدر قانون يحمي الإسلامية كما يحمي السامية ..

- أرفع صوتي إلي جميع المسؤولين في نيوزيلندا، ممنوع دفن الموتى في مقابر فرادى، لابد من مقبرة جماعية توثق هذا الحدث الذي يشكل وصمة عار على جبين الإنسانية ..

أطالب بجنازة رسمية ومقبرة جماعية توثق كل الشهداء وتذكر الحدث لنتذكر دائما لأنه إذا كانت الذاكرة الإنسانية تستدعي أحداث امن الماضي فمن الأجدى أن توثق الذاكرة الإنسانية ما حدث بالأمس ..

- أُذَكِّر بما بدأت به وأنا منفعل .. أنا منفعل وغاضب، وغضبي ككل الغاضبين _موجها كلامه للحاضرين_ أنتم صمام الأمان وهذه بلدنا، لا نريد أن يحدث فيها ما يخدش قلامة ظفر لمواطن واحد بصرف النظر عن دينه أو خلفيته أو متى جاء ومن أين ..

- أُذَكِّر أيضا من يعيروننا أننا مهاجرون أذكرهم بأن الحقائق التاريخية الثابتة تؤكد أن الوجود الإسلامي هنا في أستراليا كان قبل وجود الرجل الأبيض .. كما أؤكد للذين لا يريدون أن ينظروا في الواقع أن الوجود الإسلامي ليس عالة على أحد وإنما الوجود الإسلامي هو إضافة أخلاقية وإضافة حضارية وإضافة علمية في المجتمع الأسترالي ..

- أُذَكِّر أيضا الذين نسوا التاريخ أننا أمة ننطلق من رصيد حضاري ضخم، وقد كنا يوما "ما" العالم الأول، ونحن من نقلنا الثقافة والحضارة إلى أوروبا عن طريق الأندلس، ونحن من قدمنا سقراط وأرسطو الى العالم برغم اختلاف الدين والثقافة واللغة، ولولا الثقافة الإسلامية وحضارة المسلمين ما عرفت الدنيا ولا عرف العالم سقراط وأرسطو.

ب)نؤكد في البداية أن العدل لا يتجزأ، وأن احترام الإنسان لنفسه يتطلب أن يكون المرء متسقا مع فكره ومعتقداته، وأن الإنسان بنيان الله ملعون من قتله، وفي هذه الجريمة لا فرق بين قاتل وقاتل ولا بين ضحية وضحية، وديانة القاتل أو القتيل لا دخل لها في تصنيف الجريمة، وقد حدث بالفعل عام ٢٠١٦ وقبل مجزرة نيوزيلاندا أن قتل كاهن ذبحا في عملية احتجاز رهائن في كنيسة في سانت إتيان دو روفريه في شمال غرب فرنسا وبعد سماع الخبر قمت بإدانة الجريمة في بيان رسمي، ثم توجهت ومعي وفد من

العلماء والأئمة المسلمين بتقديم واجب العزاء والمواساة للصديق الفاضل الأرشي بيشوب الدكتور أنتوني فيشر الرجل الأول في الكاتدرائية الكاثوليكية في سانت ميرى بمدينة سدني وبالمناسبة كان القاتل مسلما. كذلك الحال عندما تم الاعتداء على معبد يهودي، وقد علمنا الإسلام أن عقائد الآخرين محميات طبيعية لا يجوز العدوان عليها أو التجاوز في حق أصحابها ومن ثم فنحن لا نعرف هذا التميز الإيجابي منه والسلبي لأننا نؤمن أن الناس رجلان أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق ولا يصح أن يكون اختلاف الناس في الدين سبب للتمييز في الحقوق والواجبات.

ج) الإرهابي "برينتون تارانت" مرتكب جريمة مسجد النور ومركز لينوود في كرايستشيرش لا يمثل المجتمع الأسترالي في قليل ولا في كثير، وإن كان يحمل الجنسية الأسترالية، هو فقط صوت شاذ ونموذج لحالات العمى الإرادي والجنون الذي يصيب بعض المنتسبين لليمين المتطرف، والقاعدة أن مجتمعنا الأسترالي بألف بخير، ونحمد الله على ذلك، ووجود بعض حالات الشذوذ عادة يثبت القاعدة ولا ينفيها، كما أن بشاعة الجريمة لا يجب أن توقعنا في خطيئة التعميم .

د) بعد الحادث الأليم الذى وقع في كراستشيرش رأينا أبناء المجتمع جميعا يصطفون ضد الإرهاب، ويعلنون تضامنهم مع أسر الضحايا والجرحى، وقد كان موقفا مؤثرا جدا عندما قررت كل النساء في نيوزيلاندا أن يرتدين الحجاب تضامنا مع النساء المسلمات، وقد رأيت بعض تلميذات المدارس الثانوية في مباراة رياضية وهن يدخلن الملاعب باللباس الإسلامي، والحال نفسه مع كل النساء اللائي يعملن في الشرطة والمستشفيات والمؤسسات العامة، ذلك فضلا عن مشاعر الناس عموما وهم يحاولون إرضاءنا ويعبرون عن اعتذارهم بدموع صادقة ويقولون" هذا الإرهابي ليس منا" ولعل الدنيا كلها والعالم بأثره في طول الأرض وعرضها قد رأي أيقونة نيوزيلاندا والعالم رئيسة الوزراء "جاسيدا" ومواقفها الإنسانية التي ساعدت على تضميد الجراح وتلطيف المشاعر، ونزع كل فتيل ثارات الانتقام والغضب التي سيطرت على كثير من الناس وكان يمكن أن تحدث حريقا لا يعلم خطره وشره إلا الله .

- أديان: أخيرا تعلمون أن هذا الحوار مع فضيلتكم يتزامن مع مؤتمر الدوحة الرابع عشر لحوار الأديان، والذي يرتكز موضوعه على مناقشة (الأديان وخطاب الكراهية)، برأيكم ما مدى أهمية مثل هذه المؤتمرات الدولية والتي تجمع قادة من علماء الأديان والمفكرين والأكاديميين من مختلف أنحاء العالم؟ وكيف يتم تفعيل مثل هذه الحوارات؟ وكيفية الاستفادة منها في مواجهة خطاب الكراهية؟

أولا: أقدم كل الشكر والتقدير لدولة قطر على تبنيها لتلك المؤتمرات وأثمن الدور

الحضاري لمركز الدوحة لحوار الأديان وجهود كل القائمين عليه بداية بالمثقف الكبير الدكتور إبراهيم النعيمي وأهنئه على اختياره لفريق العمل الذى يعمل معه بكفاءة واقتدار يتناسبان مع دور دوحة الخير وما تقوم به من جهد علمي وثقافي يحفظ للأمة ما تبقي فيها من إرث حضاري ويحفظ للعروبة ما تبقى فيها من شموخ وإباء .

ثانيا: هذه المؤتمرات بحجم الحاضرين فيها تشكل مخزونا ثقافيا تتراكم فيه الخبرات حول الذات والآخر، وتتلاقح فيه الرؤي والأفكار والتصورات والطروحات لتشيد بنيان الثقة بين القيادات والأجيال والأديان والقادة، وتدفع بالمؤتمرين والمتابعين لمواكبة ركب السلام وتخلق بيئة تحتضن الحب في مواجهة الكراهية وتحتضن التسامع في مواجهة التعصب وتعالج أمراض العنصرية والطائفية بروح الأخوة الإنسانية التي ترفع من قدر الإنسان وتحمي حريته وكرامته وتشجعه على ممارسة دوره الإيجابي في حماية العدل وصناعة السلام على الأرض .

ثالثا: أقترح على قيادة المؤتمر أن يتم تشكيل لجنة دائمة تتبنى متابعة مقررات تلك المؤتمرات ويتم من خلالها طرح رؤية جديدة للعلاقات الدولية والإنسانية تكون بديلا عن نظرية صراع الحضارات وتعمل على تكوين تحالف جديد بين قادة الأديان وأصحاب فعاليات التأثيروصياغة الرأي العام تستهدف تعميق البحث العلمي في إطار جهود مشتركة للوصول إلى نتائج تدعم أسس التعايش وتبنى جسورا للعلاقات الإنسانية تقوم على العدل والمرحمة، وتدعو إلى التعاون على سلامة البيئة ومحاربة الأمراض الخطيرة، وتفكك الأسرة، وانحراف الأطفال، ومقاومة كل الآفات والأوبئة التي تهدّد سلامة الفرد والجماعة.

رابعا: بقي أن نذكر بأن مساحات ثقافية شاسعة وحقول علمية واسعة يمكن للسلام أن يكتسبها وأن ينقص بها مساحات الحرب والكراهية والتعصب من أطرافها، لو كفت بعض الدول العربية عن عدائها للإسلام الحقيقي، وتوقفت عن التدخل والتحرش والإفساد بين المسلمين الذين يعيشون في الغرب.

وفي الختام:

أعرف أن للحق امتدادا في عمق الزمان والمكان.وأن للباطل أيضا امتدادا في عمق الزمان والمكان، ومن ثم فالصراعات بين الحق والباطل جولات، تنتهي كل جولة لصالح الطرف الذي يكون ولاؤه لقيمه أعظم، وتمسكه بمبادئه أقوي، وخدمته لفكرته أكثر ذكاء وعلما. وأحسب أن ثقتنا في الكفاءات والقدرات التي تدير مثل هذه المؤتمرات تؤهلنا أن نلتزم جميعا بأن نكون من الفريق الأول والذى لن تخلو الأرض أبدا من قائم لله بحجة فيها.

أجرى الحوار:

أحمد عبد الرحيم

القيم الأخلاقية المشتركة بين الديانات التوحيدية ودورها في مواجهة خطاب الكراهية

الدكتورة
ليليا شنتوح

تعيش البشرية في الآونة الأخيرة تطرف أعمى يقوده خطاب الكراهية فتك بحياة الكثير من البشر من مختلِف أتباع الديانات في أصقاع المعمورة بين هجمات إرهابية، وتفجيرات تجاوزت حدود الوجدان والعقل وطالت المساجدَ والكنائسَ ودورَ العبادة، ولم يسلمْ منها الأطفال والنساء والشيوخ، والأصل في الثقافات التي تقوم على وحي منزل من الله تعالى على أنبيائه ورسله عليهم السلام، واستمدت قيمها الأخلاقية من أصول الأديان، هو التلاقي ونبذ الكراهية بمختلف أنواعها، والدعوة إلى الأمن والسلام والمحبة والتسامح.

ونظرا لخطورة خطاب الكراهية في واقعنا المعاصر كونه يشكل تهديدا واعتداء على الوجود السياسي والاجتماعي والاقتصادي للدول في العالم، فقد أردت البحث في هذا الموضوع، محاولة الإجابة عن مجموعة من الأسئلة هي: ماهي القيم الأخلاقية المشتركة بين الديانات التوحيدية؟ وأخيرا كيف يمكن استغلال هذه القيم في سبيل

التصدي لخطابات الكراهية المعاصرة؟. هذا ما سنحاول بيانه من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: القيم الأخلاقية في الأديان التوحيدية.

المحور الثاني: موقف الديانات التوحيدية من الكراهية.

المحور الثالث: أسباب انتشار خطاب الكراهية بين الديانات الإبراهيمية.

المحور الرابع: آثار خطاب الكراهية بين الديانات التوحيدية على المجتمعات.

المحور الخامس: سبل تجاوز خطابات الكراهية بين الديانات.

المحور الأول: القيم[1] الأخلاقية في الأديان التوحيدية

١. القيم الأخلاقية في اليهودية:

كثيرا ما نجد في نصوص التناخ إعلاء من شأن القيم الأخلاقية، والتأكيد بأنها معيار الخيرية والقرب من الله، قال الرب الإله مخاطبا شعبه :" قفوا على الطريق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الصالح وسيروا فيه فتجدون راحة لنفوسكم "[2]، ودعت النصوص المقدسة والتقليد اليهودي إلى إحسان الصلة بالآخرين بالعدل و الرحمة و طيب النفس، جاء في سفر الأمثال عن الرب الإله:" لا تدع الرحمة والحق يتركانك، تقلدهما على عنقك، أكتبهما في لوح قلبك فتجد نعمة وفطنة صالحة في أعين الله والناس" [3]، وقال:" إني أنا الرب المجري الرحمة والحكم والعدل في الأرض"، وفي سفر اللاويين يأمر الرب شعب اليهود بعدم التسلط بالعنف فيما بينهم فيقول:" أما إخوتكم من بني إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف.."[4]، بل وينهى الرب الإله عن هضم حقوق المستضعفين من الأجراء، ويسوى في ذلك بين اليهود والغرباء:" لا تظلم أجيرا مسكينا من إخوتك، أو من الغرباء في أرضك في أبوابك في يومه تعطه أجرته." [5]

و مصدر القيم الأخلاقية في الديانة اليهودية هو الله أويهوه، المصدر المشرع لكل القوانين، جاء في سفر إرميا يجب أن تكون مقدسا، لأن الله مقدس.." [6] وهم بتمثلهم هذا إنما يتخلقون بأخلاق الله، وإن كانت هناك بعض النصوص الأخرى التي تدعو إلى عكس هذه القيم، ولكننا لن ندرجها لأننا بصدد الحديث عن القيم الأخلاقية المشتركة بين الديانات التوحيدية.

٢. القيم الأخلاقية في المسيحية:

تبرز القيم الأخلاقية في الديانة المسيحية بخاصة في خطبة المسيح على الجبل والتي

١ - لم يستخدم علماء الإسلام الأوائل مصطلح القيم بالمعنى الدلالي المعاصر، وإنما استخدموا مصطلحات أخرى كالشمائل والفضائل، والأخلاق والآداب، وهي تشمل مؤلفات كثيرة من مجالات الحياة.

٢ - إرميا ٦ : ١٦.

٣- أمثال: ٣/ ٣ ، ٤.

٤- اللاويين :٢٥.

٥ - سفر التثنية : ٢٤/ ١٤-١٥.

٦ - سفر ارميا

تعد قمة في المعاني المثالية، حيث قال فيها: (طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات، طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض، طوبى للجياع والعطشى إلى البر، لأنهم لا يشبعون، طوبى للرحماء، لأنهم يرحمون، طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون)[7].

ونلمس في هذه التطويبات دعوة المسيح إلى الرحمة والسلام والمحبة بين البشر ومحاولة اضفاء معاني سامية لتغيير شامل في النفس الإنسانية يؤثر على السلوك الفردي والاجتماعي لأتباعه.

ويوصي يسوع بمحبة الله والناس في مواقف أخرى فقال:" المحبة لله والمحبة للقريب" يتعلق الناموس كله والأنبياء.[8] كما وصف بولس الرسول المحبة في أنشودته بأنها أعظم الفضائل في الحياة، ومحبة الله في المسيحية ليست مجرد عاطفة أو مشاعر بل هي أسمى من ذلك، وتتجلى ليس في طاعة أوامر الله فحسب بل أيضا في صيانة وصياه والدفاع عنه فالذين يحبون الله يكرهون الشر[9].

واشتملت الرسائل والأناجيل على مبادئ التسامح في أجلى صورها، جاء في رسالة أفسس:" كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوفين متسامحين كما سامحكم الله أيضا في المسيح" [10]، وورد في الإنجيل:" لقد قيل لكم من قبل أن السن بالسن، والأنف بالأنف، و أنا أقول لكم: لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الأيمن فحول إليه الخد الأيسر، و من اخذ رداءك فأعطه أزارك وإن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين" [11]، وهنا يبدو التسامح حتى فوق طاقة البشر، وهكذا نجد المسيحية تدعو للمحبة و الرحمة و التسامح، و السلام..

٣. القيم الأخلاقية في الإسلام:

القيم الأخلاقية في الدين الإسلامي جزء من منظومة متكاملة، يقصد بها إضفاء معاني أخلاقية في الحياة الناس، بما يتوافق مع فطرة الإنسان، والغاية التي خلق من أجلها الإنسان، تستوعب حياته كلها، من جميع جوانبها إن على المستوى الفردي أم على المستوى الاجتماعي، أو على مستوى العلاقات الدولية في وقت السلام والحرب على حد سواء.

ومن المبادئ الأخلاقية في القرآن الكريم، اعتبار الناس كلهم مهما اختلفت أعراقهم وأنسابهم وبيئاتهم في مستوى واحد من الكرامة والحرية الإنسانية، ولا يتفاضلون بعد ذلك إلا بما يحرزه كل منهم من السبق بسعيه في ميدان الجهد الإنساني المفيد قال تعالى:﴿ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

٧- متى: ٥: ٥-٣٩.

٨ - متى: ٢٢-٤٠ مرقس ١٢- ٢٨-٣٤.

٩- دائرة المعارف الكتابية، ج٣، ص ٧.

١٠- أفسس : ٤ : ٣٢.

١١- إنجيل لوقا : ٦: ٢٩.

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١٢].

ويدعو القرآن الكريم في العديد من السور القرآنية إلى مجموعة من الفضائل الأخلاقية مثل العفو والتسامح والرفق والمحبة والصلح بين الناس، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٣].

ومن هنا نجد أن مصدر القيم الأخلاقية في الديانات التوحيدية هو الله تعالى، ويكاد يكون هذا الفهم المشترك بين المتدينين من الديانات الثلاث هو بيان لعلاقة المطلق الإلهي(الله) بالنسبي البشر، التي تنتج القيم السلوكية التي تترتب عن هذا الاختيار للوصول إلى الخير.

وإذا كانت الأديان التوحيدية قد دعت في مجملها إلى المحبة والسلام والأخوة والتسامح.. فما هو موقفها – يا ترى-من خطابات الكراهية المنتشرة في كل مكان؟

المحور الثاني: موقف الديانات التوحيدية من الكراهية.

١. في اليهودية:

تدعو الديانة اليهودية إلى نبذ الكراهية بين المجتمعات التي عاشت بين ظهرانيها مثل الآدوميين [١٤] و المصريين، واعتبرت الرابطة التي تجمعهم بهم هي رابطة الأخوة ورابطة الإقامة معهم في أرضهم، فقد ورد في سفر التثنية:" لاَ تَكْرَهْ أَدُومِيًّا لأَنَّهُ أَخُوكَ. لاَ تَكْرَهْ مِصْرِيًّا لأَنَّكَ كُنْتَ نَزِيلًا فِي أَرْضِهِ" [١٥].
ومن هنا طالبت الديانة اليهودية بحسن معاملة الضيوف الغرباء وعدم كراهيتهم واستعبادهم، وهو ما ورد في سفر الحكمة:" إذا كانت معاملتهم للضياف أشد كراهية، فإن أولئك أبوا أن يقبلوا غرباء لم يعرفوهم، أما هؤلاء فاستعبدوا أضيافا قد أحسنوا إليهم"[١٦].

وبالنسبة للكلام والخطاب الطيب فقد أمر الرب الصديقين أن يتكلموا بالكلام الحسن والخطاب الحكيم الحق، فقال:"الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد، فم الصديق يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالحق شريعة إلهه في قلبه"[١٧]. فالكلمة الطيبة تدخل السرور في القلب جاء في سفر الأمثال،". والكلمة الطيبة تفرحه.."[١٨]

١٢- سورة الحجرات، الآية ١٣. ٤٦٧.
١٣- سورة آل عمران، الآية ١٣٣-١٣٤.
١٤- الآدوميون : هم أحفاد عيسو الذي لقب بآدوم، كانوا يسكنون المنطقة الواقعة بين جنوب فلسطين وخليج العقبة.
انظر: بطرس عبد الملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، ص٢٩، وصبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، المدقق: الأب جان كوربون،ط٢، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٨م، ص٢٥.
١٥- سفر التثنية ٢٣-٧
١٦ - سفر الحكمة: ١٩ :١٣.
١٧ - مزمور: ٣٧ / ٢٩ ، ٣٢.
١٨ - سفر الأمثال: ١٥ : ٢٣.

والكراهية في اليهودية سم يدمر من الداخل، وينتج عنه مرارة تأكل القلوب والأذهان. لهذا قال الرب الإله في سفر العبرانيين يجب ألا نسمح "لجذر المرارة" أن ينبت في قلوبنا.[١٩]

كما نهت الشريعة اليهودية على البغض والحسد والانتقام وكلها مظاهر للكراهية من الجانب النفسي و السلوكي: "لا تبغض أخاك في قلبك انذارا تنذر صاحبك و لا تحمل لأجله خطيئة لا تنتقم و لا تحسد على أبناء شعبك بل تحب قريبك لنفسك " [٢٠]، بل وكرهت في القيام بأفعال مشينة للغير لا يقبلها الإنسان اليهودي على نفسه،:" كُلُّ مَا تَكْرَهُ أَنْ يَفْعَلَهُ غَيْرُكَ بِكَ فَإِيَّاكَ أَنْ تَفْعَلَهُ أَنْتَ بِغَيْرِكَ"[٢١].

٢. في المسيحية:

ترفض المسيحية مبدأ العنف والكراهية من جذوره، يقول السيد المسيح:" اجعل سيفك في غمده، لأن كل ما يؤخذ بالسيف بالسيف يهلك" [٢٢]، ويقول السيد المسيح على لسان الرسول متى:" أحبوا أعداءكم باركوا لأعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطرونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنه يشرق شمسه على الأشرار و الصالحين و يمطر على الأبرار و الظالمين"[٢٣].

ونجد السيد المسيح يرفض البغض، و الإساءة للغير حتى مع العدو، و يمقت الغضب والعنف على أنواعه الجسدي و الكلامي، فيقول في ذلك أيضا:» سمعتم أنه قيل لآبائكم: لا تقتل، فمن قتل يستوجب حكم القاضي، أما أنا أقول لكم من غضب على غيره باطلا أستوجب حكم القاضي، ومن قال لغيره، يا أحمق أستوجب حكم المجلس، ومن قال له: يا جاهل أستوجب نار جهنم " [٢٤]، فهذا تصريح واضح و صريح على لسان المسيح، بضرورة عدم استخدام أي خطاب فيه الانتقاص من الآخر أو الإساءة إليه أو الازدراء به،، وجعل حكم من يفعل ذلك نار جهنم، ونعثر من جهة أخرى على نص لبولس الرسول يدعو فيه إلى الحوار والكلام الطيب فيقول:" ليكن دائما كلامكم كل حين بنعمة، مصلحا بملح..فتعرفوا كيف ينبغي لكم أن تجيبوا كل إنسان"[٢٥]،

وتعتبر المسيحية الشتم والإهانة للآخرين في قوائم الخطايا التي تشير إلى السلوك غير المسيحي[٢٦] وهو ما أشار إليه بولس أيضا في رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس حينما قال:"وأما الآن فكتبت إليكم: إن كان أحد مدعو أخا زانيا أو طماعا أو عابد وثن أو شتاما

١٩- عبرانيين ١٢: ١٥.
٢٠- سفر التكوين ٥٠- ٢٠-٢١
٢١- سفر طوبيا ٤-١٦
٢٢- انجيل يوحنا: ١٨ : ١١.
٢٣- متى ٥- ٤٤-٤٨.
٢٤- متى: ٥- ٢١.
٢٥- ١ كو:٥ : ١١
٢٦- فيرلين د. فيربروج: القاموس الموسوعي للعهد الجديد، ط١، مصر: مكتبة دار الكلمة، ٢٠٠٧م، ص٤٠١

أن لا تخالطوا ولا تأكلوا "[٢٧] معنى لا تخالطوا هؤلاء الناس ولا تأكلوا معهم.

ومن هنا كانت المسيحية الأصلية سلمية ومسالمة بوضوح في التقليد للمسيح يسوع إلى حد الاستسلام وطلب الشهادة، وترفض أي سلوك عدواني حتى لو كان من أجل الدفاع عن النفس.

٣. في الإسلام:

كان الإسلام منذ البداية حريصاً على نبذ الكراهية ونشر ثقافة السلام والحب سواء بين المسلمين مع بعضهم البعض أو مع غيرهم من الأمم، وقد انعكست ثقافة الحب والتواد في تصرفات المسلمين وفي إقبال غير المسلمين على اعتناق هذا الدين الذي يحث على التراحم حتى مع الأعداء، ولابد من التنبيه في مسألة خطاب الكراهية أن القرآن الكريم فرق بين خطابين: خطاب الكلمة الطيبة:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾[٢٨]، وخطاب الكلمة الخبيثة: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[٢٩]، وهكذا ميز القرآن الكريم بين نتائج الخطاب الطيب وآثاره وبين نتائج الخطاب الخبيث و آثاره. وقد جاء خطاب القرآن الكريم يدعو إلى العودة للقيم المشتركة و إلى الكلمة المتفق عليها قال تعالى:﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا﴾ والكلمة كقيمة قائمة بذاتها أو كقيمة مرجعية للتواصل والحوار والمناظرة و الجدال، فالخطاب الهادئ الطيب إذن هو الجسر الذي يربط بين الناس رباطا قويا متينا، عكس الخطاب السيء الذي يعمق الفجوات بين البشر، و يحول حياتهم إلى جحيم من الأحقاد التي ليس لها قرار.

بل إن الخطاب القرآني يأمر المسلمين أن يقولوا لأهل الكتاب ولغيرهم من الناس القول الحسن، فقال:﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣٠]، وقال:﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ والكلمة الطيبة و القول الحسن لا ينفيان الاختلاف بين الناس في معتقداتهم و أجناسهم و ألوانهم، لأن الاختلاف في الرأي أو في الهوية أو في العقيدة أو في اللون لا يفسد للود قضية، كما يقال بل يساعد على توليد الجديد من الأفكار وعلى الاجتهاد لإيجاد الحلول للمشكلات والمعضلات، وهما الغائب الأكبر اليوم في العلاقات البينية الدولية، ومن ثمة أصبحت هذه العلاقات تفتقد إلى عنصر التعارف والحوار الإيجابي.

وفي السنة النبوية ما يبين خطر تفشي الكراهية بين الناس وأنه طريق مخالف للهدي النبوي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا

٢٧- Jean Flori, Religions et liberté Religieuse , Conscience et liberté, la diffamation et liberté religieuse ,2010 ,p11.

٢٨- سررة إبراهيم: الآية ٢٤.

٢٩- سورة إبراهيم: الآية ٢٦.

٣٠- سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا"[٣١]. ففي هذا الحديث نهي عن الكراهية و البغض بين الأفراد، وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده الخلفاء الراشدين قواد الجيوش أن يراعوا مبادئ الأخلاق الحسنة وأن يستوصوا بأهل الذمة خير.

وهكذا بات واضحا أن نبذ الكراهية والدعوة إلى المحبة والتسامح مطلب إنساني نبيل دعت إليه الأديان التوحيدية كافة، كيف لا تدعوا إليه، وقد أرادته الحكمة الإلهية واقتضته الفطرة الإنسانية، واستوجبته النشأة الاجتماعية وفرضته المجتمعات المدنية والإنسانية، ونحن نتساءل هنا إذا كانت الأديان الإبراهيمية قد دعت في مجملها إلى المحبة والسلام ونبذ الكراهية بين الأفراد والمجتمعات، فما هي أسباب انتشار خطابات الكراهية بين أتباع هذه الديانات في مختلف بقاع العالم؟

المحور الثالث: أسباب انتشار خطاب الكراهية بين الديانات الإبراهيمية

يعود سبب انتشار خطاب الكراهية في الأغلب الأعم إلى اعتقاد المؤمنين في كل الأديان بكمال معتقداتهم، وبالتالي أفضليتهم على الآخرين، وباعتبار سلوكهم في أعلى مراتب الكمال، مهما يكن وضعهم الحضاري، ومهما تكن درجتهم في سلم الرقي الاجتماعي[٣٢]، و تغييب ثقافة التعارف بكل محمولاتها وامتداداتها التي عبر عنها القرآن الكريم بقوله:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [٣٣].

ومع مرور الزمن توارث الأجيال، ولا تزال تتوارث ثقافة الهمز واللمز وخطاب التنابز، و كأنها المعبر الوحيد و النهائي عن صورة الآخر، و هي موروثات ساهمت بلا شك في سيطرة خطاب الكراهية على العلاقات بين الأديان والثقافات و الحضارات، و ساد كم كبير من النعوت القدحي المتبادلة بين أمم المسلمين و الأمم الغربية، و طغى التراكم السلبي في التعامل الحضاري بين الأمم[٣٤].

كما أن هناك سبب آخر وهو ما تبثه وسائل الإعلام الغربية و بعض مواقع التواصل الاجتماعي حول بعض الديانات، واعطائها صورة مغلوطة حولها، مما يزيد من انتشار ثقافة الكراهية بشكل كبير و خطير جدا.

كما أن هناك عامل آخر وهو يعد في رأينا سببا رئيسيا في تفشي هذه الظاهرة وهو ما يدرس في كتب التاريخ في بعض الدول الغربية حول بعض الأديان، ومنها الدين الإسلامي انطلاقا من رؤيتها إلى ذلك الدين، غير أن تلك النظرة تخضع لمغالطات وايديولوجيات تلك الدول خضوعا تاما لا مجال فيه لوجهة نظر أخرى،

٣١- أخرجه البخاري: صحيح البخاري، ج٨، ص١٩، رقم الحديث ٦٠٦٤، وأخرجه مسلم : الصحيح، ج٤، ١٩٨٣، رقمه ٢٥٥٨.

٣٢- Vernette J Les sectes collection que , Paris,PuF1990 p15

٣٣- سورة الحجرات: الآية ١٣.

٣٤- علي الإدريسي الحوار الإسلامي المسيحي الغربي بين مقتضيات النصوص و الممارسات العملية، كتاب الإسلام في مواجهة العنف، ص٣٦٨.

والنتيجة العامة من ذلك هو انتشار مشاعر الكراهية و الحقد، و الفرقة بين الدول و الشعوب، بل اللجوء إلى منطق التطهير العرقي و الإبادة الجماعية مثلما حدث في مينمار و نيوزلندا وغيرهم.

المحور الرابع: آثار خطاب الكراهية بين الديانات التوحيدية على المجتمعات

الكراهية منبع كثير من الرذائل والقبائح، وهي تحمل الإنسان على الظلم والعدوان واستباحة الحقوق، دون أدنى شعور بالندم أو تأنيب الضمير، وتزداد مساحة الكراهية بين الناس في الديانات التوحيدية مع زيادة مساحة الجهل بينهم. فكثيرًا ما يكره الإنسان شيئًا، ثم ما يلبث أن يدرك أن كراهيته لم تكن سوى نتيجة لانسياقه وراء جهله، وهو ما يحدث الآن بين بعض أتباع الديانات، ومن تلك آثار نذكر ما يلي:

١. الآثار النفسية:

يؤثر خطاب الكراهية على قطاعات واسعة من الناس ويجعلهم يشعرون بعدم الأمان والضعف والعزلة والاستبعاد والتهديد، علاوة على أنه ينزع صفة الإنسانية منهم، ويهين ويقوض كرامتهم وله آثار خطيرة حتى على الصحة العقلية للأشخاص، يقول السيد المسيح متحدثا عن حياة الشخص الذي يبغض الآخرين:" إن من يبغض أخاه فهو في الظلمة وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه"[٣٥]، وخطاب الكراهية في غالب الأحيان يؤدي إلى العنف والتطرف وتهديد المجتمعات وزيادة الانقسامات الداخلية لديها، ويكفي أن ندلل على ذلك بالحالة النفسية السيئة من القلق و الخوف والصدمة النفسية التي وصلت إليها عائلات ضحايا كنائس سري لانكا ومن شاهد منهم الحدث[٣٦]، والأمر نفسه للمسلمين في ألمانيا يقول أيمن مزيك رئيس المجلس المركزي للمسلمين هناك واصفا الحالة النفسية السيئة التي وصلت إليها الجاليات المسلمة في ألمانيا بعد الاعتداءات على المسجدين التي شنها اليمين المتطرف على المسلمين، وبلغت زهاء ٢٠٠ حالة في مارس ٢٠١٨م:" الأطفال والنساء بوجه خاص في جاليتنا يشعرون بالخوف عند الذهاب إلى المسجد، فهم يتوجهون بنوع من الإرباك لصلاة الجمعة والبعض الآخر لا يتوجه إلى الجماعة، لأنه ببساطة يخاف، أو غير آمن "[٣٧]، وأيضا الحالات النفسية لعائلات اليهود الذين تم الاعتداء على قبورهم بالصليب المعقوق في ألمانيا.

٢. خطاب الكراهية مدمر لتماسك النسيج الاجتماعي:

إن خطاب الكراهية بما يحمله من قوة تدميرية للنفسيات، يعرض اللحمة الاجتماعية إلى الاهتزاز، ويضعف ولاء الناس وانتماءهم، وقد تزداد حدة هذا الشعور قوة حين تضعف شوكة الدولة ويتراجع سلطانها في صيانة فكرة العيش المشترك و ضمان الالتفاف حولها، أو حين لا يتوضح للناس الخيط الفاصل بين خطابات الكراهية بين أتباع الديانات التوحيدية، وحدود مسؤولية الدولة في العجز عن التصدي لها أو التواطؤ معها. ومن شأن إشاعة الكراهية بين الناس أن تمزّق وَحدة المجتمعات وتَنوُّعها، وتقتل فيهم الإحساس بهُويَّتهم الإنسانية الجامعة،

و تمثل الولايات المتحدة الامريكية نموذجا واضحا عن قدرة خطاب الكراهية على تفكيك النسيج الاجتماعي حيث وصلت الجرائم بسبب الكراهية سنة ٢٠١٣ حوالي ٦٠٠٠ حادث ١٧ بالمائة منها بسبب التعصب الديني[٣٨] ، مما أدى إلى إضعاف ثقة الأفراد في الدولة ومؤسساتها[٣٩]. أما في ليبيا فقد أكدت نائبة الأمين العام للشؤون السياسية ستيفاني وليامز، على أن:"خطاب الكراهية والتحريض والشائعات.يتسبب بشكل ملحوظ في تمزيق النسيج الاجتماعي في ليبيا، فكلما استمر الوضع على هذا الحال، ازداد الأمر تعقيداً.."[٤٠].

٣. انتشار العنف والإرهاب:

لاشك أن خطاب الكراهية سيؤدي حتما إلى سلوك العنف والقتل والإرهاب، وهو ما يخالف التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية في سائر المجتمعات الإنسانية، يقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: (يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئا من الجوارح فيقول: أي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئا، فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها فسفك بها الدم الحرام وانتهب بها المال الحرام وانتهك بها العرض الحرام، وعزّتي وجلالي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئا من جوارحك)،[٤١] و يصور سفر الأمثال قوة الحسد والذي جاء في هذه الفقرة بمعنى الكره، فيقول:»من يقف قدام الحسد"[٤٢] أي أن الحسد قوة جبارة تدفع إلى ارتكاب أفضع الشرور[٤٣].

ويمكننا أن نمثل بما حدث من عنف وقتل أعمى لعدد كبير من المصلين بمدينة كريست تشيرش في نيوزيلندا كان سببه الرئيسي خطابات الكراهية في مواقع التواصل الاجتماعي، والأمر نفسه للهجومات الإرهابية ضد كنائس سيرلانكا في عيد الفصح والتي وقع فيها عشرات الضحايا أكثر من ٣٠٠ قتيل و ٤٥ طفل، والذين سالت دماءه مع زهور واحتفالات العيد[٤٤]. كما وقعت سنة ٢٠١٦ هجمات ضد المدارس اليهودية في ألمانيا وإيطاليا و الدنمارك و الولايات المتحدة الأمريكية، وفضلا عن ذلك وقعت حوادث

٣٥- ١ يو٢: ٧-

٣٦- https://news.un.org/ar/interview/٢٠١٩/٠٤/١٠٣١٥٦١

٣٧- https://www.dw.com/ar/%D٩%٨٥%D٨%B٣%D٩%٨٤%D٩%٨٥%D٩%٨٨

٣٨- https://www.fbi.gov/about-us/cjis/ucr/hate-crime/٢٠١٣/topic-pages/incidents-and-offenses.

٣٩- محمد مالكي: أبعاد الإرهاب وكلفته على السلم الاجتماعي والأمن المدنين ص ٢٧٧.

٤٠- https://alarab.co.uk/%D٨-%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٣%D٨%B١%D٨%A٧%D٩%٨٧%D٩%٨٨%D٨%A٩

٤١- أخرجه هشام الدين الصابطي: جامع الأحاديث القدسية

٤٢- سفر الأمثال: ٢٧ : ٠٤.

٤٣- دائرة المعارف الكتابية، ج ٣، ص٩٥.

٤٤ - إميل أمين: فائض الكراهية وإرهاب ضد الأديان، موقع أبونا ٢٤-٠٨-٢٠١٩، انظر موقع: https://www.abouna.org/content/

معادية للسامية[٤٥] مثيرة للقلق في بعض الجامعات[٤٦].

٤. خطاب الكراهية معيق للتنمية الاجتماعية

كشفت تقارير التنمية البشرية الدولية والدراسات ذات الشأن.عن وجود علاقة تلازمية بين الاستقرار و التنمية، فبقدر ما يتوطن الاستقرار ويتعمق، و يتوسع، بالقدر نفسه يتوطد مفهوم التنمية، وتنمو مجالاته، و تتوضح فوائده، لذلك يعتبر خطاب الكراهية بما هو رديف للاستقرار عدوا للتنمية بامتياز، فهكذا تمكنت دول كثيرة بفعل شروط استتباب الأمن في ربوعها من إدراك معدلات مهمة في سلم التنمية.

هذه نماذج إذن من الآثار التي يؤدي إليها خطاب الكراهية المتعلق بالأديان الإبراهيمية نأتي الآن لبيان الحلول المقترحة لتجاوزه.

المحور الخامس: سبل تجاوز خطابات الكراهية بين الديانات

إن ما يحدث في العالم من خوف متزايد من انتشار ثقافة الكراهية وتضخمها وتحديداً بين الأديان التوحيدية لا يمكن تجاوزه بمجرد الحديث السطحي عن تعزيز ثقافة التسامح و المحبة والمساواة بين البشر، بل لابد من استرتيجية حكيمة للخروج من أزمة الخطابات العشوائية، و سنقدم فيما يلي بعض الرؤى و النصوص التي يمكن أن يستأنس بها في بلورة الحلول الناجعة لتجاوز الوضع الحالي الذي ينذر بكثير من الأخطار، وما يمكن ذكره هنا أن الكتب المقدسة قد حملت أقوالا ومواقفَ وأحداثًا تعدُّ نبراسًا وضياءً للباحثين عن أي بُغية ومقصَد، والمتتبِّع لها يجد فيها العلاج لأيِّ مشكلة مثل تلك الخطابات، ويمكننا تلخيص ذلك فيما يأتي:

١. نشر القيم الإنسانية المشتركة والأصل المشترك:

نقصد بالقيم الإنسانية المشتركة هي المحبة و السلم و الإخاء الإنساني، و اعتبار الكرامة الإنسانية حقا مقدسا لا يجوز المساس به باسم أي ذريعة أو تحت أي مسوغ، واعتبار التواصل المعرفي بين مختلف الحضارات مبدأ لا يمكن الخروج عنه، أي بمثابة دستور تلتزم به مناهج التعليم في كل مراحله و مستوياته، و التعارف الثقافي أحد الغايات السامية للعملية التربوية، ومن ثمة تصبح معرفة الإنسان بأخيه الإنسان أعلى درجات الحكمة في الوجود، التي ستخول لنساء هذا العالم ورجاله الصالحين المتشعبين بهذه الحكمة و القادرين على تجسيدها في أرض الواقع أن يرثوا هذا العالم (إن الأرض يرثها عبادي الصالحون)[٤٧].

٤٥ - معاداة السامية: هي نظرة معينة للهود، يمكن التعبير عنها بأنها كراهية تجاه اليهود.وتُوجَّه المظاهر التعبيرية والبدنية لمعاداة السامية نحو الأفراد اليهود أو غير اليهود أو ممتلكاتهم، ونحو المؤسسات المجتمعية والمنشآت الدينية اليهودي.
IHRA Plenary in Bucharest, "Decision to Adopt a Non-legally Binding Working Definition of Antisemitism".
16 Information provided by the IHRA Romanian Chairmanship, 26 May 2016
٤٦ - Report of the Inquiry Panel (Ottawa: Canadian Parliamentary Coalition to Combat Antisemitism, 2011 p40
٤٧ - سورة الأنبياء، الآية ١٠٥

فالإنسان في نظر الأديان التوحيدية يتساوى أفراده في الإنسانية التي ينحدّرون منها جميعا ورد في العهد القديم: (خَلَقَ الرَّبُّ الإِنْسَانَ مِنَ الأَرْضِ)[٤٨]، وهو ما نجده تقريبا في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا..﴾[٤٩]، وهذا يعني أن الأرض مشتركة بين كل الناس مهما كانت دياناتهم وأعرقهم وألوانهم وأجناسهم، فهم شركاء في العيش المشترك، ولهذا جاء الخطاب الديني في جل الديانات يأمر أتباعه بالتعامل مع بعضهم البعض بالمحبّة والاحترام، كما جاء في الحديث: (أحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره لغيرك ما تكره لنفسك)، وكما ورد في الإنجيل: (كل ما تريدون أن يعاملكم الناس به، فعاملوهم أنتم به أيضاً: هذه خلاصة تعاليم الشريعة والأنبياء)[٥٠]. ومع وحدة الأصل والمنشأ للإنسان لا يكون التفاضل بين أفراده على أساس العرق واللون والانتماء الديني وغيره من الانتماءات، فهي من الأمور اللاحقة للإنسانية، ولذا جاء في النصوص الدينية: " وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ "[٥١]، و(الناس سواسية كأسنان المشط)[٥٢] و(الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.)[٥٣]، وليس في الشريعة الإسلامية وغيرها ما يمنع من قيام اتحاد إنساني على هذه الأسس والمبادئ التي تساوي بين الناس على اختلافهم في الجنس والعرق.

٢. الدعوة للخطاب والحوار الحضاري المثمر:

إن الخطاب والحوار المشترك بين الأديان الإبراهيمية يحدث التقارب والتفاعل، و يحقق الشراكة المتبادلة بين المتكلمين، فكل طرف يحمل أفكاره و تجاربه و نصوصه و حقائقه، وبهذا المعنى يصل الخطاب و الحوار البناء المبني على احترام الطرف الآخر إلى التسامح واحترام حرية الآخرين، واحترام رأيهم و لا يعني بالضرورة القبول به.

وليس الهدف من الخطاب والحوار مجرد فك الاشتباه بين الآراء المختلفة، وإنما هدفهما الأكبر هو إثراء الفكر وترسيخ قيمة التسامح بين الناس، وتمهيد الطريق للتعاون البناء بين الأمم و الشعوب، والخطاب بهذا المعنى يعد قيمة أخلاقية حضارية ينبغي الحرص عليها والتمسك بها، وإشاعتها على جميع المستويات، والوعي بذلك كله أمر ضروري يجب أن تعلمه للأجيال الجديدة، وبصفة خاصة عن طريق القدوة، وليس عن طريق التلقين، ولا جدال في أن الخطاب المبني على

٤٨- سفر يشوع: ١٧: ١.
٤٩- سورة هود، الآية ٦١.
٥٠ - انجيل متى: ٠٧: ١١.
٥١- أخرجه الترمذي: سنن الترمذي، باب ومن سورة الحجرات، تح: وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، مصر: شركة مكتبة ومصطفى البابي، ١٩٧٥، ج٥، ص٣٨٩.
٥٢ - محمد الصنعاني: سبل السلام، دط، دار الحديث، دت، ج ، ص١٢٩.
٥٣- علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، بيروت : دار المعرفة، دت، الرسائل ٥٣.

الحوار الهادئ قد أصبح في عصرنا الحاضر أكثر إلحاحا من أي وقت مضى، بل أصبح ضرورة من ضرورات العصر، على مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة.

وهنا نعطي مثالا عن تجربة فريدة من نوعها في ألمانيا وهي إنشاء مدرسة الأديان الثلاثة الخاصة بالديانات المسيحية و اليهودية والإسلام والمعروفة بمدرسة يوهانيس في ألمانيا والتي تلقن التلاميذ دروس في المواد الخاصة بديانتهم، كما يتشارك التلاميذ في دروس تعليمية مشتركة مثل: اللغة الألمانية، والرياضيات، والموسيقى، والمواد العلمية..، ويهدف هذا النموذج من الدرس الأول من نوعه في ألمانيا إلى تقوية مواقف التسامح والاحترام المتبادل بين العقائد ويشارك التلاميذ في دروس تعليمية مشتركة تهدف إلى التعريف بالأديان المختلفة وشعائرها، والهدف من ذلك هو أن يحافظ التلاميذ على خصوصية الحوار الديني بينهم وأن ينهجوا مواقف الاحترام والتسامح تجاه الآخرين[٥٤].

٣. نشر ثقافة التسامح وخلق العفو وكظم الغيظ:

إن نشر ثقافة التسامح والعفو بين المجتمعات الإنسانية من شأنه أن يزيل الحقد والكراهية الموجودة في ضمائر بعض البشر، قال تعالى:﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٥٥].

وقد حفل الواقع التاريخي للأمة الإسلامية في مختلف عصورها بأروع مظاهر التسامح مع أهل الذمة في العصر الأموي والعباسي، يقول ول ديورانت William James Durant: [٥٦]" لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون، واليهود، والصابئون يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارا في ممارسة شعائرهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص، وأداء ضريبة عن كل شخص يختلف باختلاف دخله، ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان و النساء و الذكور الذين هم دون البلوغ ، و الأرقاء و الشيوخ و العجزة و ذو العمى الشديد.."[٥٧].

وهذا التسامح يدل على أسمى معاني الحب والعفو والجود الذي كان شائعا في المجتمعات الإسلامية في العصور السابقة،

٥٤ - https://www.dw.com/ar/%D9%86%D9%85%D9%88%D8%B0%D8%AC-%D9%84%D9%84%D8%AA%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%AD-%D8%A3%D9%88%D9%84-%D9%85%D8%AF%D8%B1%D8%B3%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%A3%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%84%D8%A7%D8%AB%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7/a-16234340

٥٥ - سورة فصلت، الآية ٣٤.

٥٦ - ول ديورانت(١٨٨٥م-١٩٦٢م): فيلسوف أمريكي من أبرز الذين وقفوا جهودهم على تبسيط التاريخ والفلسفة انتسب إلى كلية القديس بطرس اليسوعية في جيرسي، ثم إلى جامعة كولومبيا بنيويورك، امتهن الصحافة ثم تحول لتدريس اللغة اللاتينية والإنجليزية والفرنسية، ثم اشتغل بالفلسفة حيث نال درجة الدكتوراه سنة ١٩١٧م، من آثاره: الفلسفة والمشكلة الاجتماعية، قصة الحضارة..
انظر ترجمته في: ول ديورانت: مقدمة قصة الحضارة ، تر: زكي نجيب محمود، بيروت: تونس، دار الجيل، المنظمة ص٢١ وما بعدها..

٥٧- ول ديورانت: قصة الحضارة، ج١٣، ص١٣٠-١٣١

وهو ما نحتاجه اليوم بين مختلف المكونات الدينية والفكرية والثقافية.

٤. إعادة تدريس التاريخ الإنساني والقيم الأخلاقية المشتركة:

نعتقد أن المادة التاريخية يمكن أن تقرب بين أصحاب الديانات و الشعوب و الأمم إلى بعضها البعض، إذا قمنا بتناول تاريخ الأديان، و الثقافات و الحضارات الإنسانية، والعادات الاجتماعية، وتطور الفنون و التقنيات، ومراحل تطور العمران البشري، والاعتراف لكل الأمم بمساهمتها في ذلك التطور، والتركيز على الفوائد العظيمة للإنسانية من عملية ومنهجية تبادل المعارف والمصالح الاقتصادية في تحقيق الرخاء للمجتمع البشري، وبالتالي السلام العالمي.

كما لابد أن يدرج في ضمن المواد المدروسة برنامج لتعليم الخير للآخر، وحقوقه، والعلاقات التي يجب أن تكون بين أبناء البشرية، من الرحمة و المحبة، والتسامح، وتقبل الآخر والنموذج المصري في التعايش السلمي للأديان هو النموذج المحتذى به، فلا يستطيع التفريق المسلم من المسيحي إلا في دار العبادة، حيث أنهم متعايشون منذ آلاف السنين، ولهم عادات و تقاليد واحدة، والمنزل القبطي هو نفسه المنزل المصري بكل أعرافه المجتمعية.

الاحترام والمساواة في الحقوق هي الأسس الأساسية للاستقرار الاجتماعي، والجرائم المرتكبة بسبب خطابات الكراهية غير متوافقة مع القيم الأخلاقية، وإذا تركت دون رادع، فإنها تشكل للحكومات مشكلة أمنية خطيرة، مثل انتشار الأعمال الفردية العنيفة التي تسبب اضطرابات اجتماعية، قد تصل للحروب الأهلية الخطيرة.

٥. تحويل الكراهية إلى فضاء محبة:

يقول سبينوزا: "تزداد الكراهية حينما تكون متبادلة؛ ولا يمكن القضاء عليها إلاّ بالمحبّة».

فعندما يملك الإنسان القدرة على مواجهة الكراهية وتحويلها إلى محبة ووئام، فهذا يعني أن الإيمان قد نجح في أن يكون حقيقة فاعلة تبعث في النفس القدرة على التغيير. فتحويل الكراهية والعداوة إلى إحسان ومحبة هو المعجزة الكبرى، التي تثبت أن نور الإيمان قد أشرق على قلب الإنسان. فعندما ينزع الإنسان من قلبه الغِلّ والبغضاء، فإنه يستشعر السعادة العظمى التي وعد الله بها أهل الجنة بقوله: "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ"[٥٨].

و يحتاج الإنسان إلى إرادة قوية للسيطرة على انفعالاته وعواطفه؛ ولذلك كان الجهاد الأكبر في كثير من الأديان التوحيدية هو جهاد النفس، وكفُّها عن الانسياق وراء الكراهية والغضب وغيرهما من الانفعالات التي تُفقد الإنسان رشده وإنسانيته. ولكي يتغلب الإنسان على الكراهية؛ يجب أن

٥٨- سورة الحجر، الآية ٤٧.

يقوم أولًا بتوجيه كراهيته نحو السلوك أو الفعل القبيح، لا أن يكره الأشخاص الذين يقومون بذلك الفعل، فيكره الظلم والبغي والعدوان، وليس الناس الذين وقعوا في هذه الأفعال. وهنا يصبح التمييز بين الفعل القبيح والذات الإنسانية، مقدمة للتعرف إلى الأخطاء السلوكية التي تسبب البغضاء بين الناس، فيصلح الإنسان في نفسه ما يبغضه من غيره.

والأصل في علاقة الناس فيما بينهم هو المودة والوئام؛ أمَّا الكراهية أو البغضاء فهي كما الشر، ليست سوى خللٍ عارض على ذلك الأصل الذي خلق الله الناس عليه، ومن أجمل ما جاء في تراثنا الإنساني من علاج البغضاء والانتصار عليها، ما قاله بوذا: "ليس بالبُغض يهدأ ويستكين البغض. البغض يهدأ ويستكين بإزالة البغض نفسه، هذا هو القانون الخالد".[٥٩] ومن الجهود المبذولة إلى تغيير الكراهية وتحويلها إلى فضاء محبة بين الديانات التوحيدية ما قام به منتدى الأديان في العاصمة الفلندية هلنسكي في شهر أكتوبر ٢٠١٩ من مسيرة دينية بين الأديان، عنوانها المحبة و السلام والتعايش بدل الكراهية، وانطلقت المسيرة من المعبد اليهودي إلى الكنيسة القديمة ويقول كاتري كوسيكاليو المدير التنفيذي للمنتدى:" من الضروري أن نظهر للناس من مختلف الأديان والمعتقدات يسيرون جنبا إلى جنب وليس ضد بعضهم البعض.[٦٠]

خاتمة:

وفي الأخير نقول إن هناك فصلا واضحا بين الأديان التوحيدية والتحريض على الكراهية بمختلف أشكالها، وعلاج هذه الظاهرة، والوقاية منها مسؤولية اجتماعية تقع على عاتق أطياف المجتمع، بكل مستوياته ومؤسساته في كل بقاع العالم، من الأسرة، والمدرسة، والوزارات، وجمعيات المجتمع المدني، والتصدي لهذه الخطابات هو دفاع عن مستقبل البشرية جميعها و مستقبل أجيالنا المقبلة، ولهذا ثمّة حاجة إلى تضافُر الجهود لمواجَهة خِطاب الكراهيّة والعنف في المجتمع بمختلف صوره، وتعزيز دَور المؤسّسة الدينيّة في إشاعة ثقافة التسامح والتعايش.

المصادر والمراجع:

١. الكتاب المقدس.
٢. القرآن الكريم.
٣. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية، دار الدعة، دت، ج٢.
٤. بطرس عبد الملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدس، د م ن.
٥. صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، المدقق: الأب جان كوربون،ط٢، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٨م.

٥٩- عامر الحافي: ما وراء الكراهية، ٢٠١٧/٠٨/٠١م، موقع تعددية انظر الرابط :
https://taadudiya.com/%d9%85%d8%a7-%d9%88%d8%b1%d8%a7%d8%a1-%d8%a7%d9%84%d9%83%d8%b1%d8%a7%d9%87%d9%8a%d8%a9

٦٠- https://suapress.com/archives/27610

٦. صموئيل الحبيب وآخرون: دائر المعارف الكتابية، القاهرة: د.ط، دار الثقافة، دت، ج٣.

٧. علي الإدريسي الحوار الإسلامي المسيحي الغربي بين مقتضيات النصوص و الممارسات العملية، كتاب الإسلام في مواجهة العنف.

٨. علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، بيروت: دار المعرفة، دت، الرسائل ٥٣.

٩. الصنعاني محمد: سبل السلام، دط، دار الحديث، دت، ج

١٠. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ج٥.

١١. مصطفى الجلابنة: الحب الكراهية من منظور ديني تربوي، مؤتمر ثقافة الحب الكراهية جامعة فيلادلفيا

١٢. ول ديورانت: قصة الحضارة لصاحب الترجمة، تر: زكي نجيب محمود، بيروت: تونس، دار الجيل، المنظمة

* المراجع بالأجنبي:

- Anthony Cortese, Opposing Hate Speech, Publisher: Praeger, Place of publication: Westport, CT. Publication year: 2006.
- F. Vigouroux ; et autres: Le Dictionnaire de la Bible ; ₂ème tirage ; (Paris: Letouzey et Ané Editeurs ; 1912.
- Joyce Eiseenberg and Ellen Scolinc: THE JBS DICTIONARY OF JEWISH WORDS ,p102.-
- Samuel Walker, Hate Speech:The History of an American Controvers, Publisher: University of Nebraska Press, Place of publication: Lincoln, NE. Publication year: 1996.

Jean Flori, Religions et liberté Religieuse , Conscience et liberté, la diffamation et liberté religieuse, 2010.

- Vernette J Les sectes collection que , Paris,PuF1990.
- IHRA Plenary in Bucharest,

“Decision to Adopt a Non-legally Binding Working

- Report of the Inquiry Panel

(Ottawa: Canadian Parliamentary Coalition to Combat Antisemitism, 2011.

* المواقع الإلكترونية:

- http://www.almilad.org/page/text.php?nid=279
- https://news.un.org/ar/interview/2019/04/1031561
- https://www.dw.com/ar/
- www.fbi.gov/about-us/cjis/ucr/hate-crime/2013/topic-pages/incidents-and-offenses/.
- https://alarab.co.uk
- https://www.dw.com/ar
- https://suapress.com/archives/27610

الآنا والآخر في الأديان السماوية: في ضوء معادلة “نحن النعيم والآخرون هم الجحيم”

الدكتور
الحسن حما

تُعتبرُ «الكراهية» المبنية على أسس دينية، من الإشكالات والتحديات الكبيرة التي تعترض الأديان والشعوب والمجتمعات المعاصرة، وهي ليست حكراً على أبناء دين واحد، إنما عانت منها ولاتزال مختلف الأمم والمجتمعات في العالم، وخاصة أبناء الأقليات المتفرعة من دين واحد.

وتاريخ الأديان السماوية يحتفظ بفصول من الكراهية المسيحية/ المسيحية والكراهية المسيحية/ الإسلامية، أو الإسلامية/ المسيحية، أو الكراهية المسيحية/ اليهودية والكراهية الإسلامية / اليهودية، بل الكراهية من داخل الدين الواحد نفسه (مثل السنة والشيعة في الإسلام)، ولها تجليات متعددة في شكل جماعات وطوائف دينية؛ الواحدة تعتبر نفسها على صواب والأخرى خاطئة أو على ظلال، مسيرها “جهنم”. وكان لذلك أثره المباشر على على المستوى السياسي والاجتماعي، نتج عنه حروب وفتن وصراعات

دينية وطائفية، ذهب ضحيتها مئات الآلاف من البشر، بل أصبح سمة عامة لما نشاهده في وسائل الإعلام المختلفة، أما الكراهية المسيحية / اليهودية فقد كانت هي الأخرى ضارية ورهيبة، بعد تحوّل المسيحية إلى قوة سياسية ونظام دولة.

بناء على هذا، فإن «الكراهية الدينية»، -أي المؤسسة على نصوص وفُهومٍ للنصوص والعقائد- ليست شيئا جديداً، لكن تختلف في مستوياتها، وأبعادها الاجتماعية والسياسية، ومن أسبابها الرئيسة قراءة وانتقاء بعض النصوص من الكتب المقدسة خارج سياقها التاريخي والديني، وسوء توظيفها.

من هنا، فإن القضاء على الكراهية المبنية على الأسس الدينية واجتذاذها من قلوب الناس، منطلقه نقد وإعادة قراءة نصوص الكتب المقدسة، التي تستغلها الجماعات والتنظيمات المتطرفة في جميع الأديان، وتسليط الضوء أكثر على النصوص الأخرى التي تدعو وتأمر بالتعايش والتعارف الإنساني، والمحبة والسلام العالميين.

ويمكن إبراز صور من تجليات خطاب الكراهية اليهودية والكراهية المسيحية والكراهية الإسلامية، المؤسسة على بعض النصوص التي يتم انتقاؤها من الكتب المقدسة (التناخ، الإنجيل، القرآن)، وخاصة النصوص التي تنظم العلاقة مع الآخر. فكيف تنظر هذه النصوص إلى من هو خارج دائرة الانتماء الديني والاجتماعي؟

المحور الأول: أصول وتجليات خطاب الكراهية في النصوص الدينية اليهودية والمسيحية

إن القراءة النقدية لأصول وتجليات خطاب الكراهية الدينية، تستوجب النظر في النصوص التي يتم توظيفها، وكيف يتم قراءتها وتقديمها على أنها دليل للتأكيد على أن الأصل في الأديان والكتب المقدسة تفضيل جنس بشري على آخر انطلاقًا من دينه وعقدته؟

وفي هذا الإطار تركز الجماعات اليهودية -المتطرفة والمتعصبة- على بعض النصوص في الأسفار الخمسة للتوراة، التي تتناول الآخر، عبر تشريعات وأحكام تلغي إنسانيته؛ وتتحدث عنه من خلال مفاهيم تحمل الكثير من ايحاءات الذم والتنقيص؛ فالآخر في نظرها، «خادم» و«تابع» و«ناجس»، "سُخر لأجل الإنسان اليهودي".

١. كراهية (الأغيار) في التوراة واستعمالهم:

يتم استدعاء مجموعة من النصوص التي تعتبر فيها علاقة الإنسان بالآخر في التناخ جزءًا من رؤية اليهودية للإنسان والعالم، المؤسَسة على منطق (اليهودي وغير اليهودي)، وتُعَبِر عنها النصوص التوراتية والتلمودية بـ«الأغيار» «جوييم» (بالعبرية: גויים). وكثيرا ما يتم الاستشهاد بما وَرد في النسخة العبرية من التلمود بالإشارة إلى «بقية سكان الأرض بـ "Gentiles"، أو "Goyim"، وهي تسميات تتضمن كمّاً من التحقير، خاصة

عند ربطها بـ»شعب الله المختار». كما يتم التأكيد على نص في التلمود ينظر إلى اليهود كمخلوقات بشرية، ولكن غيرهم ليسوا ببشر بل هم وحوش!! وأن الأكوم "Akum"، أو غير اليهودي، يشبه الكلب[١].

وهذا التحقير يرتبط في منظور الجماعات اليهودية المتعصبة بالأفضلية الدينية، بحيث يتم الحكم على الآخر (الأغيار) انطلاقاً من إيمانه ومعتقداته، فتصنفه في دراجات "أدناها عبادة الأوثان والاصنام، وأعلاها أولئك الذين كانوا عبدة الأوثان، أي المسيحيون والمسلمون الذين يسمون "جيريم"، أي الأغيار المؤمنين بـ(الله)، والذين ينفذون وصايا سيدنا نوح، وهناك «جير توشاف" أي المجاورين أو الساكنين في الجوار، مثل العرب الفلسطينيين مواطني دولة اسرائيل"[٢].

ومن النصوص الأكثر توظيفًا في هذا السياق ما ورد في سفر إشعياء: ﴿ Isa ٦١:٥وَيَقِفُ الأَجَانِبُ وَيَرْعُونَ غَنَمَكُمْ وَيَكُونُ بَنُو الْغَرِيبِ حَرَّاثِيكُمْ وَكَرَّامِيكُمْ. Isa ٦١:٦ أَمَّا أَنْتُمْ فَتُدْعَوْنَ كَهَنَةَ الرَّبِّ تُسَمُّونَ خُدَّامَ إِلَهِنَا. تَأْكُلُونَ ثَرْوَةَ الأُمَمِ وَعَلَى مَجْدِهِمْ تَتَأَمَّرُونَ﴾[٣]. وما جاء في التلمود: «إسرائيل غالية، لأنها تدعى بأبناء الشعب المقدس.

أيها اليهود، أنتم الذين تدعون بالرجال، وليس غير اليهود.

كل إنسان يصون مجرد روح واحدة من بني إسرائيل، يعتبر وكأنه قد صان العالم كله. كل إسرائيل لها نصيب في العالم القادم.

لن يكون لغير اليهود نصيب في العالم القادم"[٤].

وفق هذه الرؤية التي تعلي من قيمة الإنسان اليهودي والتنقيص من الآخر، يتم التأسيس للتعصب والكراهية الديني التي تذكي الصراع والعنف، بمختلف أبعاده السياسية والاجتماعية، علاقة طابعها الأساسي، التمييز بين اليهودي والآخر، فإذا كانت العلاقة بين اليهودي (دائرة الانتماء العقدي/الاجتماعي القومي) علاقة إنسانية بما يعني احترام الإنسان في كافة أبعاده ومستوياته والتزامته الاجتماعية والحقوقية والتشريعية، وتنظر إليه باعتباره صاحب الفضل، وتبشر بمقام النعيم في الدنيا والآخرة، فإن طابعها ومنطق تعاملها مع الآخر (المخالف الديني والعريقي) استباحة قتله وتربط مصيره بالجحيم. بل إنها على المستوى التشريعي، تشرعُ كل ما يتطلبه هذا الأمر دينياً وسياسياً واجتماعياً في سبيل تحقيق أهداف اليهود الموعودة.

هكذا يتم وصف الآخر (الأغيار) في بعض النصوص اليهودية، ويتم استيعابه من خلال مفاهيم "التحقير"، و"الإذلال"،

١ التلمود البابلي، موقع جمعية التلمود، ترجمة MICHAEL L. RODKINSON راجع النص على الرابط التالي:
https://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/Judaism/FullTalmud.pdf

٢ مصالحة عمر، "التلمود المرجعية اليهودية للتشريعات الدينية والاجتماعية"، دار الجليل، عمان –الأردن-، ط١، سنة ٢٠٠٦م، ص٩٩

٣ إش ٦١: ٥ - ٦

٤ "التلمود البابلي"، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمّان- الأردن-، ط١، سنة ٢٠١١م، مج١، ص ٥١.

و"الظلم" و"سلب الحقوق". نتيجةً لهذا ترى هذه الجماعات والافراد المتعصبون دينياً أن العلاقة التي يجب أن تربط اليهودي بغيره من الأمم والأغيار، هي علاقة "استعمال"، تحقيقاً لسيادة اليهودي ورفعته، التي أوصى بها (يهوه).

يقوم الأساس الديني لهذا الاتجاه على التفضيل الجوهري للشعب اليهودي على سائر الخلق، وتحقير الآخر كيفا كان، فالاختيار الإلهي لهذا الشعب ينظر إليه اليهود على أنه حقيقة مطلقة ومسلم بها، ويعتقدون أن اليهود أفضل من غير اليهود في طبيعتهم وتكوينهم، وفي كل شيء لأنهم (شعب يهوه) دون غيرهم. ويتم التركيز على منظومة تشريعية كتبها كهنةٌ متعصّبون تنسجم مع هذا التفضيل، فهناك نصوص كثيرة يتم توظيفها في هذا السياق وقراءتها بعيدًا عن الجوانب الإنسانية التي تدعو فيها التوراة إلى التسامح والتعايش منها: ما جاء في سفر الخروج ﴿Exo ٢١:٢ إِذَا اشْتَرَيْتَ عَبْدا عِبْرَانِيّا فَسِتَّ سِنِينَ يَخْدِمُ وَفِي السَّابِعَةِ يَخْرُجُ حُرّا مَجَّانا.Exo ٢١:٣ إِنْ دَخَلَ وَحْدَهُ فَوَحْدَهُ يَخْرُجُ. إِنْ كَانَ بَعْلَ امْرَأَةٍ تَخْرُجُ امْرَأَتُهُ مَعَه. Exo ٢١:٤ إِنْ أَعْطَاهُ سَيِّدُهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ بَنِينَ أَوْ بَنَاتٍ فَالْمَرْأَةُ وَأَوْلادُهَا يَكُونُونَ لِسَيِّدِهِ وَهُوَ يَخْرُجُ وَحْدَهُ. Exo ٢١:٥ وَلَكِنْ إِنْ قَالَ الْعَبْدُ: أَحِبُّ سَيِّدِي وَامْرَأَتِي وَأَوْلادِي. لا اخْرُجُ حُرّا. Exo ٢١:٦ يُقَدِّمُهُ سَيِّدُهُ إِلَى اللهِ وَيُقَرِّبُهُ إِلَى الْبَابِ أَوْ إِلَى الْقَائِمَةِ وَيَثْقُبُ سَيِّدُهُ اذْنَهُ بِالْمِثْقَبِ فَيَخْدِمُهُ إِلَى الأَبَدِ.Exo ٢١:٧ وَإِذَا بَاعَ رَجُلٌ ابْنَتَهُ امَةً لا تَخْرُجُ كَمَا يَخْرُجُ الْعَبِيدُ. Exo ٢١:٨ إِنْ قَبُحَتْ فِي عَيْنَيْ سَيِّدِهَا الَّذِي خَطَبَهَا لِنَفْسِهِ يَدَعُهَا تُفَكُّ. وَلَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يَبِيعَهَا لِقَوْمٍ أَجَانِبَ لِغَدْرِهِ بِهَا.Exo ٢١:٩ وَانْ خَطَبَهَا لابْنِهِ فَبِحَسَبِ حَقِّ الْبَنَاتِ يَفْعَلُ لَهَا.Exo ٢١:١٠ إِنِ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ أُخْرَى لا يُنَقِّصُ طَعَامَهَا وَكِسْوَتَهَا وَمُعَاشَرَتَهَا. Exo ٢١:١١ وَانْ لَمْ يَفْعَلْ لَهَا هَذِهِ الثَّلاثَ تَخْرُجُ مَجَّانا بِلا ثَمَنٍ﴾[٥].

<u>وما ورد في التلمود:</u>

"الأمميّون يقعون خارج نطاق حماية الشريعة، ومالهم يتيحه الله حلالاً لبني إسرئيل"[٦].

<u>وكذلك</u> "يجوز لليهودي أن يلجأ إلى الأكاذيب (الحيل) لكي يراوغ أمميّاً"[٧] وهو نموذج عن التشريعات التي تشرعها الشريعة اليهودية لليهود ويجوز استعمالها ضد (الأمميين).

و"أبناء الأمميّين (الجوييم) جميعاً بهائم"[٨].

و"فتيات الأمميّين نجسات (ندّاه) منذ مولدهنّ"[٩].

٢. تحقير الآخر غير المسيحي واستباحة قتله:

لا يختلف الأمر عن المسيحية؛ حيث يتم التركيز على بعض النصوص التي تدعو إلى

٥ خر ٢١:٢ – ١١

٦ بابا قاما ٣٧ ב، راجع: إيبش أحمد، «التلمود كتاب اليهود المقدس: تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه»، قدم له، سهيل زكّار، دار قتيبة، -دمشق-، آذار ٢٠٠٦م، بدون رقم ط، ص ٣٩٥

٧ بابا قاما ١١٣ א، المرجع السابق، ص ٣٩٥

٨ يباموت ٩٨ א، نفسه، ص ٣٩٥

٩ عبوداه زاراه ٣٦ ב، نفسه، ص ٣٩٥

القتل والعنف مثل ما ورد في إنجيل متى {لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً عَلَى الأَرْضِ مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً بَلْ سَيْفاً} وما ورد في إنجيل لوقا {أَمَّا أَعْدَائِي أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي}. ومثلها كثير حينما يتعلق الأمر بالتعامل مع الآخر غير المسيحي ونجد لذلك صور وتجليات أهمها؛ تحقير الأمم الأخرى وخاصة التي لا تدين بالأديان التوحيدية، وتحضر في هذا الإطار نصوص مثل:

{اطفأوا قوة النار نجوا من حد السيف تقووا من ضعف صاروا اشداء في الحرب هزموا جيوش غرباء}١٣. وقوله: {واكتب الى ملاك الكنيسة التي في برغامس. هذا يقوله الذي له السيف الماضي ذو الحدين}. وكذلك {ويضل الساكنين على الارض بالآيات التي أعطي ان يصنعها امام الوحش قائلا للساكنين على الارض ان يصنعوا صورة للوحش الذي كان به جرح السيف وعاش}[١٤].

رغم أن هذه النصوص لا تعدُ دليلاً على نسبة الكراهية للمسيحية، لأن في كلام يسوع والإنجيل ما يناقضه، ثم إن قراءتها ضمن رؤية الإنجيل الكلية التي تتخذ من التسامح والمحبة مركزيتها الدينية يخالف مثل هذه الدعوات التي يتم توظيفها من قبل الاتجاهات والتيارات المتطرفة والمتعصبة.

٣. الأفضلية الدينية للمسلم على الآخر والتأسيس لخطاب الكراهية:

إن نزعة الكراهية والتعصب الديني، ليس خاصًا بالقراءة اليهودية والمسيحية المتعصبة للدين، بل نجد تجلياتها كذلك عند الجانب الإسلامي، حيث هناك مجموعة نصوص دينية يتم توظيفها وقراءتها خارج سياقها، وبعيداً عن الرؤية الكلية الناظمة للوحي، ويمكن تصنيف هذه القراءة إلى ثلاثة مستويات:

الأول: هناك قراءة تركز على وجوب كراهية، بل قتال اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الأديان الأخرى، وتستدل بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية، وأن يحذروا مودتهم، منها: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ}[١٥]. إلى قوله {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}[١٦].
وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

١٠ مت ١٠:٣٤

١١ لوقا ١٩:٢٧

١٢ عب ١١:٣٤

١٣ رؤ ٢:١٢

١٤ رؤ ١٣:١٤

١٥ سورة الممتحنة الآية ١

١٦ سورة الممتحنة الآية ٤

الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[17].

وفي الأحاديث النبوية ما روى عن سُهَيْلِ بن أبي صالح عَنْ أَبِيهِ ذكوان عَنْ سيدنا أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لاَ تَبْدَؤوا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بِالسَّلاَمِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ"[18]. وحديث سهيل بن أبي صالح قال: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي إِلَى الشَّامِ، فَجَعَلُوا يَمُرُّونَ بِصَوَامِعَ فِيهَا نَصَارَى فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ أَبِي: لَا تَبْدَءُوهُمْ بِالسَّلَامِ، فَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَا تَبْدَءُوهُمْ بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِ الطَّرِيقِ"[19]. وحديث {أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله}[20].

هذه النصوص وغيرها يتم قراءتها وتحريف سياقها، وكثيرا ما يؤدي هذا إلى مزيد من العنف والتطرف الديني، وخلق الصراع بين المسلمين وغيرهم، خاصة في البلدان المسلمة التي تعيش فيها الأقليات الدينية، لأن منطوق هذه النصوص يفيد استباحة قتل غير المسلم المخالف الديني، لكن منهج قراءة الأحاديث والترجيح بينها كما بينه علماء الحديث، مناقض لهذا، ثم إن هناك بعض الأحاديث مشكوك في صحتها، خاصة عند قراءتها بمنطوق القرآن، أو ما يصطلح عليه حديثًا عرض السنة على القرآن.

المستوى الثاني: يتم إبراز نصوص تؤكد على أن القران أفضل الكتب السماوية (التوراة والإنجيل)، دون الفهم السليم لمعنى تصديق القرآن وهيمنته على النصوص الأخرى ومن هذه النصوص قوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}[21]. وقوله {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}[22]، أي أن هذه النصوص لا يمكن مقارنتها بالقرآن وعلى المسلم رفض كلما فيها. ويتم الاستدلال بقوله تعالى {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}[23].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وعلى أعقاب هؤلاء حلت قارعة التحريف في كل من غلا في المذاهب، وجفا النصوص، وعقد الولاء والبراء على المذهب، والتعصب لإمام المذهب، لا على الدليل، وما قام عليه الحق المبين، فيلعب بهذا الفريق داعي العصبية والهوى"[24]. إن خطورة اسناد الأفضلية للقرآن فقط

١٧ سورة المائدة الآية ٥١
١٨ أخرجه أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه، والترمذي في سننه وغيرهم.
١٩ رواه أحمد والبخاري في الأدب، وأبو داود بإسناد صحيح إلى سهيل، وصححه الألباني.
٢٠ (مسند أبي حنيفة ح٦ ومسند أحمد ح١٤١٤١ وح١٤٢٠٩ وح١٤٥٦٠ وح١٥٢٤١ ومصنف ابن أبي شيبة٦/٤٨٠، وصحيح مسلم ٣٥ (٢١)، وسنن الترمذي ح٣٣٤١ وسنن ابن ماجه ح٣٩٢٨ ومستدرك الحاكم ح ٣٩٢٦).
٢١ سورة البقرة الآية ٧٩
٢٢ سورة النساء الآية ٤٦
٢٣ سورة المائدة الآية ٤٨
٢٤ ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة، (٢/٤١٥-٤١٧)

دون غيره من الكتب المقدسة السماوية، تظهر في تسفيه كل عقائد الآخر وإيمانه وكتبه المقدسة، وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى الفعل ورد الفعل، عوض الحوار والتسامح التي يقررها القرآن، بل إن القرآن نفسه كشف عن منهج التعامل مع الكتب الأخرى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)} (آل عمران/ ٦٤)

المستوى الثالث؛ الاستدلال بنصوص تؤكد على أفضلية المسلم على غيره من أهل الأديان والمذاهب الأخرى، وهنا يتم الاستشهاد بنص {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}[25]. مع أن هذا النص له سياق، يربط فيه القرآن "الخيرية" ليس بمعناها الديني، الذي يحقق أفضلية جنس أو ملة على ملة، بل إن هذه الأفضلية مرتبطة بميراث الأنبياء، أي كل من يسلك منهج الأنبياء ورسالتهم، ينتسب إلى "أمة الخيرية"، وبهذا فإن الأمة الإسلامية لن يتحقق لهذا ذلك إلى إذا بمقومات الاستخلاف والشهود الحضاري، والرحمة للعالمين.

إن القراءة التجزئية لهذه النصوص وتوظيفها لأغراض سياسية، بعيدًا عن المقاصد الكلية للقرآن الذي يدعو إلى اقرار حرية المعتقد وحرية الانسان في اختياره، ويؤكد على احترام الآخر، والتعايش مع الأمم وخاصة أهل الأديان الثلاثة، ولا تختلف هذه القراءة عن القراءة المتعصبة لنصوص التوراة التي أبرزنا بعض منها -أعلاه- فكلهما يشير إلى جوانب سمو ورفعة الإنسان اليهودي والمسلم، في مقابل احتقار ودونية الإنسان غير اليهودي (الأمميون) والأخر (غير المسلم =اليهودي والنصراني)، الذي تصفهم النصوص السابقة بـ"البهائم" و"النجاسة". وأباح النص لليهودي الكذب والمراوغة لليهود في تعاملاتهم مع الآخر.

هكذا يتم تقدم الآخر في علاقته بـ"الأنا" وهي علاقة اختل فيها التوازن بوضعها فوارق اجتماعية وعرقية وتشريعية، غير منسجمة مع رؤية الوحي، التي تعكس مدى قبول الآخر ورفضه. رغم أن الجماعات الدينية اليهودية تعرفُ تفاوتاً في رؤيتها "لموضوع الاختيار والتميّيز، فإن الغالبية ترى أن ثمة علاقة خاصة تربطهم بـ(الله)، وقد تعمق هذا التيار في اليهودية بشكل متطرف، وتحولت التجربة الدينية عند اليهود من تجربة فردية عمادها الضمير الفردي، إلى تجربة جماعية عمادها الوعي القومي، وفي وقت لاحق هيمن تدريجياً فكر القبالاه، التي حولت الشعب اليهودي

٢٥ سورة آل عمران الآيات ١١٠ - ١١٢

من مجرد شعب مختار، إلى شعب يعد جزءاً عضوياً من الذات الإلهية" [٢٦].

تنبثق رؤية التوراة للآخر وتحقيره من فكرة اختيار (الرب) يهوه لشعب مقدس غايته إقامة عهد (يهوه) على الأرض، من خلال تشريعات دينية تحفظ لليهودي كرامته، وتضمن خدمته من طرف (الآخر)، وهذا التصور جعل النصوص اليهودية، محفزاً على الكراهية والتعصب الديني، والسعيّ بمختلف الوسائل لتحقيق هذه الرؤية.

كل هذا ساهم في انبثاق خطاب ديني يحرض على الكراهية والعنف تجاه الآخر ونلمس جوانب منه في واقعنا المعاصر في الإعلام والصراعات الطائفية والدينية، وهي رؤية مناقضة لأسس نصوص كثيرة في التوراة تدعو إلى التسامح وتحترم الأخر بما هو إنسان.

ومن خلال ما تقدم نستنتج بعض سمات خطاب الكراهية الدينية، وهي:

- اعتبار الذات هي الأصل والاخر هامش؛
- تصويب وتصديق الكتب المقدسة للأنا وتخطئة الكتب الأخرى؛
- الآخر خلق لخدمتنا
- أفضلية دين على دين
- الانتقاء في طريقة الكتب المقدسة

المحور الثاني: الأسس التجازوية لخطاب الكراهية في نصوص الأديان

رغم ما تقدم بيانه من مظاهر عنصرية وتفضيل لجنس إنساني على آخر في بعض النصوص التوراتية (الشعب السامي)، وبعض النصوص الإسلامية (الكافر، اليهودي، المسيحي)، إلا أنه توجد نصوص أخرى نقيضة لها، ففي التوراة نجد إشارات وتأكيد على احترام الإنسان مطلق الإنسان، والتعامل معه على نحو لا يلغي إنسانيته؛ من ذلك حثه على احترام الوالدين، جاء في سفر سيراخ: ﴿Sir ٣: ٥ وَمَنْ احْتَرَمَ امّهِ فَهُوَ كَمُدَّخَرُ الْكُنُوزِ﴾[٢٧]، وقوله في السفر نفسه ﴿Sir ٣: ٧ مَنْ احْتَرَمَ أَبَاهُ طَالَتْ ايّامُهُ وَمَنْ أَطَاعَ أَبَاهُ ارَاحَ أَمّهِ﴾[٢٨]. وهناك نصوص وردت في الأسفار الخمسة، تصرح بشكل صريح بأهمية احترام الإنسان غير اليهودي، إذ تحث اليهودي على إكرام الغريب الذي يحل ضيفاً عليه، ﴿Deu ٢٣:١٦ عِنْدَكَ يُقِيمُ فِي وَسَطِكَ فِي المَكَانِ الذِي يَخْتَارُهُ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ حَيْثُ يَطِيبُ لهُ. لا تَظْلِمْهُ﴾[٢٩]، ويمنع عليهم الحاق الظلم بأي غريب نزل بأرضهم ﴿Lev ١٩:٣٣«وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكَ غَرِيبٌ فِي أَرْضِكُمْ فَلا تَظْلِمُوهُ﴾[٣٠]. هذا الحرص على احترام الإنسان والإحسان إليه رغم أنه «غير يهودي»، يؤكده نص آخر في سفر التثنية، يعلن بشكل واضح تحريم الظلم بالغرباء ﴿Exo ٢٢:٢١ وَلا تَضْطَهِدِ الْغَرِيبَ وَلا تُضَايِقْهُ لانَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ﴾[٣١]، كذلك

٢٦ مصالحة عمر، "التلمود المرجعية اليهودية للتشريعات الدينية والاجتماعية"، دار الجليل، عمان –الأردن-، ط١، سنة ٢٠٠٦م، ص ٩٠
٢٧ سيراخ ٣:٥
٢٨ سيراخ ٣:٧
٢٩ تث ٢٣:١٦
٣٠ لا ١٩:٣٣

﴿Deu ٢٤:١٤ "لا تَظْلِمْ أَجِيراً مِسْكِيناً وَفَقِيراً مِنْ إِخْوَتِكَ أَوْ مِنَ الغُرَبَاءِ الذِينَ فِي أَرْضِكَ فِي أَبْوَابِكَ﴾[٣٢]. وفي إرميا منع الاضطهاد والظلم ﴿Jer ٢٢:٣ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَجْرُوا حَقًّا وَعَدْلاً، وَأَنْقِذُوا الْمَغْصُوبَ مِنْ يَدِ الظَّالِمِ، وَالْغَرِيبَ وَالْيَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ. لاَ تَضْطَهِدُوا وَلاَ تَظْلِمُوا، وَلاَ تَسْفِكُوا دَمًا زَكِيًّا فِي هذَا الْمَوْضِعِ﴾[٣٣]، وفي سفر زكريا نص صراحة على منع ظلم الغريب، وطالبهم بالإحسان ﴿Zec ٧:٩ هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: اقْضُوا قَضَاءَ الْحَقِّ وَاعْمَلُوا إِحْسَاناً وَرَحْمَةً كُلُّ إِنْسَانٍ مَعَ أَخِيهِ. Zec ٧:١٠ وَلاَ تَظْلِمُوا الأَرْمَلَةَ وَلاَ الْيَتِيمَ وَلاَ الْغَرِيبَ وَلاَ الْفَقِيرَ وَلاَ يُفَكِّرْ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَرّاً عَلَى أَخِيهِ فِي قَلْبِهِ﴾[٣٤].

إن هذه النصوص التي تؤكد على منع اضطهاد الغريب وظلمه، واحترام الضيف، هي امتداد لما جاء في الوصايا العشر لموسى، التي تحرم؛ القتل[٣٥]، والزنا[٣٦]، والسرقة[٣٨]، وشهادة الزور، وكل ما يقود المجتمع إلى مظاهر التفكك التعصب والكراهية الدينية[٣٨] حمايةً للنسيج الاجتماعي الإنساني والتعايش بين الأمم والأديان ﴿Exo ٢٢:٢٢ لا تُسِئْ الَى ارْمَلَةٍ مَا وَلا يَتِيمٍ. Exo ٢٢:٢٣ إِنْ أَسَاتَ إِلَيْهِ فَانِّي انْ صَرَخَ الَيَّ اسْمَعُ صُرَاخَهُ. Exo ٢٢:٢٤ فَيَحْمَى غَضَبِي وَاقْتُلُكُمْ بِالسَّيْفِ فَتَصِيرُ نِسَاؤُكُمْ ارَامِلَ وَأَوْلادُكُمْ يَتَامَى﴾[٣٩].كما وأوجب عليهم العدل بين الناس دون النظر في دينهم ﴿Exo ٢٣:١ لا تَقْبَلْ خَبَرا كَاذِبا. وَلا تَضَعْ يَدَكَ مَعَ الْمُنَافِقِ لِتَكُونَ شَاهِدَ ظُلْمٍ. Exo ٢٣:٢ لا تَتْبَعِ الْكَثِيرِينَ الَى فعل الشَّرِّ وَلا تُجِبْ فِي دَعْوَى مَائِلا وَرَاءَ الْكَثِيرِينَ لِلتَّحْرِيفِ. Exo ٢٣:٣ وَلا تُحَابِ مَعَ الْمِسْكِينِ فِي دَعْوَاهُ﴾[٤٠].

تكشف مظاهر العناية بالإنسان التي كشفت عنها أسفار التوراة التي أوردناه، جانباً مهما ومؤسساً من قيم التعايش والاعتراف بالآخر، هذه التعاليم التي تدعو إلى احترام الإنسان (غير اليهودي) تضع الأحكام التشريعية العنصرية السابقة -التي تجعل الإنسان اليهودي فوق الجنس البشري-، أمام تناقض للتوراة نفسها، ما يدل على عدم تناسقيتها مع الرؤية الدينية لتوراة موسى المؤسسة على التعايش واحترام الإنسان، ومع مقصد الأديان الإبراهيمية التي جاءت من أجل الإنسان/ مطلق الإنسان.

التسامح والتعارف المسيحي/ الإسلامي نقيض موضوعي للكراهية ا لد ينية

تُقدم نصوص الأناجيل الأربعة إشارات مهمة، عن عنايتها بالآخر واحترامه، من خلال التأكيد على محبة الإنسان، والتسامح

٣١ خر٢٢:٢١
٣٢ تث ٢٤:١٤
٣٣ إرميا ٢٢:٣
٣٤ زكريا ٧:٩-١٠
٣٥ خر ٢٠:١٣
٣٦ خر ٢٠:١٤
٣٧ خر ٢٠:١٥
٣٨ خر ٢٠:١٦ - ١٧.
٣٩ خر ٢٢:٢٢ - ٢٤
٤٠ خر ٢٣:١-٣

والتعايش، والتصالح بين الخصوم، وفق رؤية دينية قوامها السلم والسلام العالمي، تؤكد على العناية بالإنسان أو التأسيس لعلاقة مع الآخر قائمة مع التعارف الإنساني ونبذ الكراهية الدينية.

إن علاقة الإنسان بالآخر في النصوص المسيحية تفهم من خلال السياق التشريعي والاجتماعي والسياسي الذي نزل فيه الإنجيل، والذي تكوّن بسبب الفهم الكهنوتي؛ حيث أصبحت تلك التشريعات تخالف الفطرة الإنسانية، وتميز بين الإنسان، بحسب الجنس والعرق، وشرعت قتل (المخالف الديني). وجاء يسوع ليضفيّ على تلك الشريعة البعد الغائب فيها، وهي علاقة الإنسان بالإنسان، من خلال المحبة والتعايش والتسامح، لهذا تقدم نصوص الأناجيل الأربعة نزعة نحو تجاوز أغلال الشريعة، والاهتمام أكثر بالمحبة الإنسانية، وتصالح الإنسان مع أخيه الإنسان، وتحريم كل ما من شأن أن يضر أو يخلق عداوة مع الإنسان وأخيه الإنسان؛ فحرمت قتل الإنسان بدون حق ﴿Mat ٥:٢١ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ﴾[41]. وحرم الغضب على الإنسان ﴿Mat ٥:٢٢ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ﴾[42]. بل إنه أوجب الرضا الخصم، وهذه قمة الحرص على التصالح والمحبة بين الإنسان والإنسان، ولم يتحدث عن فرق بين الإنسان وغيره ﴿Mat ٥:٢٥ كُنْ مُرَاضِياً لِخَصْمِكَ سَرِيعاً مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ لِئَلَّا يُسَلِّمَكَ الْخَصْمُ إِلَى الْقَاضِي وَيُسَلِّمَكَ الْقَاضِي إِلَى الشُّرَطِيِّ فَتُلْقَى فِي السِّجْنِ﴾[43]. وأوجب رد الديون إلى أصحابها ﴿Mat ٥:٢٦ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لاَ تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ الْفَلْسَ الأَخِيرَ!﴾[44]. وحرم الزنا -حتى أنه وسع مفهومها ليعتبر كل من نظر إلى امرأة بشهوة فقد وقع في الزنا-، ﴿Mat ٥:٢٧ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. Mat ٥:٢٨ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ﴾[45]، ودعا للصفح عن الناس ﴿Mat ٦:١٤ فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَّتِهِمْ يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ﴾[46].

تكشف هذه النصوص عن جوانب من المحبة المسيحية والنزعة نحو التعارف الإنساني، حيث اعتبرت الأناجيل محبته وتكريمه أفضل من مظاهر إقامة الشريعة نفسها ﴿Mat ٥:٢٣ فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ. Mat ٥:٢٤ فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ

٤١ مت ٥: ٢١
٤٢ مت ٥: ٢٢
٤٣ مت ٥: ٢٥
٤٤ مت ٥: ٢٦
٤٥ مت ٥: ٢٧ – ٢٨
٤٦ مت ٦: ١٤

وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ﴾[47]. فأهمية الأخوة الإنسانية والنزعة نحو التصالح مع الإنسان خير وأفضل من تقدمة القربان، لهذا (ف) انفتاح "الإنسان على (الله) يؤدّي حتماً إلى انفتاح الإنسان على أخيه الإنسان، إلى درجة أن يصبح فيها هذا الانفتاح بُعداً أساسياً لطبيعة الإنسان. هذا البعد هو ما يسمّى، في المسيحية، "المحبّة"، أي محبة الإنسان لأخيه التي تعادل محبته (لله)، بل هي تتقدم على محبّة (الله) في الأوّلية، لا في الأولوية؛ ومحبة الله تتأسس عليها، هذا يعني أن خلاص الإنسان يبتدئ بمحبة الإنسان لأخيه، لا بمحبته (لله): الإنسان أولاً ثم (الله)، لأن الإنسان هو الوسيلة إلى (الله). والوسيلة، عادة، تكون، من حيث الزمن، قبل الغاية"[48].

إن العناية بتحسين علاقات الإنسان بالآخر، والاهتمام بالجوانب الاجتماعية في علاقاته، وتفضيله على طقوس الشريعة، مدخل تجاوزي/ نقدي للنصوص التي يتم انتقاؤها للتأسيس للكراهية والأفضلية الدينية والاجتماعية للإنسان المسيحي عن المخالف الديني. الأمر الذي تؤكده نصوص أخرى تبرز هذا الفهم، يدعو فيها إلى الصفح، ففي إنجيل متى: ﴿Mat ١٨:٢١ حِينَئِذٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بُطْرُسُ وَقَالَ: "يَا رَبُّ كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟"﴾[49]، وفي نص آخر من الإنجيل نفسه ﴿Mat ٥:٣٥ وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ وَلاَ بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ﴾[50]. واعتبر الاضطهاد من أجل الحق قمة البر ﴿Mat ٥:١٠ طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ﴾[51].

هذه المعاني ذاتها تؤكدها النصوص الإسلامية فقد جاء التأكيد صراحة على التعارف الإنساني في سورة الحجرات، جاء فيها قوله U: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[52]. يُذكر النص الناس على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم أن أصل خلقهم واحد من ذكر وأنثى، التي تنفي عنهم الاختلاف، وتجعلهم في مقام إنساني واحد. ويقرن النص بين أصل هذه الخلقة وتقسيمهم إلى مجموعات بشرية (شعوبا وقبائل) لغاية التعارف. وجاء الخطاب في الآية بصيغة النداء (يا أيها الناس) للتأكيد على أن «الذي يناديهم هذا النداء هو الذي خلقهم من ذكر وأنثى، وهو يطلعهم على الغاية من جعلهم شعوبا وقبائل. إنها ليست التناحر والخصام. إنما هي التعارف والوئام. فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء

٤٧ مت ٥: ٢٣ - ٢٤
٤٨ قزي، أ. جوزف، "بين المسيحية والإسلام"، سلسلة الحقيقة الصعبة، رقم ١٨، دار من أجل المعرفة، ديار عقل –لبنان- ٢٠٠٦م، ص ٢٨٥
٤٩ مت ١٨: ٢١
٥٠ مت ٥: ٣٩
٥١ مت ٥: ١٠
٥٢ سورة الحجرات، الآية ١٣

بجميع الحاجات. وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله ٧. إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس"[٥٣].

إن علاقة الإنسان بالآخر من خلال "التعارف" تستنبط كذلك من سياق آيات قرآنية أخرى جاء فيها الخطاب إلى "الناس" دون اختصاصٍ للعقيدة (مؤمنين أو كافرين)، أو لغاتهم وأقوامهم، إنما الخطاب يكون فيها بـ(يا أيها الناس)؛ فقد خاطب الإنسان ليذكره بأصل خلقهم من أصل واحد[٥٤]، بخطاب (الناس)، وأمرهم بالعدل بين الناس رغم اختلافهم العقدي والاجتماعي[٥٥]، الذي ينظر إليه القرآن على أن ذلك لحكمة إلهية[٥٦]، ويخاطب القرآن بخطاب الإنسان تأكيداً على خشية الله رب كل الناس[٥٧].

يؤكد هذا أن الخطاب القرآني "موجه للناس كافة، ولم يخص المؤمنين أو الكافرين، ولو حللنا كلمات الآية في سياقها لعرفنا أن الله ٧ عندما يخاطب الناس إنما يخاطبهم لأنهم جميعاً خلقه، وجميعهم يدين بمسألة الخلق للإله الواحد الأحد. فقبل أن يكونوا مؤمنين وجه الخطاب لهم باعتباراتهم الإنسانية العاقلة، وحتى في هذا الخطاب فإن الله سبحانه ساوى بين الناس كافة كافرهم ومؤمنهم أسودهم وأبيضهم، ومهما تعددت لغاتهم وتباينت"[٥٨].

لهذا جعل القرآن (التعارف) في دوائر بحيث يحصل التعارف "طبقة بعد طبقة متدرجا إلى الأعلى، فالعائلة الواحدة متعارفون، والعشيرة متعارفون من عائلات إذ لا يخلون عن انتساب ومصاهرة، وهكذا تتعارف العشائر مع البطون والبطون مع العمائر (القبيلة والعشيرة)، والعمائر مع القبائل، والقبائل مع الشعوب لأن كل درجة تأتلف من مجموع الدرجات التي دونها"[٥٩]. وغاية التعارف أن يتعارف المسلم وغير المسلم من الشعوب، رغم اختلاف المعتقدات والعقائد، فإن المسلم بحسب النص القرآني مطالب بالتعارف مع الأمم الأخرى رغم اختلاف المعتقدات، وعلى هذا تكون علاقته بالآخر سعياً للتعارف لأن "غاية خلق الله لهذه البشرية وانتشارها أن تتعارف فيما بينها فلا أفضلية لأحد على آخر والأفضل في المقياس الإلهي هو التقوى، وهذه التقوى تحمل الكثير من الدلالات فهي الإيمان، وهي المساواة والعدالة، وعدم الظلم أو التكبر فهي ضد الأنا الفوقية، وضد العنصرية وضد الإبادة والجرائم والحروب العدائية"[٦٠]. ونجد هذا أيضا في النصوص المسيحية، حيث أكد المسيح عليه السلام على محبة الآخر﴿Luk

٥٣ قطب سيد، "في ظلال القرآن"، ط. دار الشروق، مر، س، ج٦، ص ٣٣٤٨
٥٤ سورة البقرة، الآية ٢١؛ سورة النساء الآية ١.
٥٥ سورة هود، الآية ٨٤؛ سورة ص، الآية ٢٦
٥٦ سورة هود، الآية ١١٨؛ سورة البقرة، الآية ٢١٣؛ سورة يونس، الآية ١٩
٥٧ سورة الحج، الآية ١
٥٨ الباش حسن، "منهج التعارف الإنساني في الإسلام"، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس-، ط١، سنة ١٣٧٣هـ/٢٠٠٥م، ص ٢٠
٥٩ ابن عاشور، الطاهر، "التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر، - تونس-، سنة ١٩٨٤ هـ، (بدون رقم طبعة)، ٢٦/ ٢٥٩
٦٠ () الباش حسن، "منهج التعارف الإنساني في الإسلام"، مر، س، ص ٢٠.

٦:٢٧ «لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ Luk ٦:٢٨ بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. Luk ٦:٢٩ مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضاً. Luk ٦:٣٠ وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ. Luk ٦:٣١ وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ هَكَذَا. Luk ٦:٣٢ وَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضاً يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ. Luk ٦:٣٣ وَإِذَا أَحْسَنْتُمْ إِلَى الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَيْكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ هَكَذَا. Luk ٦:٣٤ وَإِنْ أَقْرَضْتُمُ الَّذِينَ تَرْجُونَ أَنْ تَسْتَرِدُّوا مِنْهُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضاً يُقْرِضُونَ الْخُطَاةَ لِكَيْ يَسْتَرِدُّوا مِنْهُمُ الْمِثْلَ. Luk ٦:٣٥ بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئاً فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيماً وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ. Luk ٦:٣٦ فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ﴾[٦١].

إن (التعارف) وفق التحليل السابق، تنتقل بعلاقة الإنسان بالآخر، إلى مستوى تزول فيه الفوارق العقدية والاجتماعية واللغوية... فيتعامل الإنسان (المسلم) مع الآخر من منطلق التعارف دون النظر إلى عقائدهم ومعتقداتهم، لأن المعيار النظر إلى الأصل الذي جمع الناس في مرتبة إنسانية واحدة من خلال وحدة أصل البشرية ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٦٢]. وهذا المقام معياره (الإنسان) ومن تم يكون خطاب المسلم إلى الإنسانية من أجل التعارف، الذي يفتح آفاق التعايش والتعاون، بما يضمن بناء مجتمع عالمي يحتكم إلى الأخلاق الإنسانية الكونية، التي أحد مداخله «التعارف» المؤسس على غاية خدمة الإنسان.

خاتمة

تُشكل الكراهية الدينية المؤسسة على أسس دينية، من الكتب المقدسة، خطورة وتهديدًا للتعايش والتعارف بين المجتمعات والشعوب، وتمتد آثارها إلى ما هو سياسي واجتماعي، خاصة إذا تعلق الأمر بالكراهية بين أبناء الدين الواحد، ومن أبرزها انتقاء النصوص وسوء توظيفها، وقراءتها خارج الرؤية الكلية الناظمة للأديان الإبراهيمية، وبعيدًا عن مقتضيات التوحيد والربانية، التي تدعو إليها هذه الأديان، والتي تؤكد على أهمية احترام الإنسان بمختلف مستوياته ومعتقداته، لأن الأفضلية الدينية لهذه الأديان، لا تلغي الإقرار بحرية الإنسان في الاختيار، التي تم الإعلان عنها منذ الخلق الأول للبشر.

٦١ لو٦: ٢٧ – ٣٦، مت ٥: ١٧ – ١٨
٦٢ سورة البقرة الآية ٢١٣

مصادر البحث:

١. "التلمود البابلي"، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمّان- الأردن-، ط١، سنة ٢٠١١م.

٢. القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

٣. "الكتاب المقدس"، دار الشرق الأوسط، الإصدار السابع ٢٠٠٧م، ط١، دار الكتاب المقدس بمصر.

٤. ابن عاشور، الطاهر، "التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر، - تونس-، سنة ١٩٨٤ هـ، (بدون رقم طبعة).

٥. ابن قيم الجوزية، "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"، دار الكتب العلمية – بيروت-، ط١، سنة ١٩٩٣م.

٦. ابن ماجة، "سنن ابن ماجه"، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، (دون رقم، الطبعة، ولا سنة النشر).

٧. أحمد بن محمد، ابن حنبل، "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، سنة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٨. إيبش أحمد، "التلمود كتاب اليهود المقدس: تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه"، قدم له، سهيل زكّار، دار قتيبة، -دمشق-، آذار ٢٠٠٦م، بدون رقم ط،

٩. بابا قاما ٣٧ ב،

١٠. الباش حسن، "منهج التعارف الإنساني في الإسلام"، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس-، ط١، سنة ١٣٧٣هـ/ ٢٠٠٥م

١١. البخاري، محمد بن إسماعيل، "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"، مراجعة وضبط، محمد علي القطب، هشام البخاري، المكتبة العصرية، صيدا –بيروت-، ط. منقحة ومفهرسة، (بدون رقم) سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٢. عبوداه زاراه ٣٦ ב

١٣. قزي، أ. جوزف، "بين المسيحية والإسلام"، سلسلة الحقيقة الصعبة، رقم ١٨، دار من أجل المعرفة، ديار عقل –لبنان- ٢٠٠٦م

١٤. قطب سيد، "في ظلال القرآن"، ط. دار الشروق

١٥. كوهن (Cohn A)، "التلمود (الأخلاق، الآداب، الدّين، التقاليد، القضاء)"، ترجمه إلى العربية، سليم طنوس، دار الخيّال للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت –لبنان، ٢٠٠٥م.

١٦. مصالحة عمر، "التلمود المرجعية اليهودية للتشريعات الدينية والاجتماعية"، دار الجليل، عمان – الأردن-، ط١، سنة ٢٠٠٦م

١٧. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، "(صحيح مسلم) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت –لبنان-، ط١، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٨. يباموت ٩٨ א.

دور النصوص الدينية في توجيه الخطاب للآخر؛ النصوص اليهودية أنموذجًا

الدكتور

وليد مسعود منصور

جُبِل الإنسان على التآلف والتوائم مع محيطه، فهي فطرة بشرية لا يشذ عنها إلا من خرج عن نطاق الفطرة الإنسانية؛ عامدا أو غافلًا، ذلك أن الإنسان أيًا كان معتقده بطبيعته كائن اجتماعي، لا تستقيم ملكاته إلا في إطار من الود مع مَن حوله، وقد أثبتت التجربة أن الانسان لا يتنازل عن مَلَكَة المسالمة والود مع الآخرين في غالب أمرهإلا في حالتين، إحداهما مصالحه الخاصة وضعف إرادته أمام رغباته والأخرى انقياده لنصوص دينية تملى عليه مشاعره تجاه الآخرين؛ بدعوى أن المخالفة تقتضي التميز- تميز الكاره على المكروه- ومن باب قناعة صاحب النص بفكرة الانتخاب الإلهي على سائر المحيطات.

ومما دلَّت عليه حوادث الدهر؛ أن شرَّ من بُليت الإنسانية بدائه واصطلت بناره، هو ذاك؛ المنتسب إلى مفهوم الاصطفاء الإلهي على إطلاقه؛ فمهما يكن منه جُرما وتعديًا، يرى ذاته فوق كل آخر، متأولًا لنفسه كل خطيئة، مبرزًا هِنَّات غيره أنها من آفات الدهر ولا ريب.

والنصوص اليهودية؛ بظروف نشأتها في التاريخ القديم وفي خضم أمواج عاتيةمن الحروب والأساطير والهزائم والسَبْي، لاريب أنها قد اصطبغت بمادة الحياة القديمة وفقًا لبعض ما أسلفتُ ذكره.

ولذلك جاءت مزيجًا من النصوص مستقيمة المسلك إنسانيًا ونقائضها من حيث العداء والكراهية للآخر، وفي هذه الورقات البحثية اجتهدتُ للوقوف على بعض مظاهر هذا الاضطراب وأسبابه فيما يتعلق بالعلاقة بين اليهودي فردًا وجماعةًوبين الآخر، مقتفيا أثر المنهج التكاملي في معالجة مادة هذا البحث، إذ هو أنسب لطبيعة المادة المتراكبة للنص المقرائي، وقد جاء البحث موزعًا على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، فإن أكُن وفقت فيها ونعمَت وهذا الذي سعيتُ لأجله، وحسبي أن ينسخ خطئي بصواب أساتذتي الأجلاء من العلماء والباحثين الكرام.

المبحث الأول: ألفاظ الأغيار في الدلالة اليهودية

تنوعت الفطرة الإنسانية على قسيم من المحبة والكراهية، يتوزعان صدورا من الفرد أو الجماعة؛ وفقا لعوامل عديدة وبتأثير من ظروف خاصة تحملُ على أيّ منهما، وكذا الجماعة اليهودية؛ كغيرها من الجماعات والشعوب، ويمثلها في الدلالة عليها من حيث علاقاتها بالآخرين وبروز مشاعر الحب والكراهية، كتابها المقدس وهو النص المقرائي أو العهد القديم وفقا لتسميته المسيحية.

وبدراسة منهج النص المقرائي وروافد اليهودية عمومًا، لاستجلاء طبيعة الشعب اليهودي في تعامله مع الأغيار، فإننا نقف على ما يثير شهية التساؤل عن كثير مما لم يُجْد معه التأويلُالتماسًا لفهمه، ولعل خصوصية النص المقرائي هي منبع الاستفهامات التي لا تنقضي، فهو نصٌ نشأ ودُوِّنَ بعد تداوله شفاهيا فترة تربو على العشرة قرون زمنيا، مع خِلافٍ بين الرِّبين والحكماء فيما تصح نسبته لمسمى القداسة وما لا تصح نسبته وهوما اصطلح على تسميته بالأسفار القانونية وغير القانونية، وفي خلال هذه الفترة الزمنية الممتدة؛ اعتورته جميعُ العوامل التي يمكن أن يتعرض لها نصٌ مكتوب دينيا وسياسيا واجتماعيا، فكان ولابد أن تجد لها طريقا في ثناياه، من حيث تناقض المادة بأنساقها الثلاثة؛ الديني والتاريخي والأدبي.

وقد انسحبت هذه الخصوصية على تاريخ اليهودية وأهلها، فصار لتاريخ اليهودية وأهلها خصوصية مرعية في التاريخ من حيث السياق والدلالة والنواتج.على أن هذه الخصوصية التي نتحدث عنها؛ حَمَلَ عليها دورانُ العقيدة الإسرائيلية ومسرودها التاريخي على تفاصيل حياة الأسرة اليعقوبية وأَبَوَيْها إبراهيم وإسحاق، وما ادعاه النص مرارا من اختيار إثني إلهي لبني إسرائيل أو هكذا أُوِّل وفُهِم عن إرادة عامدة.

ومما لاريب فيه أن توغل مفهوم الاختيار الإلهي لبني إسرائيل وما انبنى عليه من حقوق في تاريخ الجماعة اليهودية، قد أسهم بفعالية في تشكيل علاقة الجماعة اليهودية بغيرهم؛ من حيث القبول لآخر أو رفضه ومحبته أو كراهيته، وهو ما يستدعي بداءةً الوقوف على حقيقة مدلول "الغير" في اليهودية.

وقد استخدمت العبرية للدلالة على مفهوم الآخر والغير في العهد القديم واليهودية عموما عدة ألفاظ، منها: גּוֹי وجمعها גּוֹיִם أي أغيار و נֵכָר وتعني كنعاني واستخدمت للدلالة على الكنعانيين خصوصا وعلى الأجانب والأغيار عموما بدلالة سلبية حمل عليها السياق التاريخي للعداء بين اليهود والكنعانيين أصحاب الأرض الأصليين، قبل دخول بني إسرائيل إليها وتعني غير اليهودي أو الغرباء "و(جوي جوي) ربما تقابل في العربية كلمة (غوغاء) التي تطلق على الأخلاط غير معروفي الأصل ... والجوييم يعدون غرباء مع كل مايترتب على ذلك من تمييز في الحقوق المدنية والتشريعية وفي كل المعاملات المالية" [1] وقد وردت لفظة גּוֹי في العهد القديم للدلالة على النفس البشرية عموما وعن بني اسرائيل خصوصا مثل التكوين ٢٣:٢٥ (فقال لها الرب: "في بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان: شعب يقوى على شعب، وكبير يستعبد لصغير) (וַיֹּאמֶר יְהוָה לָהּ, שְׁנֵי גוֹיִם בְּבִטְנֵךְ, וּשְׁנֵי לְאֻמִּים, מִמֵּעַיִךְ יִפָּרֵדוּ; וּלְאֹם מִלְאֹם יֶאֱמָץ, וְרַב יַעֲבֹד צָעִיר) والتي تتحدث عن ابني اسحاق؛ يعقوب وعيسو. وفي بعض الفترات الزمنية اختصت اللفظة بالدلالة على الوثنيين " إذ في بعض الأحيان يُقصد بلفظة גּוֹי جميع الوثنيين في مملكة واحدة، ولذلك في مواضع عديدة في المقرا تأتي كلمتا (الوثنيون) و (الملوك) مثال لذلك في سفر ارميا ٥٠: ٤١ أو (وثني) و(ممالك) مثالا لذلك في سفر ارميا ٢٩: ١٨ بالتوازي مع بعضها البعض، لكن المفهوم "وثني"أُطلق على شعب إسرائيل قبل غزو الأرض وتأسيس المملكة" [2].

إلا أن تتُّبع اللفظة بتطورها الدلالي يفيد تخصيص استعمالها بمضي الزمن للدلالة على غير اليهود، وهى عادة اللغات عموما في التطور الدلالي لألفاظها "وقد سلكت (جوي) في العبرية نفس الطريق في تطورها، من إفادة معنى الهوام والحشرات، إلى اختلاط الناس ثم إلى سفلتهم وأشرارهم ... وأمثلة ذلك في الكتاب المقدس كثيرة منها: في اللاويين ٣٣:٢٦، نحميا٨:٥، المزامير٢١:٩، إشعيا٦:٤٢ ثم توسع أحبار اليهود في مدلول (الجوييم) فأضافوا إلى الكلمة معنى القذارة المادية والروحية" [3] ويستخدم أيضا اللفظ נֵכָר للدلالة على غير اليهود بمعنى سلبي مرذول ومن أمثلة وروده في النص المقرائي في سفر هوشع ٨:١٢ (مثل الكنعاني في يده موازين الغش يحب ان يظلم) " ومن الألفاظ التي استعملها العهد القديم للدلالة على الآخر في النص هو مصطلح נָכְרִי بمعنى الغريب أو الأجنبي للدلالة على غير اليهود وكل ما يتعلق بهم، حيث استخدم كاتب العهد القديم المصطلح للأرض الأجنبية وللآلهة الأجنبية وللشعب الأجنبي... فيرد في سفر التثنية ٢١:٢٣ طريقة معاملة الأجنبي التي تختلف عن معاملة اليهودي؛ حيثيرد: للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض

١- سامي الأمام (الفكر العقدي اليهودي)، بدون بيانات نشر، ص:١٤٢.
٢- אנציקלופדיהמקראית، הוצאתמוסדביאליק.ירושלים، ١٩٥٤، כרכב، ע: ٤٥٧.
٣- حسن ظاظا (١٩٨٥) الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، ط: أولى، ص:٤٨.

بربا لكي يباركك الرب الهك في كل ما تمتد اليه يدك في الارض التي انت داخل اليها لتمتلكها"[٤] كما تستخدم ألفاظ أخرى مثل גֵּר وזָר واللتان انفردت كل منهما بدلالة خاصة مع الدلالة العامة على غير اليهود وما يتعلق بهم.ومما يجدرذكره مصطلح ערברבويعني كثير أو خليط من الغرباء وقد ورد في قصة الخروج من مصر في سفر الخروج (وصعد معهم لفيف كثير) الخروج ١٢:٣٨ "وبحسب تفسيرراشي فإن المقصود ب (لفيف كثير) هو مجموعات من الغرباء وباستثناءقصة خروج مصر لم يرد هذا المصطلح في بقية العهد القديم، ويرى راشي أن (اللفيف الكثير) هم الفاسدون الذين يتحدث عنهم الرب في سفر الخروج (اذهب، انزل؛ لأنه فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر) ويقول راشي: إنهم سبب غضب الرب فلأن موسى وافق على انضمامهم لجماعة بني اسرائيل... دوناستشارة الرب في شأنهم، فهؤلاء فسدوا وأفسدوا، ويقول إن اللفيف الكثير كانوا من المصريين الذين رافقوا بني اسرائيل عند خروجهم من مصر"[٥] ومصطلح ערברב بدلالته المذكورة آنفا، يتضح أن المقصود به هو: المتهوّدين من أصل غيريهودي ويلاحظ أنه قد نسبت إليهم كثير من الرزايا والمصائب التي حلت ببني إسرائيل، إذ منهم خرج معظم الذين تذمروا على موسى والرب، ومن هذا المنحى فهودالٌ على حقيقة التفكير المصطلحي اليهودي في الآخر.ومن المصطلحات المشنائية للدلالة على الآخرين، مصطلح אַפִּיקוֹרוֹס وتعني أبيقوري؛ نسبة للفيلسوف اليوناني (أبيقوروس) هرطوقي، كافر، منحرف بآرائه غير مؤمن بالآراء المألوفة «ولقد خص الحاخامات بدلالة هذا المصطلح كل من ينكر التوراة وتعاليمها ويسخر من الحاخامات أو يهاجم آراءهموفتاواهم وتعاليمهم... أي أن علة ظهور هذا المصطلح في المشنا هي علة دينية للحفاظ على أتباع الديانة اليهودية وتحذيرهم من السير في طريق هؤلاء الهراطقة"[٦].

المبحث الثاني: دلالة المحبة والكراهية في خطاب النص اليهودي للآخر

على أن علاقة اليهودية بالآخر؛ يمكن النظر إليها في إطار ثلاث مستويات مقرائية:أولها؛ من بداية سفر التكوين حيث مقدمة تاريخ البشرية والتي وردت في سياق العرض العام لتاريخ الآباء الكبار إبراهيم واسحاق ويعقوب، إضافة إلى أبناء يعقوب، ثم الفترة الموسوية أي زمن موسى وهارون ومعهما يوشع بن نون، تليهما جميع المادة التاريخية بعد الفترتين السابقتين بما فيهما من سبي وشتات، ويلاحظ فيها على الجملة أن مستوى التعبيرعن العلاقة مع الآخروتوصيفه يكون موادعا ولطيفا كلما كان الرمز الدال على الجماعة اليهودية ضعيفا أو مستضعفا.

حيث نلاحظ أن مستوى العداء للآخرين في المقرا قليلٌ نسبيا في زمن إبراهيم وإسحاق

٤- مصطفى عبد المعبود سيد (٢٠٠٩) دراسات في المشنا، سلسة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد رقم ٤٠، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، ص:١٢٥.

٥- سامي الإمام، موسوعة الفكر العقدي اليهودي، مصدر سابق، ص:١٤٣.

٦- مصطفى عبد المعبود سيد (٢٠٠٩) دراسات في المشنا، مصدر سابق، ص:٢٢٩.

وأبناء يعقوب ثم يشتد في زمن موسى وهارون بفعل الاستقواء والاطمئنان إلى ما ذكر من المعجزات الإلهية المؤيدة للجماعة وهو ما زاد من جراءة الجماعة في قسوتها مع الآخر نسبيا، ثم تشتد إلى حد بالغ في زمن يوشع بن نون بعد تكوين جيش موحد والانتصار على الكنعانيين وسكان الأرض والاطمئنان إلى قوتهم الذاتية، وتظل على نفس الوتيرة من القسوة والكراهية للآخر بل وتزيد، بفعل الحروب والصراعات مع الأمم المحيطة، حتى يأتي زمن السبي الأول عام ٧٢٢ق.م والثاني عام ٥٨٧ق.م ثم الخلاص على يد قورش الفارسي ، فتبدأ مرحلة أخرى في الصراع مع الآخر حيث النبوءات الوعيدية لكلا الطرفين، للمقصرين في الالتزام بتعاليم الرب من بني اسرائيل ولآسريهم حيث تتوعدهم بالثبور والخراب لممالكهم، وأحيانا تأتي أسفار ممجدة للآخر إذا قدم معروفا للجماعة اليهودية رغم كونه كافر بالديانة، كما حدث مع الملك الفارسي قورش في سفر استير.

هذا الاضطراب في الظروف السياسية والدينية، وتحرك مضامين المادة الدينية في اليهودية وفقا للظروف التاريخية؛ أثمر عن خضوع الديانة للتاريخ "وقد أدى خضوع الديانة للتاريخ إلى تعرضها للتغير المستمر... واتصفت الديانة أيضا بالطابع القومي فأصبحت ديانة قومية خاصة، وفسرت مفاهيمها ومعتقداتها تفسيرا قوميا[٧] "وكل ذلك قد عاد بأثره ولا شك على مضمون الخطاب المقرائي تجاه الآخر، فنجد نصوصا متناثرة تبث مشاعر الاحترام والمودة في توصيفها للعلاقة مع الآخر، إذ نجد في التثنية ٢٣:٧ (لا تكره أدوميا لأنه أخوك، لا تكره مصريا لأنك كنت نزيلا في أرضه) ويأمر الرب في المقرا بالإحسان إلى الغريب فيرد في سفر اللاويين ١٩:٣٣-٣٤ (وإذا نزل عندك غريب في ارضكم فلا تظلموه.٣٤ كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك لأنكم كنتم غرباء في ارض مصر. أنا الرب إلهكم) ،وحتى وصية راحة السبت قد شملته رفقا به (ستة ايام تعمل عملك، وأما اليوم السابع ففيه تستريح لكي يستريح ثورك وحمارك ويتنفس ابن أمتك والغريب) الخروج ٢٣:١٢ ولا خلاف على هذا المعنى المفهوم للوهلة بين الحكماء، إذ نجد سعديا الفيومي في تفسيره لهذا الموضع؛ يقره على دلالته فيقول " ستة أيام اعمل أعمالك فيها وفي اليوم السابع تسبت لكي يستريح ثورك وحمارك ويقر ابن أمتك والغريب عندك[٨] "وعلى لسان النبي حزقيال يوبخ الربُّ الذين يظلمون الغرباء فيورد في سفر حزقيال ٢٢:٢٨ (شعب الارض ظلموا ظلما وغصبوا غصبا واضطهدوا الفقير والمسكين وظلموا الغريب بغير الحق) ورغم كل هذه النصوص التي تحث على الود واحترام حق الآخر، إلا أننا نفاجأ بوفرة من النصوص متواترة المعنى والدلالة في إقصاء الآخر والقسوة على غير بني اسرائيل واعتبارهم مادة مكملة في حياة الجماعة اليهودية وليس إنسانا يحظى بكامل حقوقه وأهليته.

٧- محمد خليفة حسن (٢٠٠٢) تاريخ الديانة اليهودية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ص: ١٧٥.

٨- سعديا بن جاؤون بن يوسف الفيومي، تفسير التوراة بالعربية، أخرجه وصححه: يوسف درينبورج، نقله إلى الخط العربي وقدم له وعلق عليه: سعيد عطية مطاوع، أحمد عبد المقصود الجندي (٢٠١٥)، المركز القومي للترجمة، مصر، العدد ٢٤٥٢، ط: أولى، ص:٢٤٨.

على أنه يمكننا تقسيم خطاب الكراهية في العهد القديم إلى قسمين رئيسين، أولهما: كراهية الرب لخصوم بني إسرائيل، وثانيهما: كراهية بني اسرائيل لخصومهم، وفي القسم الأول الذي يدلل على كراهية الرب لخصوم بني اسرائيل يورد سفر الخروج ٢٣:٢٣ (فان ملاكي يسير امامك ويجيء بك الى الاموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين.فابيدهم) ونلاحظ من النص أن النية مبيتة تجاه هذه الشعوب، فالوعيد يسبقهم حتى قبل أن يلتقوا بشعب اسرائيل. وفي الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية، يثبت العداء الأزلي لشعبي عمّون وموآب بأمر مباشر من الرب، ويحرم على شعب اسرائيل أن ينتظر منهم أو يرجو لهم سلامًا إلى الأبد، وحتى إنه لا يقبل منهم من أراد أن يترك شعبه ودينه ويهود، كل ذلك لأجل أنهم اشتهوا في نية بني اسرائيل أنهم يريدون احتلال أرضهم عند مرورهم منها على أثر خروجهم من مصر ورفضوا أن يمدوهم بالخبزوالماء، فكانت تلك الوصية بالكراهية الأبدية، حيث يذكر سفر التثنية ٢٣:٣-٦ (لا يدخل عموني ولا موابي في جماعة الرب.حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم احد في جماعةالرب الى الابد.٤من اجل انهم لم يلاقوكم بالخبزوالماء في الطريق عند خروجكم من مصر...لا تلتمس سلامهم ولا خيرهم كل ايامك الى الابد) ولا يقتصر الأمر على كراهية الرب لخصوم بني اسرائيل من الشعوب الأخرى،بل كراهية موجهة لمن اعتبرهم النص المقرائي دون جريرةٍ خصوما من بقية نسل الأب الأعلى "إبراهيم"، مثلما حدث مع عيسو شقيق يعقوب وابن اسحق ورفقة، حيث لم يرتكب عيسو جناية ولكن يتعمد النص تشويه سيرته رفعا لمقام يعقوب جد بني اسرائيل وصاحب المقام في التاريخ والديانة اليهودية على حساب أخيه عيسو، فيذكر سفر ملاخي ١:٢-٣ (احببتكم قال الرب.وقلتم بم احببتنا.اليس عيسو اخا ليعقوب يقول الرب واحببت يعقوب٣وابغضت عيسو وجعلت جباله خرابا وميراثه لذئاب البرية) هذا فيما يتعلق بخطاب الكراهية الذي يؤصله إله النص المقرائي في نفوس بني إسرائيل، صادرًا من الرب ذاته تجاه خصوم أتباعه.وحينما نتدبر السبب المحتمل وراء هذا التوجه العدائي من إله العهد القديم تجاه الأمم الأخرى؛ فإنه يبرز لنا انعكاس تصور الأمم القديمة عن آلهتها الأبطال، وهو ما يبدو أنه قد انعكس على تصويرالعهد القديم للإله أدبيا في صورة البطل، " إن أحد الموضوعات المشتركة في إبداعات العهد القديم الكثيرة هو الصراع بين البطل الأدبي الإله وبين أبطال الأدب من البشر، ويتجلى التعبيرعن ذلك في قصص... بداية من وصف الجدال حول مشكلة أخلاقية العقاب الجماعي الذي يدور بين إبراهيم والإله، عندما يرسل الإله مبعوثيه لتدمير سدوم وعمورة، ثم يتهم إبراهيم الإله بأنه يصدر حكما على كل الأرض دون أن يقيم محاكمة عادلة، حيث نكبة الدمار والقتل لسكان مدن كاملة...فتلك النكبة لا تفرق بين الصديق والشرير[٩]"أما فيما يتعلق بالكراهية الموجهة من بني اسرائيل لخصومهم، والذي لابد

٩- يعقوب ملكين، يهودية بلا إله، ترجمة وتعليق: أحمد كامل راوي، مراجعة: أحمد محمود هويدي (٢٠١٢) مركز جامعة القاهرة للغات الترجمة، ص: ٢١٨.

أنه قد نبع مبنيا على ما صدر من الرب ذاته تجاه الشعوب الأخرى، فنجد أن مشكلات بني اسرائيل مع الشعوب الأخرى قد برزت مبكرا مع سفر التكوين ٩:١٨، حيث تتضح بجلاء النزعة العدائية للنص وتجرده من الموضوعية في محاولته لتشويه تاريخ (كنعان بن حام بن نوح) وهو الابن المظلوم ظلامة بينة من خلالالنص ولكن حالة العداء التي وقعت بين بني اسرائيل والكنعانيين جعلتهم يستهدفون تاريخ جدهم الأكبر (كنعان) بالتشويه وذلك من المنظور اليهودي.

وحتى قبل نزوح الأسرة اليعقوبية إلى أرض مصر، تتبدى العدائية مع جيران الأرض في تصرفٍ بالغ القسوة، وذلك حين يعتدي (شكيم بن حمور الحِوّي) على (دينه) ابنة يعقوب فتلحقه وأهل مدينته كلها عقوبة قاسية جدا، وكان العدل أن تتوقف عند مرتكب الجناية ولكن يهوذا ولاوي أخوي دينه ابنة يعقوب قتلا –بحسب النص- جميع ذكور المدينة، بحيلة اخترعاها وفقا للرواية، حتى إن يعقوب نفسه قد نفر من صنيعهما واعترض عليهما.وفي الحقيقة؛ إن مشاعر العداء والكراهية اليهودية المندفعة تجاه الآخر، لا تتوقف بواعثها عند الاحتكاكات الحياتية والمشكلات السياسية مع الأمم المحيطة، وإنما تعدتها إلى مستوى شعوري أعمق، ينعكس على مستوى الفتاوى الفقهية المحدثة للمزالق الناتجة عن تعنت النص المقرائي مع أبناء الشعوب الأخر، حتى في حال رغبتهم في التهود ومفارقة أديانهم، فنجد أن بعض الفرق اليهودية حرمت تهود بعض الأجناس حرمة مؤبدة كالعمونيين والمؤابيين " والخلاصة أن دخول الجنس العموني والمؤابي في الزمرة حرام إلى الأبد...ومن هنا عرفنا أيضا أبدية حرمة ابن الحرام لقوله بشأنه (إلى عاشر جيل) ثم قوله بعد نظير هذه الجملة تماما بشأن العموني والمؤابي (إلى الأبد)"[١٠] وينعكس أيضا في إلباس جميع المصائب والبلايا والرزايا التي حلت ببني اسرائيل زي الشعوب التي استقر في نفوسهم تجاههمشيءٌ غير مألوف، فنرى مثالًا؛ أنه حينما أراد العهد القديم أن يُشَرّعَ لعقوبة التجديف على اسم الرب، ابتكر قصةً جعل بطلها رجلًا أمه اسرائيلية وأبوه مصري، ليوحي أن العلاقة مع الأغيار هي سبب البلايا والشقاء، وأن المصريين وغيرهم من الأغيار لا تنفك أيديهم عن ضرر لجماعة اسرائيل حتى لو لحقوا بجماعة الرب؛ وهي نظرة عنصرية إثنية محضة، تنبع من الاعتقاد بأنهم نسل مقدس، وما لحقهم من مصائب كان بسبب خروجهم على طاعة الرب وعلاقاتهم الودودة مع الشعوب الأخرى (وخرج ابن امراة اسرائيلية وهو ابن رجل مصري في وسط بني اسرائيل وتخاصم في المحلة ابن الاسرائيلية ورجل اسرائيلي، فجدف ابن الاسرائيلية على الاسم وسب، فاتوا به الى موسى) لاويين ٢٤:١٠، على أن أمر المايزة العدائية بين اليهودي وغيره في الفكر اليهودي لم يتوقف عند مجرد نص العهد القديم، بل صار فقها يُفتى به وتُدشَّن من خلاله الخطوط العريضة لاعتبارات التعامل مع الآخرين، فنجد الحاخام (حنينا) في تفسيره للفصل الرابع عشر من فصل

١٠- مراد فرج (تعريب وشرح) (١٩١٧) شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين، ص: ٩٩.

السبت؛ إذ يقول " والأمر لا يقتصر فحسب على أنه قيل لأحدهم اقتل فلانا، بل أيضا قيل له أن يظلم فلانا، والخلاصة أنه: يُحظر على غير اليهودي قتل اليهودي، أما العكس فيُسمح به، يوضح التلمود الأورشليمي هنا أن اليهودي الذي يواجه خطر الموت، حينما يقال له (اقتل فلانا أو نقتلك) يُسمح له بقتل غير اليهودي لينقذ نفسه...وهاهو الرابي شلومو بن يتسحاق يؤكد على أن الحديث يتعلق بنفس اليهودي وحب الرب له، لكن فيما يخص الشخص الأجنبي، فلم نجد تلك المحبة، وعلى هذا فإنها كسائر الوصايا التي يبطل مفعولها في حالة وجود خطر على حياة اليهودي[١١]".

ومن الظواهر البارزة أنه كلما كانت الجماعة عبر تاريخها في موضع ضعف أو سبي كانت علاقاتها مع المحيط بها في حالة لا بأس بها، فإذا ما تمكنت الجماعة وأصبحت ذات قوة يركن إليها ظهرت حقيقة منهجها تجاه الآخر، ويروي لنا سفر استير ٩:٥، ١٦ عدد الفرس الذين قتلهم مردخاي واستر وأعوانهم من اليهود، حيث قدرت أعدادهم بعشرات الألوف دون جناية مستحقة، إذ أُخِذوا بجريرة هامان وزير الملك أحشويروش وهيلا شك تدل على مشاعر غاية في القسوة والنفور من الأغيار دون سبب مستحق.

وفيما أرى؛ أن النصوص التي يجب التعويل عليها والوقوف عندها قبل غيرها في العهد القديم، للاستدلال على حقيقة ما يغرسه النص في نفوس أتباعه تجاه الآخرين من حيث المحبة والكراهية؛ هي النصوص التي جاءت على لسان الرب ذاته في حق بني اسرائيل والشعوب الأخرى, فإن عدد نصوص اللعنات والكراهية والوعيد من الرب لبني اسرائيل ذاتهم تكاد توازي أو تزيد على تلك النصوص التي جاءت لعنة وذما للشعوب الأخرى، فنجدها منطرحة في مثل سفر المزامير ١٠٦: ٤٠ وارميا ١٣: ٢٧ واشعيا ٦٦: ٣-٤ والإصحاح الثاني كله من سفر مراثي ارميا والاصحاح السادس عشر كله من سفر حزقيال وسفر عاموس ٢:٥ و٨:٦ وغير هذا كثير من النصوص التي توعد فيها الرب مرارا وتكرارا بني اسرائيل بكراهيته لهم وبغضه لهم وتسليطه للشعوب الأخرى عليهم فيذلوهم ويهينوهم. لاريب أن هذا الكم من نصوص البُغض والكراهية قد عاد بأثره على نفسية المتلقي اليهودي فوَرَّثه كراهية وجحودا في تعامله مع الآخر، ولم تفلح النصوص التي ندم فيها الرب-وفقًا للنص- على معاملته القاسية لبني اسرائيل وأبدى محبته لهم من جبر الكسر الذي خلفته نصوص العداء والكراهية.

المبحث الثالث: دوافع المحبة والكراهية للأغيار في اليهودية

وقفت في المبحثين السابقين على عرض لدلالة مفاهيم التعبير عن الأغيار في اليهودية، وعلى بعض ما اشتمله النص المقرائي من نصوص توحي بدلالة المحبة

١١- يتسحاق شابيرا، يوسيف إليتسور، شريعة الملك: شريعة قتل الأغيار، ترجمة: خالد سعيد، محمود مندور (٢٠١١) مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط: ١، ص: ٢١٤.

وأخرى تنضح بنقيضها من الكراهية للآخر، وهو ما أثار في النص كوامن الاضطراب بين الشعورين المتناقضين وما يُستنبط منهما على حقيقة النظرة اليهودية للأغيار، وقد وقفت على بعض الدوافع التي ساقت إلى مثل هذا الاضطراب في خطاب النص للآخر، من حيث قبوله أو رفضه، ومن هذه الدوافع ما يلي:أولًا: دوافع دينية: وهي قائمة في الأصل على مفهومين مدعومين بنصوص متتالية في العهد القديم، والمفهوم الأول هو مفهوم الوعد الإلهي بالأرض، والوارد في التكوين ١٥: ١٨-٢١ (في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا: «لنسلك اعطي هذه الارض، من نهر مصر الى النهر الكبير، نهر الفرات. ١٩ القينيين والقنزيين والقدمونيين ٢٠ والحثيين والفرزيين والرفائيين ٢١ والاموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين) وفيه كما يتضح أن الرب وعد إبراهيم بتملُّك الأرض المذكورة في النص والمفهوم الثاني هو الاعتقاد المتجذر في نفوس بني اسرائيل بأنهم الشعب المصطفى للرب من بين الشعوب، بمعنى الاختيار الإلهي والذي ورد بالتثنية ٧: ٦-٨ حيث يقول النص (لانك انت شعب مقدس للرب الهك.اياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعبا اخص من جميع الشعوب الذين على وجه الارض) وفي مواضع أخرى كثيرة.

وقد أسهم هذان المفهومان في تشكيل صورة الفرد اليهودي أمام نفسه وصورة الآخر في عينه، إذ تعتبر الجماعة نفسها على الدوام صاحبة وضع خاص أمام الرب وعليه فإنها تعامل معاملة خاصة، فيتجاوز لها بكل سهولة عن كثير من أخطاءها الفظة، في حين أن الشعوب الأخرى تؤخذ بأقل جريرة-وفقًا للنص- هذه المعاني والدلالات بالجملة انعكست على النص المقرائي والفرد اليهودي و الجماعة عموما في خطابهم مع الآخر ونظرتهم إليه، وهو مايُعد بحق سببًا واضحا في توجيه طبيعة الخطاب والمشاعر في العهد القديم تجاه الآخرين، ومن جانب آخر يفسر لنا وفرة نصوص اللعنات الموجهة من الرب للشعوب الأخرى في العهد القديم، وبعضها لغير سبب مقنع وواضح للّعن، فيورد سفر العدد ٣١ : ٧-١٢ حديثا عن مديان وأهلها (فتجندوا على مديان كما امر الرب وقتلوا كل ذكر. ٨ وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم، اوي وراقم وصور وحور ورابع.خمسة ملوك مديان وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف. ٩ وسبى بنو اسرائيل نساء مديان واطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل املاكهم. ١٠ واحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار. ١١ واخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم) ويضيف سفر التثنية ٧: ١-٥ حديثا عن مجموعة من الشعوب (متى اتى بك الرب الهك الى الارض التي انت داخل اليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من امامك الحثيين والجرجاشيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب اكثر واعظم منك ٢ ودفعهم الرب الهك امامك وضربتهم فانك تحرمهم.لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم ٣ ولا تصاهرهم. بنتك لا تعطي لابنه وبنته لا تاخذ لابنك. ٤ لانه يرد ابنك من ورائي فيعبد الهة اخرى فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعا. ٥ ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم وتكسرون انصابهم وتقطعون سواريهم

وتحرقون تماثيلهم بالنار) ويذكر سفر ارميا ٤٩:١-٦ حديثا عن بني عمون (لذلك ها ايام تاتي يقول الرب واسمع في ربة بني عمون جلبة حرب وتصير تلا خربا وتحرق بناتها بالنار فيرث اسرائيل الذين ورثوه يقول الرب. ٣ ولولي يا حشبون لان عاي قد خربت.اصرخن يا بنات ربة.تنطقن بمسوح.اندبن وطوفن بين الجدران لان ملكهم يذهب الى السبي هو وكهنته ورؤساؤه معا)ويورد سفر عزرا ٩:١١ أمرا صارما بأبدية العداء وانتفاء أي أمل للسلام إلى الأبد (والان فلا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تاخذوا بناتهم لبنيكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم الى الابد لكي تتشددوا وتاكلوا خير الارض وتورثوا بنيكم اياها الى الابد) ومن خلال هذه الأمثلة النصية وغيرها، يظهر كيف أثَّر مفهوم الاختيار الإلهي على طبيعة العلاقة ونظرة الجماعة اليهودية للآخرين.ثانيا: الظروف السياسية والاجتماعية: نشأ النص المقرائي والتاريخ اليهودي بأكمله في إطار ظروف سياسية غير مستقرة، إذ انعكست حالة الحروب والنزاعات بين الأمم والحضارات والشعوب القديمة على تاريخ الجماعة، خاصة وأن النصوص التاريخية الموثقة تجزم بوقوعهم تحت نير السبي والتبعية للأمم القومية قرونًا طويلة من تاريخها.

ومن خلال نصوص اللعنات الموجهة للأمم والشعوب الأخرى في العهد القديم، يمكننا إدراك مدى الكراهية الموجهة للآخر، خاصة أن الاكتشافات الأثرية الحديثة والمواد المتوفرة عن تاريخ الأمم القديمة المعاصرة لتاريخ الجماعة اليهودية لم يرد بها مايدل على مثل هذه الكم الهائل من اللعنات في النص اليهودي، والتي لا تتوقف عند مجرد اعتبارها تنفيسا عن الغضب من الخصوم وإنما نتج عنها تشريعات فقهية وعقدية تمنع السلام مع الآخر وتوحي باعتباره درجةً أدنى.وأما بالنسبة لفترات السبي والتبعية للأمم الأقوى، خاصة مع ترسخ مفهوم الاختيار الإلهي وتوفر تاريخ محدود من الزهو العسكري بداية من زمن يوشع بن نون حتى زمن سليمان بن داوود، فقد انعكس هذا الخليط المنصهر في بوتقة نفس اليهودي فردا وجماعة وأفرز حالة من الغليان تجاه الآخر، تبرز آثارها على السطح كلما وجدت متنفسا وما حدث في سفر استير ومقتل عشرات آلاف الأبرياء من الفرس على يد مُردخاي واستير وأتباعها في غفلة من الملك الفارسي قورش؛ ليس إلا مثالا على هذا الغليان تجاه الآخر.

ولعلاج بعض الآثار الناجمة عن الخلل السياسي في تاريخ الجماعة بعد السبي؛ فإننا نجد عزرا الكاهن العائد من السبي إلى أورشليم حوالى العام ٤٨٥ ق.م، يحاول التغلب على الروافد السياسية المفسدة لحياة الجماعة، فيلغي الزواج من الأجنبيات "وكان التأكيد الأساسي في إصلاحات عزرا منعُ الزواج بين اليهود وبقية البشر، أي أنه كان على (الجنس المقدس) منذ ذلك الوقت وصاعدا، أن يكون في معزل عن بني البشر... وكان منع الزواج المختلط فكرة جديدة تماما، فقد كان لبني اسرائيل مطلق الحرية في الزواج من أهل البلاد على مدى ثمانمائة عام "[١٢] وكلما كانت الظروف السياسية باعثا على

١٢- رشاد الشامي (٢٠٠١م) اليهود واليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط:١، ص: ١٤٠.

التلطف مع الآخر، إذا كانت قوته وسطوته أكبر مما يمكن احتواؤه من الجماعة اليهودية، فقد كانت أيضًا باعثًا على التجبر والسطوة غير المعللة إذا كانت قوة الجماعة تسمح بذلك وأقرب مثال لهذا، ما حدث من يشوع بن نون عند دخول أرض كنعان (وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامراة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف... واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها. انما الفضة والذهب وانية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب) يشوع ٦: ٢١-٢٤أُحرقت مدينةٌ بأكملها وقُتل كلُّ مَنْ فيها من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى الحيوانات بحد السيف ودون اعتبار لأي وازع إنساني عام. بات واضحا من خلال النصوص السابقة؛ أنه كلما كانت قوة الجماعة كافية فإن القسوة مع الآخر تكون بادية؛ وفقا للظرف السياسي والاجتماعي الحاضر.ثالثًا: مصادر تدوين النص: نظرا لكثرة المشكلات المتعلقة بالنص المقرائي حيث تناقُض بعض المواضع وغيرها من علامات الاستفهام المثارة حول النص،فقد اصطلح علماء المقرا على أنّعمليات تحرير متعددة للنص المقرائي قد تمت له، على فترات زمنية متباعدة، وساقتها أسبابٌ متباينة وفقا لطبيعة كل مصدر قام بالتحرير تبعا لرؤيته الخاصة في خدمة النص المقرائي. "ويتفق بشكل عام على أن الكتب الخمسة الأولى من المقرا تعود إلى أربعة تقاليد رئيسية، ويطلق على التقليد الأول اسم (اليهوي) و يضم النصوص التي تطلق على الذات الإلهية اسم (يهوه) ويرمز له بحرف (J) اختصارا للتهجئة الألمانية للاسم، أي ((Jehova والمترجم إلى العربية على نحو (الرب) لأنه ينظر إليه (كالاسم الأعظم) ... أما التقليد الثاني فيسمى في هذا التهذيب العلمي (الإلوهيمي) ويشار له بحرف ((Eاختصارا للاسم (Elohim)والمترجم إلى العربية على نحو (الله) ويتعلق هذا التقليد بتلك النصوص التي تطلق على الذات الإلهية اسم (إلوهيم)"[١٣] وفي حوالي القرن السابع ق.م ظهر المصدر الثالث وهو المصدر الكهنوتي "الذي يهتم بأمور الهيكل وشعائر الذبح... وأخيرا يأتي المصدر الرابع في حوالي القرن الخامس ق.م والذي يعرف بالمصدر التثنوي ويعرض هذا المصدر التاريخ من وجهة نظر دينية حيث يركز على فكرة العهد، فربط مصير الملوك وبني اسرائيل بولائهم على الحفاظ على العهد مع الرب"[١٤].

ولكل واحد من هذه المصادر سماته التي تميزه وينفرد بها عن غيره وطَبع بها مادة العهد القديم عند تحريره لها «وعلى هذا لايمكن القول بأننا أمام تاريخ واحد أو ديانة واحدة للآباء، بل إننا أمام رؤى تاريخية ودينية متباينة"[١٥] وقد توقف باحثو العهد القديم عند كثير من القصص التي تتابع عليها المحررون من أكثر من مصدر في داخل الموضوع الواحد، ومن خلال استلهام مميزات كل مصدر على حدة؛ تم الفصل بين هذه الآثار المتجاورة في الموضع الواحد، ومن

١٣- محمد خليفة حسن (٢٠٠٢م). مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، القاهرة، ص:٢٥.
١٤- شريف حامد سالم (٢٠١١) المصدر اليهوي في التوراة، دراسة في المضامين التاريخية الدينية والسمات اللغوية، مكتبة مدبولي،ط: أولى، ص:٧.
١٥- أحمد محمود هويدي(٢٠٠٠م) تاريخ الآباء وديانتهم، رؤية نقدية في ضوء نظرية مصادر التوراة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد (٦٠)، عدد (١) يناير، ص:١٧٧.

هذه المواضع على سبيل المثال لا الحصر، ما نجده في سفر التكوين (٢: ٩- ٢٥) حيث يصب النص على رأس كنعان بن حام بن نوح وابلا من اللعنات الأبدية لا لشيء إلا لأنه ابن حام الذي كشف عورة ابيه (فأبصر حام ابو كنعان عورة ابيه، وأخبر اخويه خارجا. ٢٣ فاخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على اكتافهما ومشيا الى الوراء، وسترا عورة ابيهما ووجهاهما الى الوراء. فلم يبصرا عورة ابيهما.٢٤ فلما استيقظ نوح من خمره، علم ما فعل به ابنه الصغير،٢٥ فقال: «ملعون كنعان! عبد العبيد يكون لاخوته».٢٦ وقال: «مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبدا لهم.٢٧ ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبدا لهم) وهنا يتبادر السؤال؛ ما شأن كنعان بما فعله أبوه؟ويزول الاستغراب حين ندرك أن هذه الرواية يهوية المصدر على ما ذهب إليه باحثو نقد المقرا، والمصدر اليهوي معروف ببساطة وسذاجة حبكته الروائية، وترجع هذه البساطة في أسلوبه «لأنه يشكل نقطة الانطلاق التاريخية من دائرة الخرافة والمأثور الشعبي للتاريخ ثم حولها إلى تاريخ أدبي... فالتاريخ عنده يتحرك نحو هدف محدد منذ بداية العالم وحتى اختيار اسرائيل»[١٦] ويمكننا القول من خلال هذه الرواية اليهوية لقصة كنعان بن حام بن نوح أنها تمثل نظرة ورائية معلقة على التاريخ وعلى أحداث مرت وانقضت، وأراد الكاتب أن يصوغها وفق أحداث زمانه.

فكأن الكاتب قد مر عليه زمن الخلافات بين بني اسرائيل والكنعانيين والحروب التي قامت بينهم، فتأثر بها ثم صاغ هذا السفر الديني التاريخي بما يخدم أهدافه منذ القدم فيبرز الكنعانيين على أنهم ملعونين منذ الأزل وأن الغلبة عليهم هي لبني اسرائيل، لأن الكنعانيين وقعوا منذ البدايات في براثن اللعنة المقدسة من النص المقرائي.وهو ما يبرز دور مصادر تدوين العهد القديم في توجيه خطاب النص ومشاعر الجماعة اليهودية تجاه الآخر محبة أو كراهية وعلى جميع المستويات.

خاتمة:

درجت المجموعات البشرية على مبدأ التمايز، وهي في نظرها لذاتها ولغيرها على درجات، وليس أدل على فهم طبيعة تمايزاتها من دراسة النصوص الدينية لكل مجموعة بشرية، واستنطاق النصوص الدينية لمعرفة حقيقة مدلولاتها لابد وأن يتم في إطار ظروف نشأتها ومكوناتها اللغوية وامتدادها التأويلي، ومن هنا فقد وقفت على النتائج التالية:قد تنشأ الألفاظ بداءة للدلالة على مفهوم بعينه، ثم تتطور دلالتها بفعل الظروف السياسية والاجتماعية عند ذات المجموعة البشرية التي استخدمتها أولا لتصبح دالة على نقيض ما قُصد منها بمرور الزمن، وأن النصوص الدينية عموما هي وعاء حافظ لتاريخ المدلولات والمفاهيم.

إن اللفظ الدال على جنس بعينه، قد تتحول دلالته من مجرد التعريف الإثني بقصد الإفهام إلى دلالة مرذولة ضمنيا في إطار الخصومات بين المجموعات البشرية؛ مثلما استعمل النص المقرائي لفظ (كنعاني) بقصد الإساءة لجنس بعينه؛ رغم سلامة اللفظ لغويًا من هذه الدلالة؛ من ناحيتي المبنى والمعنى.

النصوص الدينية سبب أصيل وكاشف لحقيقة مشاعر الجماعات والأفراد تجاه بعضهم، وللوقوف على مقدار المحبة والكراهية في نفوس المجموعات البشرية تجاه بعضهم؛ فإنه ينبغي دراسة النصوص الدينية في محيط نشأتها التاريخية وظروفها السياسية والاجتماعية.

نص العهد القديم لا يُغفل إبراز التوجيه للتآلف مع الآخر لكنه يناقض ذلك التوجيه في عشرات المواضع؛ المبثوثة بالعداء والخصومة الفجة وردود الفعل القاسية تجاه الآخرين.

الاعتداد الفج بالذات والاعتقاد في مفهوم الاصطفاء على المحيط العام دون مسوّغ موجِب؛ سبب أصيل في خلق الخصومات والعداءات والكراهية المتبادلة مع الجميع؛ وهو ما يبديه استعراض تاريخ النص المقرائي للوهلة.

١٦- أحمد محمود هويدي، تاريخ الآباء وديانتهم، مصدر سابق، ص:٢٠٣.

المصادروالمراجع:

الكتاب المقدس، الترجمة العربية، إصدار دار الكتاب المقدس، القاهرة، طبع في اليابان، ط الثالثة ٢٠٠٥م.

ספרתורה-נביאיוכתובים . ירושלים . ١٩٩١ .

المصادروالمراجع العربية:

١- سامي الأمام (الفكر العقدي اليهودي)، بدون بيانات نشر.

٢- حسن ظاظا (١٩٨٥) الشخصية الإسرائيلية، دارالقلم، دمشق، ط: أولى.

٣- مصطفى عبد المعبود سيد (٢٠٠٩) دراسات في المشنا، سلسة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد رقم ٤٠، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية.

٤- محمد خليفة حسن (٢٠٠٢) تاريخ الديانة اليهودية، دار الثقافة العربية، القاهرة، (٢٠٠٢م) مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، القاهرة.

٥- رشاد الشامي (٢٠٠١م) اليهود واليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط: ١.

٦- شريف حامد سالم (٢٠١١) المصدر اليهوي في التوراة، دراسة في المضامين التاريخية الدينية والسمات اللغوية، مكتبة مدبولي، ط: أولى.

٧- أحمد محمود هويدي (٢٠٠٠م) تاريخ الآباء وديانتهم، رؤية نقدية في ضوء نظرية مصادر التوراة، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد (٦٠)، عدد (١) يناير.

المصادر المترجمة:

١- سعديا بن جاؤون بن يوسف الفيومي، تفسير التوراة بالعربية، أخرجه وصححه: يوسف درينبورج، نقله إلى الخط العربي وقدم له وعلق عليه: سعيد عطية مطاوع، أحمد عبد المقصود الجندي (٢٠١٥)، المركز القومي للترجمة، مصر، العدد ٢٤٥٢، ط: أولى.

٢- مراد فرج (تعريب وشرح) (١٩١٧) شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين.

يتسحاق شابيرا، يوسيف إليتسور، شريعة الملك: شريعة قتل الأغيار، ترجمة: خالد سعيد، محمود مندور (٢٠١١) مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط: ١.

٣- يعقوب ملكين، يهودية بلا إله، ترجمة وتعليق: أحمد كامل راوي، مراجعة: أحمد محمود هويدي (٢٠١٢) مركز جامعة القاهرة للغات الترجمة.

المصادر العربية:

אנציקלופדיהמקראית (١٩٥٤)، אוצר הידיעותעלהמקראותקופתו.ב.הוצא תמוסדביאליק، ירושלים.

דודשגיף (١٩٩٠)מילוןעברי-ערבי، כרדעשרים، הוצאתשוקן،ירושליםותל-אביב.

المرويات الكبرى؛ من صناعة ثقافة الكراهية إلى رفض المثاقفة

الدكتور
مكي سعد الله

تقف الكراهية بتمظهراتها المتعددة، عائقا أمام المثاقفة والتواصل الإنساني، فالمثاقفة هي الحركة الفكرية الإرادية والندية التي تنشأ من عمليات التفاعل الايجابي بين الثقافات والحضارات والتكيُّف الطبيعي مع المُنجز الحضاري العالمي وتهدف إلى بناء مجتمع إنساني تسوده قيم التعاون والتسامح بالاستثمار في التراكم المعرفي البشري. ولكن في ظل صناعة ثقافة الكراهية تبدو الفكرة طوباوية تنتمي إلى عوالم اليوتوبيا أكثر منها إلى الفضاءات الواقعية والعقلانية.

ومن معوقات المثاقفة الندية الرواسب التاريخية والصور النمطية التي أسَّستها وأصلتها المرويات الكبرى والتي تُكرِّس ثقافات الاختلاف والإقصاء والكراهية.

المرويات الكبرى أو السرديات الكبرى (grand narratives) مصنفات أدبية وفكرية وتاريخية أنتجها منظومات فكرية متعددة في المرجعيات بمختلف تمظهراتها المتنوعة ، لأداء رسالة وظيفية تختصر حضور "الآخر" وثقافة الاختلاف في جملة من التصورات

والتمثيلات الذهنية والصور النمطية (Les Stereotypes) والأفكار المسبقة (Les Préjugée) والأحكام الجاهزة، تأسيسيا لبناء وصناعة ثقافة تراتبية، اقصائية، جاعلة من "المركز" نموذجا للعقلانية كمنهج في التفكير والتسيير والتقييم والتقويم، ومن القيم الإنسانية السامية دستورا لهويتها وخصوصية مميزة لثقافتها، ومتخذة في نفس الآن من «الآخر» المختلف صورة للهمجية والبربرية والعجز الفكري في مواكبة ومجاراة لروح العصر التقنية والقيمية وهذه المرويات "تسهم في صوغ الهويات الثقافية للأمم لقدرتها على تشكيل التصورات العامة عن الشعوب، والحقب الثقافية والتحولات الثقافية للمجتمعات" [1].

وتكشف المرويات عن وعي منتجيها وتصوراتهم حول الاختلاف وثقافة الغيرية (L'Altérité) كمرآة للذات وتجلياتها ضمن استراتيجيات التواصل الإنساني الوجودي، بعيدا عن سلطة التمييز والتفريق التي بها الخطاب المركزي للمرويات باعتبارها أدوات واليات للتهديم والاستعمار " فقد سعت تلك المنظومات الغربية إلى فرض هيمنتها العسكرية والاقتصادية والسياسية، باتخاذها تلك المرويات غطاءً ثقافيًا وفكريًا وإنسانيا زاعمة أن القدر قد أرسلها للنهوض بواقع عوالم تقبع في خمولها الأدبي والمعرفي الساكن فعمدت إلى ترسيخ قيمها ومبادئها، بإزاء تهميش الآخر وإقصائه "[2].

والمرويات الكبرى المُنتجة لخطاب الرفض والإقصاء والعنف والكراهية، صورة للمجتمع البدائي المُنغلق على الذات، القابع بانكفاء وانغلاق على مرجعيات متوهَّمة ومتخيَّلة تعتقد بتضخم "الأنا" الثقافية، ونقائها العرقي والإثني وصفاء مصادرها المعرفية، بالإيمان بقدرات وإمكانات العقل المتمركز وفتوحاته ومتجاهلة بأن الحضارات تراكمات فكرية ومنجزات إنسانية وكوسموبوليتية تشترك فيها البشرية باختلاف أعراقها ومعتقداتها، وهذا ما تمَّ إثباته بحجية وقطعية حول مصادر الإلهام والبناء والتكوين للحضارة اليونانية.[3]

وترهن هذه المرويات بمضامينها العدائية وأفكارها المتطرفة وتنميطها للآخر، كل عمليات المثاقفة واستراتيجيات التواصل بين الحضارات والثقافات، فقد شكَّلت وبنت وأسَّست في الوعي الثقافي الجمعي الغربي، صورًا قاتمة ومفزعة عن الآخر/المُختلف، فقد صنعت أنشودة رولان(La Chanson de Roland) مثلا من المسلم (Sarrasin) نموذجًا وبراديغما لكل صفات السلبية والوحشية، مع صناعة صورة موازية لتكون معادلا موضوعيا لاستحالة تقبُّله للحضارة الغربية وتكيُّفه معها وتفاعله مع ثقافة الاختلاف.

ونظرًا لخطورتها في ضبط العلاقات بين الأنا والآخر، وبين المركز والهامش وبين المنتج

١- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي(١)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٨، بيروت، ص، ٥
٢- سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠١٦، بيروت، ص، ١٩١.
٣- مارتن برنال، أثينة السوداء، الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية، الجزء الأول، تلفيق بلاد الإغريق، ١٧٨٥-١٩٨٥، ترجمة لطفي عبد الوهاب يحي وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢، القاهرة

والمستهلك، لأنها صدى لمقولات المركزيات والقوالب الجاهزة والأيديولوجيات الاستعمارية، فقد سعت كتابات الحداثة وما بعد الحداثة والفكر الإنساني عامة إلى تفكيك بنياتها المعرفية وتقويض سلطتها لفتح الفضاء أمام المثاقفة الندية والتعاون الإنساني وإرساء ثقافة التسامح واحترام الهويات والخصوصيات الثقافية، فنجد "جان فرانسوا ليوتار (Lyotard Jean François) ينتقدها بشدة، بل يذهب أبعد من ذلك عندما يصور موت المرويات الكبرى بوصفها مصادر للمشروعية ويسحب هذا التصور على كل الموضوعات وبوصفها ميتافيزيقا تعارض الحداثة...إن فكرة المشروعية نفسها من خلال المرويات الكبرى تصبح باطلة وزائفة"[4].

كما حاولت دراسات التابع (Les Subaltern Studies) التي انتشرت في الهند خاصة والمستعمرات الانجليزية بزعامة ١٩٣٥-٢٠٠٣) هومي بابا (Homi K. Bhabha) (١٩٤٩) مع شقيقتها دراسات ما بعد الكولونيالية (Les études postcoloniales) التي قادها ادوارد سعيد(وفرانز فانون) (Frantz Fanon) (١٩٢٥-١٩٦١) تقويض ونقد خطابات التزييف والتدليس والتركيب العنصري للثقافات غير الأوروبية، باعتبارها تكريس لثقافة التفوق الاستعماري بتصوراتها الفجة والصادمة لوجودية "الآخر" ونعته بالدونية، فحفريات المعرفة في تاريخ هذه المنظومة الفكرية تكشف عن الحجم العميق لتحيُّزاتها الأيديولوجية وطبيعتها السيكولوجية العدائية التي لم تتمكن من التخلص من هيمنة العنف وحب التملك والإقصاء.

ذلك أن الرغبة في الإيذاء والقتل لم تغادر فكروغريزة هذا الإنسان المؤدلج وتدفعه نحو العدائية باستمرار إرضاءً لرغباته وغرائزه المقموعة " إن هذا النزوع إلى العدوان، الذي يسعنا أن نزيح النقاب عنه في أنفسنا والذي يفترض بحق وجوده لدى الآخرين، يشكل العامل الرئيسي للخلل في علاقاتنا بقريبنا، وهو الذي يفرض على الحضارة عبء جهود كثيرة. وبفعل هذه العدوانية الابتدائية التي تؤلب بني الإنسان بعضهم على بعضهم الآخر، يجد المجتمع المتحضر نفسه مهددًا باستمرار بالانهيار والدمار...فالأهواء الغرائزية أقوى من الاهتمامات العقلية "[5] .

والحقيقة أن لكل نظام فكري أو منظومة ثقافية أو دينية سردياتها الكبرى الشمولية التي تتبنَّى أطروحاتها ومقارباتها الخاصة، وتسعى لنشر أفكارها وتسلك في ذلك دروبا مختلفة، موظفة وسائل براغماتية تضمن لها الاستمرارية والانتشار، بصرف النظر عن القيم والمبادئ السامية.

ولكل مركزية منظومتها الأيديولوجية والعقائدية التي تتولى عمليات التجميل والتزييف والاستحسان والاستهجان والترغيب والترهيب، فتكون التزكية للذات

٤ - جنات بلخن، السرد التاريخي عند بول ريكور، ط١، منشورات الاختلاف، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، الجزائر، ص، ١٥٤
٥ - سيغموند فرويد، قلق في الحضارة، ترجمة جورج طرابيشي، ط٤، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٩٦، بيروت، ص، ٧٣

والإشادة بمنجزها، مقابل تقبيح الآخر وشيطنته والترهيب من تغوُّله واستبداده. وقياسًا على نظرية المركزية الغربية، فقد شهدت المرويات العربية ممَلة في كتب الممالك والمسالك والرحلات صورا وتمثُّلات للآخر/المختلف، بلغت درجة عالية من السخرية والإقصاء، فقد أفرغت هذه المنظومة الشعوب المغايرة من كل صفات الايجابية وسجنتها ضمن بناءات نظرية وتنميط جامد يجعل منها كائنات فاقدة للإنسانية وقريبة من البهائمية.

فقد كان اللون مثلا معيارًا للانتماء البشري وصفة للتفريق بين الإنسان والحيوان "توسوس صدري وانزعج، وبقيت في مشقة وحرج، لاسيما وقد وجدت نفسي، مع غير أبناء جنسي، بل بين أقوام لا أعرف من حديثهم إلا القليل، ولا أرى فيهم وجهًا صبيحًا جميل (عدل المؤلف عن نصب – جميل – مراعاة للسجع كما جاء في الهامش) "[٦]
وقد يتطرف الاعتقاد إلى التشكيك في القدرات والإمكانات، فرأى البعض بأن السود مخلوقات تتوسط البشروالحيوان "لا يختلفون عن القرود إلا باستقامة القامة، بل أن البعض رأى أن القرد أكثر تقبلا للتعلم والتدريب من الزنوج"[٧].

لا يمكن لبحث محدد بضوابط الحجم أن يستعرض جميع مقولات وتصورات "الأنا"حول "الآخر" في المنظومة السردية العربية، والكشف عن جماليات تلقي الاختلاف، ولذلك سوف يرتكز الاختيار على عينة سردية وردت فيها تمثُّلات الآخر/ المختلف .

المحور الأول: المرويات الكبرى وإنتاج ثقافة الكراهية

تجاوزت المرويات والسرديات الكبرى حدود رسم الصور والمشاهد وفق رؤى المتخيَّل ودواعي المنفعة والمصلحة إلى التنضيد والتنميط العدائي، فظهر "الآخر" مُشوَّهًا، مُخيفًا، عدوانيًا، بعيدًا عن الانتماء البشري، جسدًا وروحًا، عقلاً وغريزة، فلا دين يعتقده ولا تشريع يحكمه ولا قانون يلزمه الانضباط، ولا عاطفة ووجدان توحيان بالرحمة والرأفة، يقول الدمشقي في كتابه (نخبة الدهر في عجائب البروالبحر) واصفا الأتراك " والترك أصحاب قلوب قاسية، وطباع جافية، ونفوس عانية. ومنهم من يسكن المدن، ومنهم من يسكن الجبال والبراري...ويأكلون كل طائروكل وحش.وليس لهم ملة ولا نحلة وإنما يرجعون إلى رسوم وضعتها ملوكهم "[٨] وقد غاب عن دائرة التحيز وإنزلاقات التحريف كل منهج عقلاني علمي وموضوعي، يتولى مهمة الغربلة والتنقية لاستخلاص الحقائق وإبراز المعاني، التي تنتقد التصورات موضحة دواعي صناعتها وبنائها، بتحديد وتوضيح السياقات الثقافية والظروف السياسية والملابسات العقائدية التي أنتجت الصورة.

٦- محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الأذهان، بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٥، القاهرة،٤١
٧- عزيز العظمة، العرب والبرابرة، المسلمون والحضارات الأخرى، ط١،رياض الريس للكتب،١٩٩١، لندن/قبرص، ص، ١٨٢
٨- عبد الله ابراهيم، عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين،المجمع الثقافي، ٢٠٠١، أبوظبي، ص، ٣٦١

فقد لعبت المركزيات بمختلف تمظراتها وتجلياتها دورًا مركزيًا في بناء المشاهد العدائية تحدث القطيعة مع النظرية التواصلية، دون مراعاة إمكانات التواصل وفرصه، مع تعبيد الطريق وتيسير السبل أمام مجالات الانفتاح على المغايرة، بتذليل المعوقات وفتح فضاءات التنازل الإرادي في إطار احترام الخصوصيات الثقافية والهوياتية « نحن إذن أمام رؤية نقدية للعلم والسياسة والأخلاق والتقنية، فالأخلاق في فلسفة التواصل النقدية لم تعد نهيا ولا أمرًا ولا سلسلة محرمات وإكراهات، أو مجرد إيمان أعمى بمعتقدات ومُثل وقيم، بل تخضع قواعدها للمجادلة والمحاججة المنطقية بهدف استنباط جملة معايير تضمن لها سبل تنظيم التواصل مع المجتمع. أي أن الأخلاق ليست حربًا عوانًا تشن لأن الناس عبيد ما يألفون، أي أن ما يهم معياريتها هو ((عقلنة)) الإرادة الإنسانية بدون عنف أو إكراه، وهي بذلك تطمح للكونية على أساس تداولي وقابل للتعميم"[٩].

وبغياب الرؤية النقدية للمرجعيات التأسيسية لفكر المرويات الكبرى، اختلطت المعايير التقييمية والوصفية، فجاءت الصور متداخلة بين الانتماء العقائدي والعادات الثقافية والسلوكيات العامة، بالإضافة إلى التعميم والميل إلى استصدار الأحكام الجاهزة والمطلقة. قال القزويني في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد) وهو يعدد صفات الإفرنج " لا ترى أقذر منهم وهم أهل غدر ودناءة وأخلاق، لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة واحدة أو مرتين بالماء البارد، ولا يغسلون ثيابهم منذ لبسوها إلى أن تنقطع. ويحلقون لحاهم وإنما تنبت بعد الحلق خشنة مستكرهة.سُئل واحد عن الحلق اللحى فقال: الشعر فضلة انتم تزيلونها عن سوءاتكم فكيف نتركها نحن على وجوهنا "[١٠].

أورد البكري في كتابه (المسالك والممالك) وصفا كتبه إبراهيم الطرطوشي في رحلته في غرب أوروبا ووسطها وشرقها عن الإفرنج، ويكاد يكون نسخا حرفيًا لما أورده غيره من الرحالة وكتاب المصنفات الجغرافية «وأهله أهل غدر ودناءة وأخلاق، لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة واحدة أومرتين بالماء البارد. ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها إلى أن تنقطع عليهم، ويزعمون أن الوسخ الذي يعلوها من عرقهم تنعم به أجسامهم وتصح أبدانهم.وثيابهم أضيق الثياب وهي منفرجة يبدو من تفاريجها أكثر أبدانهم.ولهم بأس شديد، لا يرون الفرار عند اللقاء في الحرب ويرون الموت دونه "[١١]. فغياب فلسفة نقدية محكومة بضوابط ومعايير علمية وبمنظومة عقلانية موضوعية أدَّى إلى سيطرة النزعة العجائبية والغرائبية وروح الفانتاستيك على إنتاج الصورة، فتكررت الصور تناقلاً وتواترًا وتداولاً دون فحص ونقد، مع غياب آليات الكشف عن الأنساق الثقافية التي كوَّنت الصورة وجعلتها خصوصية هوياتية ورمزًا من رموز الثقافة المحلية.

٩- حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، ط١، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥، الدار البيضاء، ص، ١٢
١٠- عبد الله ابراهيم، عالم القرون الوسطى في اعين المسلمين، مرجع سابق، ص،٣٩٢
١١- المرجع السابق، ص ص، ٤٤٦، ٤٤٧

المحور الثاني: السخرية؛ من الوظيفة البلاغية إلى استراتيجية لصناعة الكراهية

كرَّست المرويات الكبرى عنفًا لفظيًا مؤسسًا على اللفظ المشحون بالدونية واتهام "الآخر" بكل ما هو اختزالي وإقصائي مهين للكرامة الإنسانية من أصناف نعوت البهائمية والحيوانية والجهل والكفر، فقد صورت كتب الممالك والمسالك الشعوب والأمم غير الإسلامية بأقصى وأبشع وأعنف الأوصاف، فهذا أبو زيد البلخي (٣٢٣هـ/٩٣٢م أحوال وصفات بعض شعوب الهند والصين بأنهم " أسوأ الناس عيشًا، وأخبثهم طمعا، وأخرقهم خرقة، وأقلهم تميُّزًا وفطنة"[١٢] ثم يضيف قائلا ومنهم " أصناف من الناس من أخلاق البهائم والسباع المتوحشة"[١٣]

وتستمر المرويات في ملاحظة "الآخر" عبر رؤية مركزية عقائدية تسعى لتكريس التفرقة والإقصاء وتضخم "الذات" التي ترفض التواصل والغيرية، فهذا الدمشقي في كتابه " نخبة الدهر في عجائب البر والبحر " يصف بعض الأقوام الواقعة بلادهم في تخوم الصين ويصفهم متناقضا بقوله " ويلي بلاد خانقو من جهة الشمال والمشرق بلاد تبري، وهم طائفة بين الخطا والترك والصين في الخلق والأخلاق، ولهم قوة وبأس وصناعة محكمة وهم كفار عبَّاد أصنام جهلة"[١٤]، فالجمع بين الصناعة والجهل؟ أمر يثير إشكالية فكرية في التوفيق بين الموقفين والمشهدين؟

وتكاد تتكرر الصورة في كتب الممالك والمسالك ومصنفات الجغرافيا ومنهم المسعودي وابن حوقل وابن خرداذبه واليعقوبي والقزويني وغيرهم حول الغيرية وأصحابها من حيث الجهل والكفر والنجاسة. ويصاحب الوصف المعجمي العنيف، بناء صورة مرئية وخطاب مشهدي يجعل من الآخر/المختلف نموذجا للسخرية.

إن التشكيل الساخر من "الآخر" يأخذ استراتيجيات حجاجية متعددة، ياتي على هرمها الانتقاص من القيمة والاقصاء والتشويه والاعتقاد بحماقته وسطحيته، بتصويره في مشاهد كاركاتورية " ولا تصلح عندهم (الإمارة) إلا في أهل بيت معروفين وليس له من الأمر والنهي سيء إلا انه يُعظَّم ويسجد له إذا دُخل إليه ولا يصل إليه أحد إلا نفر يسير مثل الملك ومَن في طبقته ولا يدخل عليه الملك إلا لحادثة فإذا دخل عليه، تمرَّغ في التراب وسجد وقام من بعد حتى يأذن له بالتقرب "[١٥]، فالتمرغ في الثقافة العربية مرتبط بحيوانات بعينها تمارس هذه الطقوس لأغراض غرائزية.

وقد تأخذ السخرية (L'Ironie) أبعادا علمية تستند عليها لإنتاج خطاب يقترب

١٢ - عبد الله إبراهيم، عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، المجمع الثقافي، ٢٠٠١م/١٤٢٢ م.، أبوظبي، ص، ٩٠

١٣- المرجع نفسه، ص، ٩١

١٤- المرجع السابق، ص، ٩٤

١٥- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي، مسالك الممالك، طبع في مدينة ليدن المحروسة، بمطبع بريل، سنة ١٨٧٠ المسيحية، ص، ٣٣٦

من المحاججة العلمية، كاعتماد نظريات الأقاليم الجغرافية ونظريات الكيوف الأرسطية كمعايير لتحديد نوعيات الأمزجة والطبائع وترتيب الأمم في هرم الحضارات والثقافات، وهنا تتحول القيمة الساخرة من مجرد استهزاء من اللامرغوب فيه الى سلطة خطابية أيديولوجية متحيزة، توظف معجما لفظيا عنيفا يرفض ويقصي كل مبادرة للحوار والتواصل الفردي والجماعي، يصف صاعد الأندلسي أهل الشمال بأنهم " أشبه بالبهائم منهم الناس، لأن من كان منهم مُوغلاً في بلاد الشمال مما يلي آخر الأقاليم السبعة نهاية المعمور في الشمال، فإفراط بعد الشمس عن مُسامتة رؤوسهم بَرَّد هواءهم وكثَّف جوَّهم، فصارت لذلك أمزجتهم باردة وأخلاطهم فجة، فعظُمت أبدانهم وابيضَّت ألوانهم وانسدلت شعورهم، فعدموا بهذا دِقَّة الأفهام، وثقوب الخواطر، وغلب عليهم الجهل والبلادة، وفشا فيهم العمى والغباوة كالصقالبة والبروغرو ومن اتصل بهم "[١٦]. وهي الرؤية المستنسخة عند شمس الدين الأنصاري وغيره من علماء الجغرافيا، الذين رأوا في التقسيمات الجغرافية آليات عقلانية لتحديد الهويات وتفسير الثقافات " يسمون البيض بشقرة. وهؤلاء لإفراط البرد وبُعد الشمس، ساءت أخلاقهم، وقست قلوبهم. وإنما كانت أبدانهم كذلك لغلبة البرودة والرطوبة واستيلائها. وقَلَّ من يوجد فيهم له فِطنة، بل الحيوانية غالبة عليهم والشهوة والغضب وحِدَّة النفس"[١٧].

إنَّ معيار الحضارة والتقدم هو الاقتراب من المركزية الإسلامية فكلما توغَّل الاختلاف بُعدًا جغرافيا كلما زادت حيوانية سكانه والعكس صحيح.

ووفق هذا المعيار فقد يفقد "الآخر" شرفة ونخوته وغيرته على أهله وممتلكاته « ليس عندهم شيء من النخوة والغيرة، يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها. والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث، فإذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى "[١٨].

أما أصواتهم وغناؤهم فهي نشاز مثير للاشمئزاز ويوحي بالتخلف والهمجية، فقد روى ابن رندقة صورة للغناء عند أهل شلزويك وهم من سكان شمال ألمانيا قائلا" إن لهم نوعًا من الغناء يشبه عواء الكلاب"[١٩]

وهو الرأي الذي أكده القزويني نقلا عن الطرطوشي فقال " لم أسمع غناءً أقبح من غناء أهل شلشويق، وهي دندنة تخرج من حلوقهم كنباح الكلاب وأوحش منه "[٢٠].

والحقيقة أن أصحاب الرحلات أيضا قد تداولوا الصور النمطية، والنعوت المستهلكة دون تمحيص أو نقد رغم المحاكاة المباشرة مع سكان الأقاليم الجديدة، فقد انتقل المعجم العنيف والمتمركز حول مرجعيات بعينها إلى آليات ومعايير لتقييم "الآخر" وتقويمه.

١٦- أبو القاسم صاعد بن أحمد، طبقات الأمم، نشروحواشي لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين،١٩١٢، بيروت، ص ص، ٨،٩

١٧- شمس الدين الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، ١٨٦٥، بطرسبورغ، ص، ٢٧٥.

١٨- زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى،١٩٤٥، دار المعارف، ص، ٩٦.

١٩- محمد علي كرد، غرائب الغرب، ط٢، المطبعة الرحمانية،١٩٢٣، مصر، ص، ٢٠٩

٢٠- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، ١٩٦٠، بيروت، ص، ٦٠٢.

فيؤكد ابن فضلان مصداقية تداول استهجان أصوات "الآخر" كلاما وطربا، فهم يرون فيه أسلوبا للتخلف والتوحش والاقتراب من الصوت الحيواني "وهم أوحش الناس كلاما وطبع، كلامهم أشبه سيء بصياح الزرازير، وبها قرية على يوم يقال لها إدكو أهلها يقال لهم الكردلية كلامهم أشبه بنقيق الضفادع "[٢١].

كما يستعين بالسخرية كإستراتيجية خطابية في تشكيل وبناء صورة للمتخيل المستهجن، فيذهب إلى الرفض المطلق لكل اختلاف ثقافي وعقائدي "والترك كلهم ينتفون لحاهم إلا أسبلتهم، وربما رأيت الشيخ الهرم منهم، وقد نتف لحيته وترك شيئا منها تحت ذقنه، وعليه البوستين، فإذا رآه إنسان من بُعد لم يشك أنه تيس "[٢٢] ولم تخل سخرية ابن فضلان من توظيف الألفاظ القرآنية ومصطلحات الحدود الفقهية كالزنا وغيرها ولكنه في السخرية تناسى آيات وأحكام التنابز " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"(الحجرات،١١).

أن المستقرئ لمضامين الرحلات السفارية العربية القديمة يدرك مدى هيمنة الرؤية المركزية الإسلامية بخطابها وألفاظها في وصف الاختلاف وثقافة المغايرة، فالعمراوي [٢٣]لم يرفي الآخر/ المختلف سوى كافرًا، ماديًا، غرائزيًا مُبتدعا في الدين والفكروالثقافة، في حين يعتقد الفاسي أن ما وصلت الحضارة الانجليزية ما هو إلا جزاء للكافر في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب، وتلك هي جنة الكافر" الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"[٢٤].

وحتى الرواية المعاصرة، المصطلح عليها برواية المثاقفة أوروايات الصدمة الحضارية، فقد كوَّنت وعيًا سلبيًّا عن المغايرة بجعل الحضارة الغربية معادلاً موضوعيًّا لمومسات الحي اللاتيني[٢٥] في روايات سهيل إدريس وحدائق لندن عند الطيب صالح[٢٦].

ولا يمكن استثناء حتى الفرق الكلامية التي تتبنى العقل كوسيلة وأداة للوصول إلى الحقيقة، من الوقوع في التعميم والسطحية، بتكرار الصور النمطية التي أدرجها كتاب الممالك والمسالك والمصنفات الجغرافية حول الآخر وثقافة الاختلاف، فاللون معيارلتحديد الطباع والأخلاق وكلما زادت الزنوجة، تضاعفت صور الهمجية والوحشية " فأما الأقاليم الباقية فأهلها ناقصون عن طبيعة الأفضل؛ لأن صورهم سمجة وأخلاقهم وحشية مثل الزنج والحبشة[٢٧]".

٢١- أحمد بن فضلان، رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، ط٣،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، دار السويدي ابوظبي، ٢٠٠٣، ص
٢٢- المرجع نفسه، ص ص، ١٠٠، ١٠١.
٢٣- إدريس العمراوي، تحفة الملك العزيزفي مملكة باريز، تقديم وتعليق، زكي مبارك، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس،ص ٦٨
٢٤- أبو الجمال محمد الطاهربن عبد الرحمن الفاسي، الرحلة الإبريزية إلى الديار الانجليزية، تحقيق محمد الفاسي، مطبعة جامعة محمد الخامس، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، فاس ،ص، ١٣
٢٥- سهيل إدريس، الحي اللاتيني، ط١٤، دار الآداب، ٢٠٠٦، بيروت
٢٦- الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، ط١٣، دار العودة، ١٩٨١، بيروت
٢٧- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخِلّان الوفاء، ج١، الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي،٢٠١٧،المملكة المتحدة، ١٥٥

والصورة السائدة في الذاكرة العربية حول السود أسستها مرويات كبيرة، روجت لصور متناقلة ومكررة من مرجعيات تاريخية وفلسفية ضاربة بجذورها إلى بدايات الفلسفة اليونانية واكتشافها للأجنبي " إلا أن ما يُميّز تمثيلات الأسْود هو ضخامة التمثيل الذي أنتجته الثقافة العربية عن هذا الآخر، وتكرار الصور النمطية عن حيوانيته وشهوانيته المفرطة، وامتدادها بقوة عموديًا باستحكامها طوال قرون مديدة، وأفقيًا على حقول معرفية متنوعة. وهو ما يستلزم استجلاء شبكة المعارف التفسيرية التي استحضرت واستنفرت لتدعم هذا المتخيَّل وتعزّزه، حيث لم يكن من السهولة إطلاقًا تفسير توحش السودان وهمجيتهم وفساد أخلاقهم وخلقهم دون الاستعانة بترسانة المعارف المتداولة آنذاك"[٢٨].

لقد أنتج المعجم الوظيفي والإجرائي في تصوير الآخر/المختلف عنفًا لفظيًا قاسيًا لم يخرج عن صفات، الهمجية، البربرية، الشهوانية، الحيوانية، الخيانة، فساد الطبع وفقدان المروءة، الخداع والوحشية وغيرها من النعوت التي تتجاوز العنف اللفظي في دلالاتها إلى سياقات ثقافية تفقد الموصوف سمات الإنسانية وخصائص البشرية." الحبشة والزنج والتربة وأهل السند وأهل الهند، فإنه لما كان الغالب على أهوية بلادهم الحرارة بمرور الشمس على سمت تلك البلاد في السنة مرتين سخنت أهويتها، فحمي الجو فاحترقت ظواهرُ أبدانهم واسودتْ جُلودُهُم وتجعدتْ شعورُهُم لذلك السبب وبردت بواطن أبدانهم، وابيضت عظامهم وأسنانهم، واتسعت عيونهم ومناخرهم وأفواههم بذلك السبب. وبالعكس في هذا حال أهل البلدان الشمالية وعلتها أن الشمس لما بعدت من سمت تلك البلاد وصارت لا تمر عليها لا شتاءً ولا صيفًا، غلب على أهويتها البردُ وابيضتْ لذلك جلودُهُم، وترطبت أبدانهم، واحمرت عظامهم، وأسنانهم، وكثرت الشجاعة والفروسة فيهم، وسبطت شعورهم، وضاقت عيونهم"[٢٩].

كانت نظريات الكيوف الأرسطية، من أكثر الأرضيات المعرفية العنصرية استثمارا من قبل دعاة التمييز والعنف العرقي، وتدعي الفكرة بتقسيم العالم وأمم المعمورة إلى ثلاثة شعوب فقط وهي الشعوب الأوروبية ومن صفاتها الشجاعة والشعوب الآسيوية وتمتاز بالذكاء، ثم الشعب الإغريقي الذي يجمع صفات الذكاء والشجاعة والأخلاق الحسنة مما يؤهله لقيادة العالم.

حدثت تعديلات على هذه النظرية التي تأسست على أفكارها ومبادئها نظريات البيولوجيا العنصرية التي تؤمن بالصفاء العرقي والتفاوت بينها، ويُعدُّ كتاب الباحث الفرنسي أرثور دي غوبينو (Arthur de Gobineau) (١٨١٦-١٨٨٢) "دراسة في التفاوت بين الأعراق البشرية" (Essai sur l'inégalité des races humaines) الصادر سنة ١٨٥٣، من أكثر المراجع تداولا في الممارسة العنصرية والعرقية وفي نظريات المركزية وإقصاء الآخر.

٢٨- نادر كاظم، تمثيلات الاخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،٢٠٠٤، بيروت، ص، ١٥
٢٩- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفاء وخِلّان الوفاء، ج١، مرجع سابق، ص، ٢٥٠

والمراجع للآثار الأدبية الكبرى بسردياتها الفاتاستيكية يدرك الوظيفة التي تحملتها السرديات الكبرى في تشويه الاختلاف وإلصاق نعوت التخلف والوحشية والبربرية، لتحقيق هدف وغاية استحالة التعايش والتواصل والمثاقفة، فقد أوضحت الباحثة كارول بركوفي هوارد (Carole Bercovi-Huard) في بحثها حول إقصاء المسلم في قصيدة رولان، اللفظ والايدولوجيا (L'exclusion du sarrasin dans la Chanson de Roland : vocabulaire et idéologie) إن اللفظ الوحيد الذي تضمنته القصيدة هو العدوانية والكراهية بين المسيحيين والمسلمين، وقد اختار رولان (Roland) الألفاظ العنيفة لإثبات الإقصاء والنفي وربط المسلم بكل صفات الترهيب والدونية والإرهاب والقتل بالإضافة إلى المميزات الخِلقية السيئة والأخلاقية الرديئة.[٣٠]

فكان المعجم اللفظي في هذه السرديات وسيلة آلية لنفي التقارب، فصورت اللغة المُختلف في هيئة المتوحش البربري العدواني الذي لا يحتكم لا للشرائع السماوية ولا للقوانين والمواثيق والعهود الوضعية.

وتكاد تجمع الدراسات والأبحاث التي أنجزت في هذا الضرب من الصورولوجيا على تكرار الصور النمطية، وإعادة الأفكار المتخيَّلة حول الآخر/المسلم، من حيث تخلفه وهمجيته وإخلاله بالتوازن الحضاري وسيطرة الشهوات والغرائز على سلوكياته.[٣١]

إن ثقافة الكراهية نمط من المنجز السلبي، تصنعه نخب فكرية استثنائية، ضمن سيكولوجياتها المريضة، التي تهيمن عليها عقد السادية والمازوخية، فرفض الاختلاف والتواصل، إعلان وثورة على الفطرة السليمة والطبيعة قال تعالى:﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود ١١٨) وقول أيضًا ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (المائدة ٤٨) ذلك أن الفكر الطبيعي الايجابي يسعى لتنمية التواصل وتوليد قيم الحب والخير والجمال، لا إلى صناعة الكراهية بالتأسيس فكرًا ومنهجًا لكل ما يُفرِّق ويُقصي.

إن تقبيح الآخر وتهجينه وتبغيضه يأخذ أشكالاً مختلفة وينتهج سُبلاً متنوعة لتفتيت القيم الإنسانية والمشترك بين الحضارات والثقافات، فاستراتيجيات صناعة الكراهية ليست بُنى انفعالية مؤقتة وعابرة، بل هي بُنيات خطابية هادفة ومقصودة غرضها تحقيق الانفصال والانفصام بين الشعوب والأمم والثقافات باستخدام الاستخفاف والاحتقار، للوصول إلى ردود الأفعال العدائية التي تعيق كل مبادرة للمثاقفة الندية.

٢٩- Carole Bercovi-Huard, L›exclusion du sarrasin dans la Chanson de Roland : vocabulaire et idéologie, in Exclus et systèmes d›exclusion dans la littérature et la civilisation médiévales,(Colloque Université de Provence) Editeur : Diffusion H. Champion,1978,p,348

٣٠- Gérard J.Brault, Le portrait des sarrasins dans les chansons de geste, image projective ?,in Au carrefour des routes d›Europe : la chanson de geste,Tome 1, (Société Rencesvals Pour l›Étude des Épopées Romanes) Presses universitaires de Provence,2014,p, 301.

المؤسسات الدينية
الأدوار والوظائف في مواجهة خطاب الكراهية

الدكتور
محمد حسين الحاج

إنَّ مواجهة ومناهضة خطاب الكراهية من المعارك المصيرية التي عرضت الأشخاص والدول لأنواع متعددة من المخاطر, بل وأصبحت البشرية تعاني منها أشد المعاناة، وذاقت بسببها الويلات، فلم يعد يمارس خطاب الكراهية على مستوى الأفراد فحسب، بل على مستوى الدول والجماعات والمنظمات، ولم يعد أحد بمنأى عن آثار ومخاطر هذا الخطاب المدمر الذي يؤجج الكراهية، ويحارب فكرة الحوار والقبول بالآخر, ويشعل نيران الصراع بين الأفراد والدول بل والحضارات ؛ وكل ذلك منشأه وأصله مفاهيم مغلوطة لنصوص تشريعية.

لقد تزايدت ظاهرة خِطاب الكراهيّة بشكلٍ يدعو إلى القلق في المنطقة العربيّة خلال السنوات التسع الماضية، وتنامت مظاهر الشحن الطائفي، وانجرّت وسائل الإعلام إلى ذلك، كما انزلقت السلطة التنفيذيّة في بعض الدول إلى التمييز الطائفي مع استعداء طائفة من المواطنين ضدّ طائفة أخرى.

إن التعايش المنشود والاستقرار المقصود، مرهون بالجهود التي يقوم بها الأفراد وتقوم بها المؤسسات والدول, من أجل ترسيخ ثقافة التسامح والتعايش ؛ عبر خطاب جامع يبني ولا يهدم، خطاب يكون ممراً للحيا ة لا نفقاً للموت.

ولهذا نجد الإسلام حذر من الانزلاق في هذه المزلة الخطيرة، ووضع السياجات الحصينة التي تحمي من الوقوع فيها، فجاءت النصوص الشرعية بالتحذير من الغلو في الخطاب، والانحراف في فهم نصوص الشرع الحكيم.

إنّ البدايّة في مُواجَهة خِطاب الكراهيّة في العالَم العربيّ هي ضرورة الاعتراف بوجود ثقافة الكراهيّة في إعلامنا ومجتمعنا، لأنّ هذا الاعتراف سيفتح البابَ أمام المجتمع للتعامل مع هذه المشكلة باعتبارها حالة قائمة تحتاج إلى جهود الجميع من أجل معالجتها، بدلاً من إنكارها وتجاوزها. يلي ذلك ضرورة دراسة جميع الجوانب السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والفكريّة والعوامل التي تشكّل بيئة خصبة لنموّ خِطاب الكراهيّة وازدهاره، وتحديد المؤثّرات النسبيّة لهذه العوامل في الحالات المُختلفة.

في المقابل، ثمّة حاجة إلى تضافُر الجهود لمواجَهة خِطاب الكراهيّة والعنف في المجتمع بمختلف صوره، وتعزيز دَور المؤسّسة الدينيّة في إشاعة ثقافة التسامح والتعايش وأدب الاختلاف باعتبارها كلّها قيَماً إسلاميّة سمحة دعا الإسلام إليها.

واستشعاراً لهذه الخطورة، وانطلاقاً من دور مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان الرائد في مواجهة التحديات والأخطار، خصص العدد (١٣) من مجلة أديان حول: الأديان وخطاب الكراهية، ومدارُمشاركتي في هذا العدد الهام حول: (المؤسسات الدينية الأدوار والوظائف في مواجهة خطاب الكراهية)، وستتناول هذه الورقة بإذن الله الأدوار والوظائف الملقاة على عاتق المؤسسات الدينية المختلفة في مواجهة ظاهرة خطاب الكراهية ، وما نراه واقعاً ملموساً أن المؤسسات الدينية اعتمدت وبشكل كلي في معظم جهودها على مواجهة هذه الظاهرة بتكرارخطب ومحاضرات وبشكل تقليدي، ولكنهالم تسعى لإحداث مشاريع معالجة جذرية، من خلال القيام بمراجعة وغربلة فكرية شاملة ؛ وصولاً لتجديد بنية الخطاب الديني ومكوناته وما يتعلق بمفاهيمه ومصطلحاته في قضايا جوهرية، وبما يتلاءم ويتواكب مع متغيرات الحياة، وإجراء قراءات ومراجعات لطبيعة وحاجات المجتمع المعاصر، وما يمر به من متغيرات، وما طرأ عليه من اختلاف في عادات الناس وطبائع معيشتهم ومستوى حضارتهم ووعيهم، بحيث يكون تجديد الخطاب الديني نابعاً من حاجات المرحلة التي نعيشها بجميع أبعادها[١].

وستكون هذه الورقة في تمهيد ومحورين اثنين وخاتمة: التمهيد: يتناول مفهوم المؤسسات الدينية وأنواعها وخصائصها. وسيخصص المحورالأول: لبيان أدوار المؤسسات الدينية ووظائفها في مواجهة خطاب الكراهية.

أما المحور الثاني: لتسليط الضوء على أبعاد وآليات المواجهة لخطاب الكراهية.

والخاتمة: ستحتضن تلخيصاً مختصراً لأهم النتائج والتوصيات.

١- حسن بن سالم, المؤسسة الدينية ومسؤوليتها تجاه التطرف والعنف , مقالة منشورة بصحيفة الحياة الثلاثاء ١٢أغسطس ٢٠١٤م. متاح في : http://www.alhayat.com/Opinion/Hassen-Bin-Salam/4080746

تمهيد مفاهيمي: المؤسسات الدينية المفهوم والأنواع والخصائص

إن ظهور المؤسسة الدينية في شكلها الحديث مرتبط بحضارة المدينة، وبهذا فإن انتشار هذه المؤسسات الدينية وتوسع نطاقها داخل المجتمع يكون دائما بشكل متدرج لا دفعة واحدة، فالظروف الاجتماعية والمعيشية للإنسان المتدين هي التي تخلق له طرقاً لإيجاد أو ابتكار مؤسسات دينية تتأقلم مع الوضع الذي يعيش فيه, وبعبارة أخرى فإن تطور وتوسع وتزايد المؤسسات الدينية يتزامن مع تطورات التاريخ بحد ذاته [٢].

أولاً: مفهوم المؤسسات الدينية:

ما نحن بصدد الحديث عنه هو ما يتعلق بدور وتأثير الأفكاروالآراء الدينية والمسؤولية الملقاة على المؤسسات الدينية في مواجهة خطاب الكراهية المتنامي في الفضاء الواقعي والافتراضي، وما نراه واقعاً ملموساً أن المؤسسات الدينية المختلفة اعتمدت وبشكل كلي في معظم جهودها على مواجهة خطاب الكراهية بتكرار خطب ومحاضرات وتوجيه النصح والإرشاد لأفراد المجتمع وبشكل تقليدي, ولكنها لم تعمل أو تشتغل على إحداث مشاريع معالجة جذرية، والقيام بمراجعة وغربلة فكرية شاملة تقوم على تنقية التراث الديني الذي بين أيدينا من الغلو والآراء والأفكار المتشددة التي ينهل ويستقي منها المتطرفون آرائهم، وضرورة قيام المؤسسات الدينية بتجديد بنية الخطاب الديني ومكوناته وما يتعلق بمفاهيمه ومصطلحاته في قضايا جوهرية، وبما يتلاءم ويتواكب مع متغيرات الحياة، وإجراء قراءات ومراجعات لطبيعة وحاجات المجتمع المعاصر، وما يمر به من متغيرات، وما طرأ عليه من اختلاف في عادات الناس وطبائع معيشتهم ومستوى حضارتهم ووعيهم، بحيث يكون تجديد الخطاب الديني نابعاً من حاجات المرحلة التي نعيشها بجميع أبعادها[٣].

ولكن ماذا نعني بالمؤسسة الدينية؟ وفيما تتمثل أهميتها؟ وما هي أهم خصائصها؟

نظراً لتعدد وتنوع تعاريف النظرية لمفهوم المؤسسة الدينية سأعتمد في هذه الدراسة على طرح أو عرض تعريف شامل وعام للمؤسسة يجمع بين البنية والوظيفة معاً.

تعريف المؤسسات في اللغة والاصطلاح:

المؤسسة لغةً: مأخوذةٌ من قولهم: أسس يؤسس تأسيسًا ومؤسسةً، قال ابن فارس- رحمه الله -: "الهمزة والسين يدل على الأصل، والشيء الوطيد الثابت، فالأُسّ أصل البناء"،[٤] وفي القاموس المحيط:[٥] "والتأسيس بيان حدود الدار، ورفع قواعدها، وبناء أصلها".

٢- لغرس سهيلة , المؤسسة الدينية : المفهوم والأشكال , الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية , العدد الثاني, جوان ٢٠١٢م, ص (٢١٦).

٣- حسن بن سالم , المؤسسة الدينية ومسؤوليتها تجاه التطرف والعنف , مقالة منشورة بصحيفة الحياة الثلاثاء ١٢أغسطس ٢٠١٤م. متاح في : http://www.alhayat.com/Opinion/Hassen-Bin-Salam/4080746

٤- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ), معجم مقاييس اللغة, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, الناشر: دار الفكر, عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م, ص (٤٥).

٥- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ), القاموس المحيط, تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي, الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشروالتوزيع, بيروت – لبنان, الطبعة: الثامنة, ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م, ص (٤٧٧).

وعرف مجمع اللغة العربية المؤسسة بأنها: كل تنظيم يرمي إلى الإنتاج أو المبادلة للحصول على الربح.[٦]

وفي الاصطلاح الفقهي: جاءت هذه اللفظة اصطلاحًا حادثًا في كلام بعض الفقهاء المعاصرين، ففي الموسوعة الفقهية الكويتية قولهم: ويجوز أن يكون رب العمل جماعةً في حكم شخص واحد (مؤسّسةً).[٧]

وتعرف المؤسسة في اصطلاح أصحاب الإدارة بأنها: "كل تجمع منظم يهدف إلى تحسين الأداء، وفعالية العمل؛ لبلوغ أهداف محددة، ويقوم بتوزيع العمل على لجان كبيرة، وفرق عمل، وإدارات متخصصة؛ علمية ودعوية واجتماعية، بحيث تكون لها المرجعية وحرية اتخاذ القرارات، في دائرة اختصاصاتها"[٨].

وتعرف المؤسسات الدينية: بأنها عبارة عن هيئات اجتماعية تسعى لتحقيق أهداف محددة، بحيث لها محددات واضحة وكذلك بناء وظيفي واضح ومقصود، وهي متعددة الأشكال والألوان[٩].

في حين نجد من علماء الاجتماع الغربي من يعرفها بأنها: عبارة عن المنظمات الرسمية ذات السمة الدائمة والمستمرة كوزارة الأوقاف أو المساجد أو أماكن العبادة الأخرى التابعة أو الخاصة بالأديان البدائية والفلسفية والسماوية[١٠].

هناك فرق بسيط بين المؤسسة والدين، فالمؤسسة هي مجموعة من الأفكار والمعتقدات والأعراف التي تشكل كلاً متناسقاً ومنظماً ويعمل على تأسيسها الافراد بالتعاون مع الافراد الاخرين في المجتمع من اجل ضبط سلوكهم الخارجي ، وكذلك تقوية العلاقات فيما بينهم ، ومن خلال هذا فالدين نظام عقلي موزونة يتكون من مجموعة المعتقدات والأفكار والقيم والطقوس السلوكية المتعلقة بكائنات وقوى وأماكن مقدسة تفوق بطبيعتها الأشياء التي يستطيع الإنسان خلقها واستعمالها والسيطرة عليها، ولهذا النظام اثاراً اجتماعية عميقة في نفوس الأشخاص الذين يعتقدون ويؤمنون به إذ إنه يحدد سلوكهم ويرسم طراز حياتهم ويصنع أيديولوجيتهم التي تميز حياتهم الخاصة والعام[١١].

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن المؤسسة الدينية هي عبارة عن آليات ضبط اجتماعي غيررسمي يفرض قوانين على الأفراد بصفه دينية خالصه تهدف إلى تحقيق العدالة والإصلاح ومكافحة الفساد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثلماً تفرض الدولة القانون على الأفراد في مؤسسات الدولة.

٦- مجمع اللغة العربية بالقاهرة, المعجم الوسيط (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار), الناشر: دار الدعوة, ص (١٦).
٧- وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية، (١/ ٢٨٩).
٨- صلاح الدين جوهر، إدارة المؤسسات الاجتماعية، أسسها ومفاهيمها، الناشر: مكتبة جامعة عين شمس ١٩٧٦م, ص (٦٠).
٩- لغرس سهيلة , ص (٢١٧).
١٠- Hoult F.T. (١٩٨٨). The sociology of religion. New york. P٩٧
١١- احسان محمد الحسن: دراسات في علم اجتماع الدين، مجلة الجامعة المستنصرية، ع٥، مطبعة دار السلام، بغداد،١٩٧٥، ص (٤٠٦)

ثانياً: أنواع المؤسسات الدينية: تنقسم المؤسسات الدينية إلى نوعين رئيسين هما:

النوع الأول: المؤسسات الرسمية: يقصد بها المؤسسات الإسلامية التي تتبع نظام الدولة بحيث تكون بإشراف وإدارة الحكومة مثل وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية ودور الفتوى ولجانها والجامعات والكليات والمعاهد الدينية وهي كل مؤسسة تعمل على خدمة الإسلام والمسلين في إطار الدولة وادارتها وتعد جزءاً من مؤسسات الدولة من حيث الاتفاق والإدارة والاشراف على حياة المجتمع من كل الجوانب.

النوع الثاني: المؤسسات غير الرسمية: هي مؤسسات المجتمع المدني والتي تقوم على خدمة الإسلام والدعوة وكذلك تقوم على تحقيق تربية مدنية للأفراد اذ إنها غير خاضعة للدولة ولا ادارتها وإن كانت يتوجب عليها في كثر من الأحيان لزوم اعتراف الدولة بها والحصول على تراخيص منها والخضوع للإشراف الحكومي على أنشطتها وغالباً ما تخضع هذه المؤسسات الى وزارة الأوقاف الشؤون الدينية بالدولة[١٢].

ثالثاً: الخصائص التي تتميز بها المؤسسات عموماً ومنها الدينية[١٣]:

١- تحقيق مبدأ التعاون والجماعية، وتحقيق التكامل في العمل بما يعني الاستفادة المثلى من كل الكوادر المتخصصة والموارد المتاحة.
٢- ضمان استمرارية العمل، واستقراره نسبيًا بعيدًا عن التذبذب قوة وضعفًا، أو التغير مضمونًا واتجاهًا بتغير الأفراد أو تغير قناعاتهم.
٣- الاضطلاع بمهام أكبر من المهام التي يتبناها العمل الفردي، وتضاعف النتائج التي يحققها.
٤- وضوح العلاقة بين جميع العاملين في العمل المؤسسي؛ إذ إنهم ملتزمون بمنظومة من القيم واللوائح يتمحور حولها أداؤهم، وعلاقاتهم الوظيفية والإنسانية.
٥- تلعب دوراً هاماً في تشكيل الشخصية الإنسانية المتكاملة من حيث التوجيه والإرشاد في مجال الدين والدنيا معاً في التشريع والعبادات والمعاملات.
٦- من خصائصها أنها تؤدي دوراً غاية في الأهمية فيما يتعلق بالتماسك والتضامن الاجتماعي, وكذا التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.
٧- وجود ميول ودوافع وقيم مشتركه تودي إلى قيام تفاعل بين الأفراد فتتوحد مشاعرهم واتجاهتهم.

المحور الأول: المؤسسات الدينية الأدوار والوظائف في مواجهة خطاب الكراهية

إن على المؤسسات الدينية الرسمية عبء كبير في مواجهة ثقافة الموت والعنف

١٢- محمد احمد الغول: دور المؤسسات الدينية في تحقيق الامن الفكري في المؤسسات التعليمية، (بدون مكان نشر وسنة نشر) ص(٢٠).
١٣- عبد الله المسلم ، بين العمل المؤسسي والعمل الفردي، مقال في مجلة البيان، العدد ١١٧، ص (٣٨).

والتطرف، وعليها في الظروف الراهنة أن تعي تماماً حجم تلك المسؤولية، وأن تنشط وتكون سباقة إلى استخدام أوضح الأساليب وأبينها في إنكاروفضح ما تقوم به التنظيمات الإرهابية من تشويه للإسلام، وتدمير للمجتمعات، وتهجيروقتل للأنفس، وعدوان على الأعراض، وعدم الصمت تجاه الأفعال المخزية التي تقوم بها منظمات الإرهاب من قتل وتهجير، وأن تسعى بكل الوسائل المتاحة في نشر قيم الحوار والتسامح والتعايش مع مختلف الأديان والطوائف، وإحداث مشروع تجديدي ضد التطرف بجميع مستوياته وأشكاله[١٤].

لقد شهدت أدوار المؤسسات الدينية المختلفة في العالم الإسلامي موجات من المدر والجزر، على طول تاريخها، وبخاصة في عصرنا الحديث، هذا العصر الذي ثار الحديث فيه عن أزمة المؤسسة الدينية وعن إشكالات دورها ومهماتها، وعن التحديات الجديدة، وبخاصة الدينية، والتي لا تبدأ من الفهم الغيرسوي للنصوص الشرعية ، كما لا تنتهي بالفضائيات الدينية والزخم الديني والدعوى على شبكة الإنترنت، وهو ما يراه الكثيرون سحباً للبساط من تحت أقدامها.

وفضلا عن هذا الصعود للبدائل التي ملأت فراغات خلفتها أزمة المؤسسة الدينية الإسلامية المعاصرة وراءها، وقيام هذه البدائل بكثير من الأدوار التي كان معهودا أن تقوم بها المؤسسة الدينية، إلا أن هناك أزمات بنيوية متعلقة ببنائها وتقنينها، وخطاب كثير من الممثلين لها، من هذه الأزمات ما يتعلق بالشأن الديني المحض، ومنها ما يتعلق بالشأن الدنيوي الخالص، أو يجمع بينهما[١٥].

أولاً: دُور العبادة:

كان المسجد في عصر الإسلام يعد أول مؤسسة دينية والتي تعني بتربية الأفراد تربية مدنية عادلة بالإضافة لكونه مكاناً للعبادة وللعلم والدعوة والتوجيه يبصر الأفراد بالأخطار التي تحيط بهم ويبن أسباب الوقاية والعلاج لها، كما يقع على عاتقه دور مهم في تحصين الأفراد والحفاظ عليهم من تلك الأخطار، فضلا عن تنمي فيهم روح الشجاعة والاحترام كما تربي فيهم الكثير من القيم الإسلامية مثل روح الأخوة والمحبة بين الناس.

المسجد ذلك المكان المقدس الذي يلتقي فيه المسلمون، ومنه ينطلقون منذ عهد الرسالة، فمسجد الرسول -r- وهو من أوائل المساجد التي أسست في الإسلام كان صرحًا ومؤسسة دينيةً رائدة نزل فيه الوحي وتلقت الأمة فيه علوم دينها ومنهج حياتها فخرجت من الظلمات إلى النور، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن التخلف إلى التحضر والصدارة، فكان مسجده -r- منبع حياة هذه الأمة ومصدر هدايتها، وسيظل كذلك - إن شاء الله- إلى يوم القيامة، فيه تفقه الناس

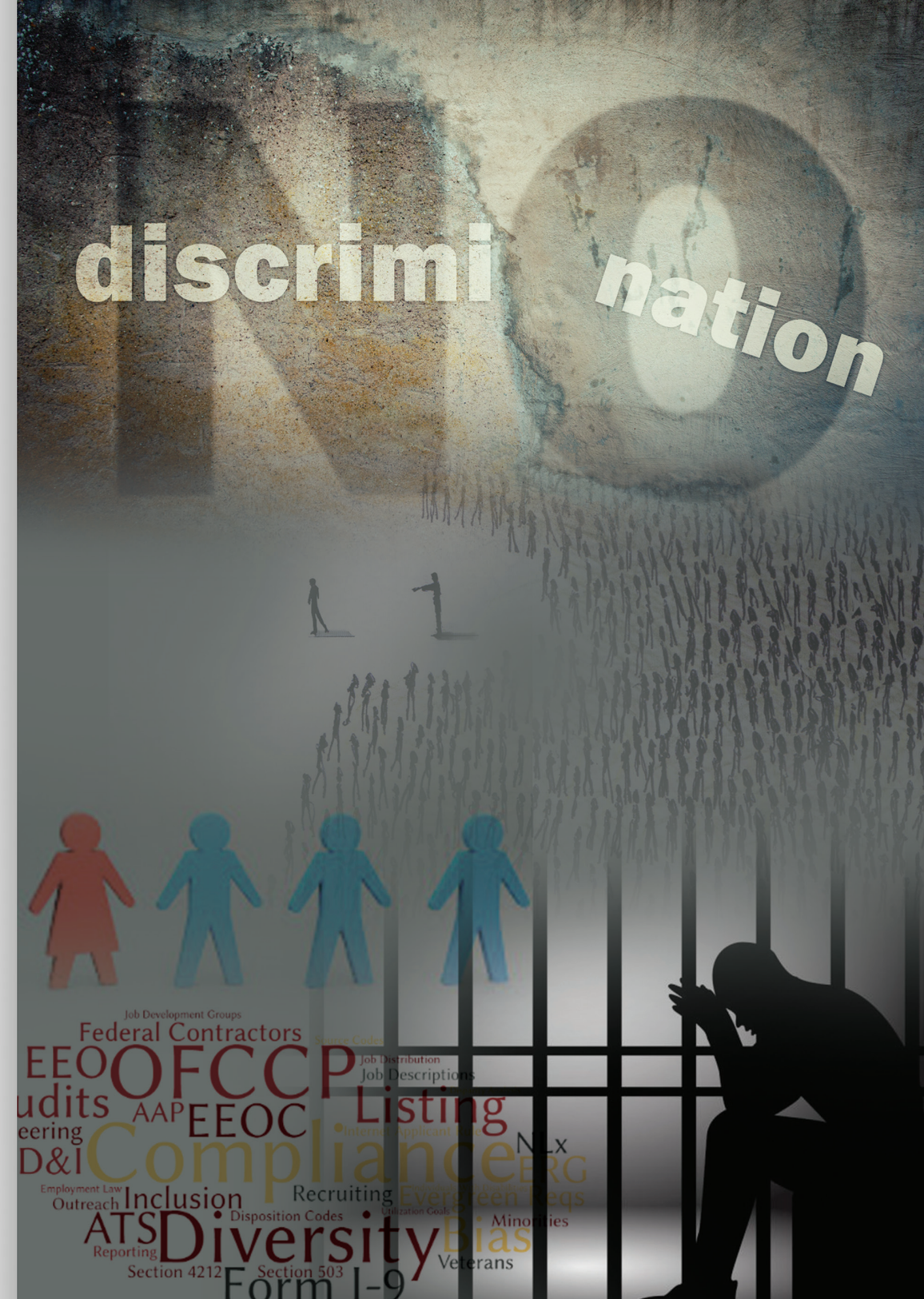

١٤- حسن بن سالم , المؤسسة الدينية ومسؤوليتها تجاه التطرف والعنف , مقالة منشورة بصحيفة الحياة .
١٥- م.حمد حلمي عبدالوهاب , الأبعاد الخمسة للتَّدين ... الدِّين من منظور سوسيولوجي , مقالة منشورة في موقع الإسلام أون لاين ٢٠ ابريل ٢٠١٧م . متاح في : https://islamonline.net/٢١٠٩٠.

في أمور دينهم ودنياهم، وفيه تشربوا بمبادئ العدل ونظم الحكم الإسلامي.

في المسجد كان يكتب القرآن الكريم ويحفظ، وفيه يتعلم الصحابة والتابعون ترتيل الآيات، وفيه يتجرد الإنسان لمناجاة ربه وينصب لعبادته ومحاسبة نفسه، وفي المسجد تؤدى الصلوات الخمس والجمع.

إضافة إلى ذلك فإن للمساجد أدواراً بارزة في مواجهة خطاب الكراهية من خلال مهامه ووظائفه العديدة نذكر منها:

١- قيام المساجد بمهمة تفسير النصوص الدينية وتعاليمها وشرحها.

٢- أداء الصلوات الجماعية كشعيرة توحد بين المسلمين, وتؤدي إلى التماسك والتضامن الاجتماعي بينهم.

٣- الدعوة إلى التمسك بآداب الدين بين أفراد المجتمع باعتبار الدين أداة رئيسية من أداوت الضبط الاجتماعي في المجتمع ونبذ العنف والتطرف والإرهاب.

٤- يؤدي المسجد كمؤسسة دينية دوراً غاية في الأهمية فيما يتعلق بالتماسك والتضامن الاجتماعي, وكذا التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

٥- كما يلعب المسجد دوراً هاماً في تشكيل الشخصية الإنسانية المؤمنة المتكاملة من حيث التوجيه والإرشاد في مجال الدين والدنيا معا في التشريع والعبادات والمعاملات.

٦- تدريب المسلمين على التعاون والعمل الجماعي الذي هو أساس بناء المجتمع, وتدعيم كيانه ويبصر المسلمين بأهمية الوحدة الإسلامية لا سيما عند تعرض الدول للإرهاب ومخلفاته.

ثانياً: المؤسسات التعليمة الدينية:

الجامعات التي تهتم بدراسة العلوم الدينية والعربية، ويتأكد الكلام على الجامعات الإسلامية منها، فهي مسئولة أكثر من غيرها عن الشباب المسلم والحفاظ على صحته ومستقبله، كما نعني المعاهد الدينية والعلمية، تلك المعاهد ودور العلم التي تنتسب إلى الاهتمام بدراسة الدين الإسلامي وعلومه، أمثال المعاهد الأزهرية التي تتبع الأزهر الشريف، وما يسير على منوالها في الأقطار الإسلامية الأخرى، والمعاهد العلمية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم التي تتبع وزارة التربية والتعليم بالدول العربية والإسلامية ، وليس معنى هذا أن دور العلم التي ذكرناها، فقط هي صاحبة الدور في الوقاية من خطاب الكراهية وتناميه في أوساط الشباب، وغيرها ليس عليه دور! أو لا يقع عليه عبء كلا، بل العبء يقع على جميع دور العلم في الأقطار الإسلامية من معاهد ومدارس وجامعات، على اختلاف مناحيها واتجاهاتها فكل دور العلم منوطة بالمسؤولية عن الحفاظ على شبابها ومنتسبيها، من مخاطر وأضرار التطرف والإرهاب ومخلفاتهما, بل وعلى شباب الأمة بوجه عام، لكنا نخص بالذكر دور العلم

الإسلامية؛ لأن الدور آكد عليها من غيرها باعتبار أنها تعد من المؤسسات الإسلامية [١٦].

وبناءً عليه فإن الجامعات والمعاهد العليا والمعاهد العلمية والإسلامية مطالبة الآن ببذل أقصى الجهود، وتكاتف الإدارات وأعضاء هيئات التدريس، وإدارات الشباب ورعاية الطلاب، وتسخير جميع الإمكانات من أجل التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة، في إطار عمل جامعي وإسلامي مشترك لدرء أخطار الخطاب المؤدي للكراهية لما له من آثار مدمرة ، وذلك بإيجاد مخطط جامعي تربوي تشريعي يستمد من الإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه، ويستفيد من إيضاح لكل فرد دوره، ومن الفرص المتاحة للتعاون الجماعي، ومن تقدم الأبحاث العلمية وتطورها في مجال مواجهة خطاب العنف والكراهية.

ثالثاً: المؤسسات الدينية الرسمية:

مسمى المؤسسات الدينية لا يقتصر على مجرد المؤسسات التي ذكرناها، وإنما هناك مؤسسات منزلتها في الإسلام لا تقل عن المؤسسات التي ذكرت، وبالتالي فلا بد أن يكون لها دور قد لا يقل عن دور المؤسسات التي ذكرناها، لكننا بدأنا بالمؤسسات التي بدأنا بها، وأفردنا لها مكانًا ومساحة لما لها من شهرة عند المسلمين والتحامهم بها

ومن هذه المؤسسات على سبيل الإجمال: وزارات الأوقاف والشؤون الإسلامية في الأقطار الإسلامية والعربية، ومجامع البحوث الإسلامية، ومجامع الفقه الإسلامي، ومجامع اللغة العربية، والمؤسسات الخيرية الإسلامية وغيرها.

هذه المؤسسات لا يخفى دورها، فلها أن تخرج النشرات والدوريات بين الحين والآخر، ولها أن تذكر الفتاوى في وسائل الإعلام الصالحة لذلك بين الفينة والأخرى، ومن الواجب أن تعقد الندوات والمؤتمرات التي يوضح فيها مخاطر خطاب الكراهية، مدعمة هذه النشرات والفتاوى بالأحكام الشرعية على ضوء مقتضيات العصر [١٧].

وبعد هذه الإطلالة السريعة يمكننا القول أن المؤسسات الدينية بمختلف أنواعها تقوم على أساس منح الحقوق والحريات والاعتدال في الأفكار, وحماية حياة الأفراد وتربيتهم تربية عادلة وغرس مفاهيم المحبة والتعاون والاحترام ومنع العنف والكراهية والفساد بين الأفراد, بالإضافة إلى بناء شخصية الأفراد وتكوين معتقداتهم ورسم مناهجهم السلوكية وتسليحهم بالمفاهيم السليمة, وتحفيزهم على النجاح وتحذيرهم من التطرف أو الغلو أو, وذلك من خلال الدعوة إلى تمكين المجتمع والأفراد من ممارسة حقه في التعبير بطرق شرعية بعيدة عن التشدد والغلو المؤدي إلى الكراهية والتناحر.

١٦- شعبان رمضان محمود مقلد , دور المؤسسات الدينية في الوقاية من المخدرات , مقالة منشورة في موقع الألوكة على شبكة الإنترنت ٩-٥-٢٠١١م, متاح في : http://www.alukah.net/sharia/31744/0/ .

١٧- شعبان رمضان محمود مقلد , دور المؤسسات الدينية في الوقاية من المخدرات .

المحور الثاني: أبعاد وآليات المواجهة لخطاب الكراهية

تعتبر مواجهة خطاب الكراهية من أهم التحديات التي تواجه المؤسسات الدينية على المستويين المحلي والإقليمي، وتكمن خطورة هذا الخطاب في الوقت الحاضر في سرعة انتشاره من خلال وسائل التواصل العابرة للحدود.

أولاً: المؤسسات الدينية وأبعاد حماية المجتمع من مخاطر خطاب الكراهية:

تأتي ظاهرة تبني الأفراد والجماعات التطرف والعنف المؤدي إلى تفشي خطاب الكراهية كما تشير العديد من الدراسات والأبحاث العلمية هي ظاهرة ومنتج مركب من عوامل متصلة بالبيئة الداخلية وأخرى بالبيئة الخارجية، وبمسببات دينية وأخرى دنيوية، وترتبط بعوامل مختلفة منها الدينية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية، وهذه العوامل أو المسببات ربما تتفاوت من حيث التأثير، بحيث يكون لبعض أو لآحاد منها دور وإسهام أكبر في خلق وصناعة الشخصية المتطرفة، وأن ذلك التفاوت في تلك المسببات يعود إلى اختلاف البيئات والمجتمعات، ما يعني صعوبة الاختزال دوماً حال النزوع إلى التطرف والميل إلى العنف نتيجة مسبب واحد[١٨].

على ضوء دور المؤسسات الدينية في مواجهة خطاب الكراهية وفق المفهوم الشامل للأمن ، فإنه يعني تهيئة الظروف المناسبة التي تكفل الحياة المستقرة. ومن خلال الأبعاد التالية[١٩]: -

١- **البعد السياسي:** والذي يتمثل في الحفاظ على الكيان السياسي للدولة ، وحماية المصالح العليا ، واحترام الرموز الوطنية والثوابت التي أجمع عليها غالبية أفراد المجتمع ، وعدم اللجوء إلى طلب الرّعاية من جهات أجنبية أو العمل وفق اجندة غير وطنية مهما كانت المبررات والذرائع ، وممارسة التعبير وفق القوانين والانظمة التي تكفل ذلك ، وبالوسائل السلمية التي تأخذ بالحسبان أمن الوطن واستقراره.

٢- **البعد الاقتصادي:** والذي يهدف إلى توفير أسباب العيش الكريم وتلبية الاحتياجات الاساسية ، ورفع مستوى الخدمات، مع العمل على تحسين ظروف المعيشة ، وخلق فرص عمل لمن هو في سن في العمل مع الأخذ بعين الاعتبار تطوير القدرات والمهارات من خلال برامج التعليم والتأهيل والتدريب وفتح المجال لممارسة العمل الحر في إطار التشريعات والقوانين القادرة على مواكبة روح العصر ومتطلبات الحياة الراهنة.

١٨- حسن بن سالم , المؤسسة الدينية ومسؤوليتها تجاه التطرف والعنف , مقالة منشورة بصحيفة الحياة .

١٩- عبد المعطي زكي , الأمن القومي: قراءة في المفهوم والأبعاد, المعهد المصري للدراسات مقالة منشورة بتاريخ ٩فبراير ٢٠١٦م, ص (٢-٤), متاح في: http://eipss-eg.org/wp-content/uploads/., وينظر: الأمن الإجتماعي , بحث منشور على شبكة الإنترنت , متاح في : http://www.startimes.com/f.aspx?t=34715049

٣- **البعد الاجتماعي:** والذي يرمي إلى توفير الأمن للشعوب بالقدر الذي يزيد من تنمية الشعور بالانتماء والولاء ، والعمل على زيادة قدرة مؤسسات التوجيه الوطني لبث الروح المعنوية ، وزيادة الاحساس الوطني بانجازات الوطن واحترام تراثه الذي يمثل هويته وانتماءه الحضاري واستغلال المناسبات الوطنية التي تساهم في تعميق الانتماء ، والعمل على تشجيع إنشاء مؤسسات المجتمع المدني لتمارس دورها في اكتشاف المواهب ، وتوجيه الطاقات ، وتعزيز فكرة العمل الطوعي لتكون هذه المؤسسات قادرة على النهوض بواجبها كرديف وداعم ومساند للجهد الرسمي في شتى المجالات ومنها مواجهة خطاب الكراهية.

٤- البعد المعنوي أو الاعتقادي: وذلك من خلال احترام المعتقد الديني بصفته العنصر الأساسي في وحدة الأمة التي تدين بالإسلام وتتوحد مشاعرها باتجاهه ، مع مراعاة حرية الآخر في اعتقاده ، كما أن هذا البعد يتطلب احترام الفكر والابداع ، والحفاظ على العادات الحميدة والتقاليد الموروثة بالاضافة إلى القيم التي استقرت في الوجدان الجمعي ، ودرج الناس على الإيمان بها.

ومما يلاحظ أن الأبعاد المشار إليها تعالج وفق مستويات أربعة هي: أمن الفرد، وأمن الوطن، وأمن الاقليم، والأمن الدولي، حيث يسعى الفرد إلى انتهاج السلوك الذي يؤمنه من الأخطار التي تهدد حياته أو أسرته أو ممتلكاته من خلال ما يملك من الوعي ، وباتباع الإجراءات القانونية لدرء هذه الأخطار ، واللجوء إلى القانون لتوفير الأمن مع الحرص على حياة الآخرين وعدم التعدي والتجاوز ، كما أن مقومات الحماية الفردية توفير مستلزمات السلامة العامة.

ثانيًا: آفاق وآليات المواجهة لخطاب الكراهية:

من خلال ما سبق, ومحاولة استقراء واقع المؤسسات الدينية ودورها في مواجهة خطاب الكراهية يمكننا أن نقدم جملة من الآفاق والآليات لمواجهة هذه الظاهرة المدمرة التي عسى أن تكون توصيات يمكننا الاستفادة منها في الخروج من أزمة المؤسسات الدينية في واقعنا اليوم ؛ وفي ظل التحديات الجسام التي يفرضها علينا دعاة الكراهية والعنف، من ذلك ما يلي[٢٠]:

- استعادة الأدوار والوظائف الأصلية, والتي كانت تقوم بها المؤسسات الدينية بفترة ليست بعيدة عن زمن الانحطاط وتبدل المفاهيم والقيم.
- العمل على التوحيد العقائدي داخل الدين الواحد وفرض فكر الانسجام والتناسق بين أمم الوحي.

٢٠- ناجم مولاي , المؤسسة الدينية ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية (من واقع التحديات...إلى أفق العلاج) , مقالة منشورة في المجلة الثقافية الجزائرية , بتاريخ ٢٠١١/١٠/١٥م , متاح في : http://thakafamag.com/?p=2106.

- خوض المؤسسات الدينية المعركة السياسية والإعلامية والإبداعية الفكرية وفق رؤية واضحة مكملة لدور الدولة في هذا المجال, وبما يؤدي إلى تفعيل دور المؤسسات الدينية في مواجهة خطاب الكراهية.

- فتح مسارات الحوار بين الثقافات والشعوب وصولاً لصيغة تكاملية في مواجهة هذا الخطاب المتشنج والمدمر, إذ لم يعد بمقدورنا أن نصل إلى بر الأمان, بمعزل عمن حولنا في عالم القرية الواحدة.

آليات مقترحة لمواجهة خطاب الكراهية:

إن الدور المنوط بالمؤسسات الدينية لمواجهة خطاب الكراهية ينطلق في المقام الأول من خلال مواجهة فكر الكراهية، فالأفكار لا تواجه إلا بفكر آخر قادر على تغيير وتصحيح تلك المفاهيم المغلوطة التي تعتبر الرافعة لظهور هذا الخطاب وتفشيه، ويمكن اقتراح الآليات التالية:

١. البحوث والدراسات:

إعداد البحوث والدراسات التي تشخص هذه الظاهرة وتوضح المرتكزات الفكرية الخاطئة التي قام عليها هذا الخطاب مع اقتراح الحلول والمعالجات, وعكس هذه البحوث والدراسات ضمن نشاطات المواجهة الفكرية لخطاب الكراهية.

٢. المؤسسات التعليمية:

تطوير ودعم أنشطة المؤسسات التعليمية والمتمثلة في الكليات والمعاهد الشرعية المختلفة, من حيث توفير الكادر والمنهج التعليمي والمكتبات المتخصصة وتوفير المستلزمات الضرورية للعمل لتأهيل العاملين في حقل الدعوة من الخطباء والمرشدين والمرشدات، مع تعميم تجارب الحوارات الفكرية الناجحة, ولذلك فمن الضرورة إنشاء مراكز متخصصة للحوار الفكري لترسيخ مبدأ التعايش السلمي والقبول بالآخر وحرية الفكر وإبداء الرأي في إطاره الشرعي والقانوني.

٣. التدريب والتأهيل:

المتغيرات الراهنة والحاجة الماسة إلى مرشدين ووعاظ ودعاه وإعلاميين وكتاب ومدرسين على قدر عال من المهارة في مواجهة الأفكار المنحرفة والمتطرفة, وإيصال الرسالة الهادفة للمستهدفين بحاجة إلى تنفيذ برامج تدريبية ومكثفة لصقل مهارتهم ورفع قدراتهم.

٤. الدروس والخطب والمحاضرات:

إقامة الدروس والندوات والمحاضرات وفقاً لخطط مرسومة ضمن برامج وزارات الأوقاف والشئون الإسلامية في جميع بلدان العالم الإسلامي, وكذلك استضافة عدد من الدعاة المشهورين من العالمين العربي والإسلامي والذين يحضون بحضور واسع في المجتمع لإلقاء محاضرات عامه في المدارس والجامعات للتحذير من مخاطر خطاب الكراهية على الفرد والمجتمع.

٥. الإعلام الدعوي:

تطوير وسائل الدعوة والإرشاد من خلال تنشيط الإعلام الدعوي وإدخال الوسائل الحديثة، ومنها إنشاء وتشغيل المواقع الإلكترونية وكذا إنشاء وحدات خاصة بالإنتاج الإعلامي التي تواجهة هذا الخطاب المدمر بالحجة والأدلة المخاطبة للعقل والوجدان.

خاتمة:

وبعد هذه الإطلالة السريعة لدور المؤسسات الدينية ووظائفها في مواجهة خطاب الكراهية, والإسهام فى خدمة المجتمع وتنويره وتحقيق الأمن الاجتماعى للجميع، والذى بدوره سيحقق الأمن والأمان والاستقرار والتطور والتقدم والنهضة التى هى غاية ديننا الإسلامى الحنيف.

ليخلص الباحث إلى أن خطاب الكراهية - أصبح ظاهرة عالمية تهدد الأمن والاستقرار الدوليين – وأن مواجهة هذه الظاهرة لم تعد حكراً على الدولة وأجهزتها الأمنية وحدها، بل يجب أن تتظافر الجهود لمواجهة هذه الجائحة, وقد أسفرت هذه الدراسة عن النتائج والتوصيات التالية:

- **النتائج:**

١. ظاهرة خطاب الكراهية - آفة كبيرة وخطيرة، يجب أن تتضافر جميع الجهود للكشف عنها ودراستها بغية الوصول إلى حلول ناجعة لها.

٢. الإسلام دين العدل والتسامح والتعايش بين بني البشر، والتعاون على البر والتقوى، ولا ينهى عن الإحسان إلى الناس مهما اختلفت أديانهم وألوانهم وأوطانهم، ويصون كرامة الإنسان وحريته في الاعتقاد، والعيش الحر الكريم.

٣. غياب الدور الحقيقي والفاعل للمؤسسات الدينية المختلفة في مواجهة خطاب الكراهية ؛ مما جعلها خارج السياق وكأنها تعيش في مجتمع آخر.

٤. تقوم المؤسسات الدينية بمهمات ووظائف أربعة: (الإمامة في أداء العبادات ووحدتها, التعليم الديني في كل مستوياته, الفتوى بأشكالها، الإرشاد العام)

- **التوصيات:**

٥. معالجة مظاهر خطاب الكراهية وأسبابه بالحكمة والموعظة الحسنة، ونشر العلم الصحيح والوعي السليم بين الأمة من خلال علماء ربانيين، باستخدام الوسائل الإعلامية المختلفة.

٦. نشر الوعي الإسلامي وتأصيل منهج الوسطية في الحوار مع الآخر بالتعامل مع المؤسسات الدعوية والعلمية.

٧. تحرير المصطلحات الشرعية وضبطها بضوابط واضحة كمصطلح الجهاد، ودار الحرب، وولي الأمر، ما يجب له وما يجب عليه، والبيعة والعهود: عقدها ونقضها, وغيرها من المصطلحات ذات العلاقة بإدارة الدول.

٨. توفير إطارٍ تشريعي مُتكامل للتصدّي لكلّ ما من شأنه النَّيل من السّلم الاجتماعي والوحدة الوطنيّة داخل الدول، ويحمي المجتمع من دعوات الكراهيّة والتمييز بين أفراد المجتمع.

٩. عقد المؤتمرات الثقافية والعلمية والتي تهدف لنشر مبادئ السلام والتعايش والحوار والتصدي لمخاطر خطاب الكراهية، وإعداد البحوث والدراسات في مجلات دورية توزع في مكتبات الجامعات والمدارس.

١٠. نحن بحاجة إلى نهوض فكري، وإلى مراجعات جذرية لأفكارنا وبرامجنا وسياساتنا الدعوية، وتفكيرنا بالعالم من حولنا, في عملية من النقد والمراجعة من أجل استعادة الروح الرسالية والدعوية لمؤسساتنا الدينية؛ لتقوم برسالتها في صون الدين وفق أصوله وأعرافه الصحيحة والمعتبرة.

١١. وضع منهج عملي لاستنهاض همم العلماء والدعاة والمفكرين وغيرهم من النخب؛ للإسهام في مواجهة خطاب الكراهية والعنف والتخيف من آثاره والحد من انتشاره؛ وفق رؤية موحدة وبرامج عملية واستراتيجية تتبناها مؤسسات الدولة الدينية والجهات ذات العلاقة.

١٢. إنشاء تحالُف وميثاق شرف يجمع المؤسّسات الدينية ومنظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام بغية تعزيز التعايُش السلميّ ونبْذ التطرّف وإلغاء الآخر على نحو يعمّق ثقافة الأخوّة الإنسانيّة، وإنشاء مراكز دراسات ترصد الظاهرة وتتقدّم بمقترحاتٍ لتطويقها .

١٣. التوسع في إنشاء مراكز الحوار والدراسات المتخصصة في مواجهة هذه الظاهرة وغير من الظواهر المنحرفة ورصدها وتقديم المقترحات الجادة لتطويقها مع تقديم الدعم اللازم لذلك.

خطاب الكراهية في الإعلام: التحريض الديني أسبابه وحلوله

الدكتورة
سعدية بن دنيا

إنّ خطاب الكراهية هو ظاهرة إنسانية مستعصية لأنه يقع على حدود التماس بين الجريمة وبين حريّة التعبير، كما توفّر له الصراعات السياسية التبريرات التي تساعده على الانتشار، وهكذا اخترق خطاب الكراهية المجتمعات وحول تنوّعها الديني إلى قلاع ظلامية تتحصّن داخلها مشاعر الكراهية والغضب تجاه الآخر ودينه معتبرة إيّاه مشروعاً تدميرياً للمجتمع التي يتمّ التذكير فيه دائماً بأنه كان أفضل حالاً قبل أن تصل إليه "الأديان والقوميات الدخيلة"، في هذا السياق يلعب الإعلام دوراً حاسماً في شحن وتعبئة الجماهير والتحريض الديني والسياسي، وإثارة النعرات الطائفية وتغيير القيم وتحويلها واحتراق الهويات وتحطيمها، وهذا كله طريق إلى تأجيج خطاب الكراهية والأفكار المعزّزة للعنف والصراعات الدينية.

إنّ خطر خطاب الكراهية لا يقتصر على طرفٍ معيّن وُجّه له الخطاب ولكن خطره أعمّ، فهو يؤدّي سريعاً إلى عالمٍ مظلم ويفرض على المجتمع تحدّيات أخلاقية ليس من السهل تجاوزها لأنها تشتغل داخل بؤر التوتّر الأكثر نشاطاً في الفضاء العمومي

الذي تتحكم به تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتجعله خارج حدود الرقابة والقانون. فما هي اتجاهات الإعلام حيال إشكالية كراهية الآخَر الديني؟ ما هو دور الإعلام في التحريض الديني؟ وكيف يمكن أن يكون سبباً في نقل وتأجيج أو صناعة خطاب الكراهية؟

المحور الأول: وسائل الإعلام وخطاب الكراهية الدينية

تؤدّي وسائل الإعلام بأشكالها المتنوعة دوراً أساسياً في نقل المعلومة والدفاع عن حرية التعبير وصناعة الرأي العام حيث أنها تتوجّه إلى جمهور عريض وواسع تُسهم في تشكيل نمطه الاجتماعي والفكري، وعلى الرغم من هذا الدور الريادي يمكن "إساءة استغلال وسائل الإعلام أيضاً كمنبر للتمييز والإقصاء والتحريض على العداء والعنف ضدّ أفراد بعينهم وفئات معينة من خلال خطاب الكراهية"[١] بسبب قوة الاستقطاب التي تمارسها الوسائط الإعلامية عبر تجييش الخطاب الديني أو التهويل الإيديولوجي للأحداث والوقائع أو حشو الخطاب الفكري والثقافي بمادّة سياسية ملغومة.

لقد أصبح الإعلام يشهد تجاوزات خطيرة باستخدام خطاب الكراهية بسبب انزلاق وسائل الإعلام إلى التحيّز والتعصّب الديني وكراهية الآخر، فعوض أن تكون منبراً للتنوير والانفتاح أصبحت أداة للتحريض على العنف والطائفية والأعمال العدائية عبر البث المتكرر للأفكار النمطية والصور السلبية والإقصاء الممنهج للطرف المخالف من خلال تحكيم قاعدة شيطنة الآخر، وفي هذا الإطار يلعب الإعلام الموجّه والمؤطّر سياسياً دوراً سلبياً للغاية في إنتاج خطاب الكراهية وتسييس القضايا الإنسانية.

يُعَدُّ خطاب الكراهية والتطرّف في الإعلام أداةً لإشعال الفتن والصراعات المذهبية والطائفية، فكثيراً ما يتمّ استخدامه "لممارسة الكراهية ضدّ الآخر المختلف عنّا والمغاير لتصوّراتنا وقناعاتنا"[٢]، ذلك أن خطابات الكراهية تقوم بشحن النفوس بشكل سلبي وتطلق أحكاماً جائرة انطلاقاً من التحريض القائم على السمات الإثنية والدينية. ويزيد من تعقيد الأمر أنه "لا يوجد تعريف متفق عليه بشكل عام لخطاب الكراهية أو المحتوى العنصري عموماً"[٣]، إذ يأخذ هذا الخطاب توصيفات عدة ما يجعلنا أمام حزمة من خطابات الكراهية التي يصعب التعامل معها واتخاذ القرارات المناسبة إزاءها.

يَعْمَدُ خطاب الكراهية إلى نشر أفكار معادية للآخر بدوافع دينية أو مذهبية أو قومية، "ويمكن لرسائل الكراهية أن تجد أرضاً خصبة ذات مشاكل اجتماعية أو اقتصادية وسياسية أوسع نطاقاً أو انقساماً في المجتمع، وغالباً ما تكمن الأسباب الجذرية للكراهية

١- تقرير ريتا إيجاك المقررة الخاصة المعنية بقضايا الأقليات، تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية والسياسية والاقتصادية..، مجلس حقوق الإنسان، الدورة الثامنة والعشرون، الجمعية العامة للأمم المتحدة، HRC/A/٢٨/٦٤، ٢٠١٥.

٢- محمد محفوظ، «ضدّ الكراهية» من أجل تفكيك خطاب الكراهية في العالم العربي، المركز الإسلامي الثقافي، لبنان، ط١، ٢٠١٢، ص٢٠.

٣- YamanAkdenig, « Racism on the internet, Council of Europe Publishing, Strasburg, 2009, p07.

في اختلافات إثنية أو دينية صرفة"[٤]، وهو ما أدّى إلى طرح سؤال مهم للغاية حول هل تحمل الأديان بذور الكراهية بداخلها؟

سؤالٌ يطرحه من تنتابه الحيرة حول الفرق بين دعوة الأديان إلى إله واحد وبين ما يُرتكب باسمها من عنف وتكفير وكراهية، حيث "أن الفتن غالباً ما تحدث باسم الدين" [٥]، بيد أن الدين الحق ليس مصدراً لخطاب الكراهية لأنه خطاب موجه للإنسانية، كما أن الخطاب الديني نفسه لا يمكنه أن يزدهر في مناخ الكراهية لأنه سيصطدم بالقيم التي يتأسس عليها نظام الحياة السياسية والاجتماعية والمبادئ التي تُبنى عليها، حيث "تكمن فكرة الدين باعتباره هوية ثقافية وراء مطلب أن تظلّ الدولة محايدة في المسائل الدينية، وهو مطلب يُفهم أنه ينبع من الالتزام بالحرية الدينية ويتلقى دعماً رسمياً في كثير من الديمقراطيات الليبرالية"[٦]، فحرية المعتقد التي يكفلها الدين نفسه هي وحدها كفيلة لفهم أنه لا يدفع إلى خطاب الكراهية وأن النفس الإنسانية التي نفخت فيها الحداثة إخفاقاتها هي من تُسوّغ لذاتها تحويل الخطاب الديني إلى خطاب كراهية.

إنّ جهل المنتمين إلى دين ما بدين آخر وأفكاره وثقافته وتصوّراته الأخلاقية وروابطه العقدية، يجعلهم عرضة لمخيال ديني مُنتِج للأوهام والهواجس المضللة بالإضافة إلى خضوع وعيهم لسطوة وسائل الإعلام والاتصال، كل ذلك يولّد لديهم مناخاً من الرعب والخوف من دين الآخر ويدفعهم إلى التحصّن داخل قلاع أديانهم، إذ أن "الخطاب الذي يهاجم جماعة دينية معينة أو نظامَ معتقدٍ ما غالباً ما يستند إلى نظامٍ ديني آخر منافس"[٧]، وفي هذا السياق تعمل وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي على الترويج للمواد والمضامين التي تلغي الآخر الديني المغاير، فيكون خطاب الكراهية السلاح الموجّه خارج الحصون الدينية.

ويتعاظم دور الإعلام في صناعة الكراهية في كونه لا يقتصر على رسم صورة منفرة للأديان ونشر الرهاب من الآخر الديني فحسب، وإنما يوجه أيضا لتعزيز كل أشكال العنصرية والعنف ضد المهاجرين والأقليات واللاجئين، فوسائل الإعلام تقوم بحجز صورة الآخر داخلها وتلونها بحسب أجندة إيديولوجية ما وتعرضها لكثير من التشويه والضبابية، وهو ما ينشئ سوء الفهم الذي يؤدي بدوره إلى بروز تأويلات متصارعة.

إنّ خطاب الكراهية الدينية لا يميز بين الدين وبين معتنقيه فيجعل من نقد الأديان ومقارنتها سبباً في كراهية أتباعها كما يجعل من نقده لسلوكات المؤمنين بها سبباً في كراهية الأديان نفسها وتحميلها مسؤولية التحريض على العنف وأشكاله المختلفة

٤- تقرير ريتا إيجاك المقررة الخاصة المعنية بقضايا الأقليات، مرجع سابق.

٥- جون لوك، "رسالة في التسامح"، ترجمة: منى أبو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧، ص٦٠.

٦- Richard Moon, "Putting faith in hate: when religion is the source or target of hate speech", Cambridge University press, UK, 2018, p 62.

٧- YamanAkdenig, op.cit. p12.

ومن أبرز تجلياته معاداة السامية واضطهاد المسيحية وكراهية الإسلام، وبصفة عامة "يمكن وصف خطاب الكراهية الدينية بأنه خطاب يحرض على الكراهية على أساس الدين أو المعتقد"[٨]، وهذا الخطاب من أشدّ خطابات الكراهية خطورة وذلك لأنه يستغل الأديان لمآرب دينية دنيوية ضيقة وآثمة.

المحور الثاني: إعلام الكراهية والتحريض الديني:

يحتلّ الدين أهمية قصوى في حياة البشر لارتباطه المباشر بالإيمان والمقدس كما أن له دوراً أساسياً وفاعلاً في كافة أنشطة الحياة اليومية على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي "وهو أيضاً سريع التأثير في الانزلاق إلى العنف والكراهية إذا ما أُسيء استخدامه"[٩]، ذلك أن الخطاب الديني "يكون خطاب كراهية عندما يلحق الضرر أو يميل إلى التحريض على العنف الفوري"[١٠]، وفي هذا السياق توجه أصابع الاتهام إلى وسائل الإعلام على أنها منابر ووسائط تحريض على العنف والكراهية لما تبثه من رسائل إعلامية متشنجة تسهم في نقل التحريض الديني. ما يجعل الكلمة والصورة أداة تحريض أساسية، فالكثير من الوسائل الإعلامية حولت الطيف الفضائي إلى منبر للتحريض والتعبئة الدينية وشن هجمات إعلامية ضدّ فئات دينية أو شخصيات بعينها ما يسفر عن ارتكاب جرائم بدافع الكراهية والعنف.

إنّ الانتشار القوي لوسائل الإعلام التقليدية والثورة الرقمية ساهم في جعل الخطاب الإعلامي أداة للشحن الديني والطائفي، ما يحيلنا إلى خطاب الكراهية على نطاق واسع، وفي ضوء تفاقم الصراعات استخدمت هذه الوسائل التي تتطور سريعاً في ممارسة القناعات والتمرّس خلفها والتراشق بها[١١]، ومن أخطر خطاباتها الخطاب العنفي التحريضي الذي يشكل تهديداً حقيقياً للسلم الاجتماعي والدولي وعلى التعايش والانسجام بين مكونات المجتمع.

إنّ مفهوم التحريض من المفاهيم التي ليست معرفة كما ينبغي، وهو يستخدم عادةً لنقل ثلاث أفكار مختلفة على الأقل هي: أ) التحريض على فعلٍ غير مشروع يتمّ فعلاً (كالإبادة الجماعية والعنف والتمييز)، ب) التحريض على فعلٍ مشروع لا يتم ولكن يخلق في ذهن المتلقي الرغبة في ارتكاب فعل غير مشروع، ج) خلق حالة ذهنية معينة- كراهية عرقية وعنصرية- دون صلة بفعل غير مشروع. ولم تحظَ محاولات تعريف الخطاب المحرض على الكراهية تحديداً بقدر كبير من التوافق في الآراء، فثمّة الكثير من عدم اليقين بشأنه[١٢]، وقد اعترضت محاولات

٨- Erica Haward, " freedom of expression and religions hate speech in Europe", Routledge, London and New York, 2018, p63.
٩- جورج صدقة وآخرون، "التحريض الديني وخطاب الكراهية"، مؤسسة مهارات، لبنان، ٢٠١٥، ص٣..
١٠- Nancy L. Rosenblum, " Obligations of citizenship and demands of faith: religions accommodation in pluralist democracies", Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 2000, p323.
١١- جورج صدقة وآخرون، المرجع السابق، ص ص ٤، ٥.
١٢- الجمعية العامة للأمم المتحدة، التحريض على الكراهية العنصرية والدينية وتعزيز التسامح، مجلس حقوق الإنسان، الدورة الثانية، ٢٠٠٦، ص ص ١١، ١٢.

تعريفه عراقيل جمّة، ذلك أن الخط الجامع في التحريض على العنصرية، على العنف، على التحريض الديني هو الكراهية.

عندما يتضمّن التحريض البعد الديني فذلك يخضع لظروف وعوامل مهمة مرتبطة بالبلد:

- قياس إذا ما كان التحريض الديني يتسبب في عواقب تُخل بالأمن وتصل إلى مواجهات مسلحة.
- في ما إذا كان يطال السلم الأهلي أو يعرقل حصوله..
- وبالتالي في مخزون الكراهية الذي يحركه العامل الديني بشكل سريع وغرائزي[١٣].

كل التحريض الديني يعود لربط الخطاب بالسياسي وهذا الجانب الأخير "يسرع استحضار الشعور من خلال الشحن الديني والطائفي ما يحيلنا إلى خطاب الكراهية والتساؤل عن وجوده وكيفية ممارسته"[١٤]، فتفاقم الخلاف ذي الأبعاد السياسية والدينية المختلفة يؤدي إلى صراع ذي منحى ديني على المقدس ورموزه، "عند احتدام هذا الصراع يعلو منسوب الكراهية وينعكس خطاباً حاداً تحريضياً في وسائل الإعلام بدرجات متفاوتة"[١٥]، ذلك أن الخطاب التحريضي يتوسل الإعلام ليحقق إنجازاته على أرضية خلافية معقدة جدّاً بتبني وجهة نظر أحادية الجانب، خطابات مشحونة، خطابات مضادة لنشر آراء كاذبة مضللة مما يؤدّي إلى إنتاج خطاب الكراهية إعلامياً على أساس ديني.

يتعدّى ضررُ خطاب الكراهية إلحاق الأذى بشخص أو جماعة في لحظات عابرة واستثنائية إلى إبقاء ذلك الشخص أو تلك الجماعة تحت ضغط الكراهية ومخاطرها المحدقة لزمن غير محدّد أي المرور من "كراهية عرضية" (accidentalhate)إلى "كراهية مزمنة" (chronichate)، ذلك أن "خطاب الكراهية يسبب أذى للآخرين إمّا بشكل مباشر عن طريق ترهيب أو مضايقة أعضاء جماعة عرقية أو غيرها من الجماعات التي يمكن تحديدها، أو بشكل غير مباشر عن طريق إقناع جمهور أكثر عمومية بأن أعضاء هذه المجموعة خطرون أو غير مرغوب فيهم ويجب معاملتهم وفقا لذلك"[١٦]، وفي كلتا الحالتين، فإن خطاب الكراهية يأخذ طابعاً شمولياً مهما كانت الجهة التي أصدرته لأنه يتحول عبر الوسائط الإعلامية إلى خطاب عمومي يشمل جماهير واسعة.

المحور الثالث: رصد التحريض الديني في الخطاب الإعلامي:

يعتمد نجاح الإعلام على قدرة وسائله على استغلال عواطف الإنسان وانفعالاته[١٧]، ولذلك تبتعد الكثير من الوسائل عن الحيادية والمهنية وتعتمد الإثارة والخطابات التحريضية الملهبة للمشاعر لتعبئة الجماهير

١٣- جورج صدقة وآخرون، ص٩..
١٤- المرجع نفسه، ص٥..
١٥- المرجع نفسه، ص٦١.
١٦- Richard Moon, op.cit, p19
١٧- أحمد برقاوي، "الدولة الوطنية وتحديات العولمة"، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٢٠١.

وتجييش مشاعرها سواء دينياً أو طائفياً وسياسياً ما يجعل الخطاب الإعلامي أبعد ما يكون عن القيم والمعايير الأخلاقية والمهنية، "وللأسف إن خطاب الكراهية والتحريض عليها يتزايدان في العديد من البلدان عبر كل القارات وكثيراً ما تنتقل رسائل الكراهية هذه من خلال وسائط الإعلام التقليدية والأنترنت"[١٨] والانتهاكات التي يقوم بها الصحفيون خاصة ما يتعلق بالتحريض الديني، بنشر الأخبار الملفقة والمضللة والخطاب الهادف إلى زرع الكراهية ضد الآخرين، في ارتفاع مستمر مما ينبئ عن أزمة أخلاقية شديدة ومستعصية.

كثيرةٌ هي الوسائط الإعلامية التي تتناول الانقسامات والنزاعات الدينية والجميع متفق علناً أن يحترم كل طرف الطرف الآخر لأن في ذلك أيضاً ضمانة لاحترام معتقداته هو أيضاً، لكن الكثير من هذه الوسائط تنخرط في حملات إعلامية لبث خطاب الكراهية، ومن ثمة فإن "التحريض الديني حاضر وعندما يكون البلد طائفياً والمنطقة أنظمتها دينية، فإن الخطاب الإعلامي بسهولة يمكن له أن ينزلق باتجاه التحريض"[١٩] وينقل صورة مشوهة وسيئة عن الآخر في أحدث تقنيات الإعلام والاتصال من صحف ومجلات وقنوات وأنترنت ووسائط متعددة.

يعتمد الخطاب الإعلامي الذي يتخذ من التحريض الديني هدفاً له على خلفية دينية، "وعندما يتحقق الخطاب فنحن أمام إكراهات معيارية من خلال العلاقة مع الآخر والعلاقة مع الموضوع "المتصل بالدين" ففي الوقت الذي نمارس ذاتنا ننسج علاقة مع الآخر"[٢٠]، بيد أن هذه العلاقة إذ تتصل بإشكالية مركزية هي إشكالية المغايرة أو الآخرية (نسبة للآخر) تحكمها العداوة والكراهية في الغالب إذ نجد حضورا مكثفاً لخطاب الكراهية وتعبيراته الإقصائية.

يتميز هذا النوع من الخطابات الإعلامية الذي يوظف الخلفية الدينية في التحريض من خلال فعل الكراهية الذي يقوم به والتصريح المشحون بالعواطف وإثارة المشاعر الدينية، كما يقوم أيضاً على استحضار الشعور بالعصبية والانتماء فتأتي أسبقية النزعة الدينية على بقية النزعات ويوظف الخطاب الديني لتكريس الانفصال السياسي وعدم قبول الآخر"[٢١] في مقابل الخوف على الذات وهو بذلك وسيلة لنشر التحريض والضغينة داخل الشعوب وخارجها [٢٢]، والتي أوصلت البشرية إلى العنف والصراع.

وبغضّ النظر عن أطراف التحريض الديني المتصارعة لأن البحث ليس في الديني بل في تمظهره في الإعلام يتم التعبير عن تمثيلات الآخر بمجملها باستخدام عبارات مهينة ومذلة لتحقيره وصولاً إلى السباب والتشهير ومروراً بأشكال التحيّز المتفاقمة وتناول العلاقة معه بنوع من الإثارة والتحريف

١٨ - تقرير ريتا ايجاك، مرجع سابق.
١٩ - جورج صدقة وآخرون، مرجع سابق، ص٥٢.
٢٠ - جورج صدقة، ص٦٢.
٢١ - المرجع نفسه، ص ص ٥٠، ٥٣.
٢٢ - سكاي لاين الدولية ترصد خطاب التحريض والكراهية في الإعلام العربي، سكاي لاين الدولية، ستوكهولم، مارس ٢٠١٩، ص٠٣.

والافتراء، فهذا الخطاب خطاب إقصاء إذ يستمد استراتيجيات تبريرية تعمل على تجميل الذات وتحقير الآخر بنبرة اتهامية جائرة كما نجد أن المصطلحات الدينية حاضرة بقوة والتسميات مشحونة [٢٣]، سيما عندما يتعلق الأمر بالمساس بالمقدس بحيث يتم استخدام وسائل الإعلام كوسيلة للتقريع والسخرية والنقد الذي يتجه إلى الدحض والنقض [٢٤]، فتتم تعبئة المشاعر السلبية في كل مرة يمس الآخر "بمقدساتنا فيصبح عدوا: هنا إشارة إلى الشعور بالإهانة، بالغيرة على المقدسات، بالغضب.. وتأتي إدانة الإساءة للمقدس عنيفة"[٢٥] فهناك في بعض الحالات تحريض مباشر على العنف والقتل على الهوية الدينية وإهدار الدم لأسباب عقائدية.

يؤدي الإعلام دوراً كبيراً في إشعال الصراعات والحروب من خلال تعبيرات الكراهية والقدح والذم التي يوجهها عند تدنيس المقدس وإهانة قدسية الأديان أو السخرية منها وشتم الرسل والأنبياء والإساءة إليهم، وفي هذا الإطار "تشكل مجزرة قتل صحافي ورسامي مجلة شارلي إيبدو الفرنسية العام ٢٠١٥، محطة مفصلية في النقاش حول إشكالية حرية التعبير وخطاب الكراهية في العصر الرقمي، فمن أطلق النار على رسامين مثيرين للجدل اتهمت مجلتهم في مناسبات عدة بتبني خطاب عنصري أو كاره للمسلمين والمهاجرين، فتح برصاصته الباب على نقاش الحق بالسخرية مهما على سقفها"[٢٦]، إذ نشهد اليوم الكثير من التحريض التهكمي الساخر والمسيء على وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي التي يديرها مروجو الكراهية والتطرف، وفي هذا الصدد "تكشف الدراسات عن أن سوء مستوى التقارير التي تعرضها وسائط الإعلام عن سمات مثل الإثنية أو الدين ينطوي على أمور منها التصنيف والاستخدام الانتقائي للبيانات وتعميم الحوادث والتنميط السلبي.. واستعمال الألفاظ المهينة وخلط الحقائق والآراء، وغياب التأكد من الوقائع.."[٢٧] مما يعني رصد تجاوزات كبيرة في الخطاب الإعلامي المقدم للجمهور المستهدف.

المحور الرابع: أهم الأسباب التي تدفع وسائل الإعلام إلى الانزلاق إلى التحريض الديني وخطاب الكراهية:

من بين أهم الأسباب التي تساهم في انحراف وسائل الإعلام عن الدور المناط بها وقوع الإعلاميين في فخ الذاتية والتعصب سيما فيما يتعلق بالدفاع عن المقدسات الدينية والذي يجرهم إلى إلغاء الآخر، بيد أنّ "المقدس لا يشرع في سياق الدفاع والذود عنه ممارسة التطرف والتشدد والغلو ولا يتمّ الدفاع عنه بهدم قيم الحرية وهتك

٢٣ - جورج صدقة، مرجع سابق، ص ٦٢.
٢٤ - محمد محفوظ، ص ٦٨، ص٧٦.
٢٥ - جورج صدقة، ص ٥٢.
٢٦ - سناء الخوري، "بين حرية التعبير والتنمر وخطاب الكراهية: هل التشريع حل عادل؟"، ضمن مجلة المفكرة القانونية، لبنان، العدد ٥٧، ٢٠١٨، ص ص ٢٦، ٢٧.
٢٧ - تقرير ريتا ايجاك، مرجع سابق.

الكرامة الإنسانية، وإنما يتم الدفاع عنه، بالالتزام بهذه القيم"[٢٨]، ومن ثمّة يتعين على الإعلام أن يتجنب الترويج للمواد السلبية وحماية الأديان من التشهير والخطابات المليئة بالكراهية.

من جهة أخرى ينساق الإعلام نحو التحريض الديني طلباً للمصلحة والمال، ذلك أنّ «بعض وسائل الإعلام الغربي عملت ولا زالت تعمل على تشويه صورة الإسلام في الغرب لأهداف متعددة.. يستغلها كل صاحب مصلحة في أوربا لتمرير مصالحه"[٢٩]، بالإضافة إلى ذلك يُعدّ الجهل المتبادل بحقيقة الآخر من الأسباب الرئيسة وراء التخلّي عن أصول المهنة وقواعد العمل الإعلامي، إذ يتمّ التسويق لتصوّرات مغلوطة عن الآخر بسبب الجهل به، فمعظم الإعلاميين الغربيين مثلاً لا يعرفون عن قضايا الإسلام التي يقومون بتغطيتها سوى بعض الأفكار المسبقة والخاطئة، مثل مفهوم الجهاد الذي يبدو محفوفاً لدى هؤلاء بالالتباس لارتباطه –في منظورهم- بـ"الحرب المقدسة" و"العنف"، بينما يحيل هذا المفهوم إلى مضامين أوسع من القتال، حيث أنه يشمل أنواع العبادات الظاهرة والباطنة، وهو ما يجعلنا نطرح تساؤلاً مركزياً حول إلى أيّ مدى تكون وسائل الإعلام من الطرفين على دراية وفهم بالصورة التي تعطيها عن الآخر؟

ويمكننا إجمال الأمور التي تشكّل عقبات أمام تقارير إعلامية جيدة وغير متعصّبة فيما يلي: "انعدام معرفة الإعلاميين بالقضايا الإثنية والدينية، وغياب التدريب الداخلي وسوء الوضع المالي لوسائل الإعلام، وزيادة عبء العمل، وقلة الوقت المتاح لإعداد التقارير"[٣٠]، فضلاً عن تهاون بعض الصحفيين في القيام بعملهم على أحسن وجه، بالإضافة "إلى تَعقّد الجهود لإيجاد توازن بين الحقّ في الرأي والتعبير ونقل المعلومات وبين الحظر على الخطاب والأنشطة التي تعزّز الآراء العنصرية والتحريض على العنف"[٣١]، وفي سياق ذي صلة يعد التأثر بفكرة صدام الحضارات التي روجت لها بعض المؤسسات الإعلامية- والتي تؤكد أن الصدام بين الغرب والإسلام قائم منذ قرون ولن ينحسر- واحداً من أهم الأسباب التي جعلت الإعلام يزج بالدين في الصراع وينحرف إلى التحريض.

المحور الخامس: مظهرات التحريض الديني في وسائل الإعلام: الإعلاموفوبيا والتحريض على الكراهية الدينية بين الغرب والإسلام "نموذجاً".

تجد الكراهية الدينية في وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي ملاذاً آمناً وسريعاً في نشر التحريض الديني ممّا زاد من حجم الدعاية للجماعات الإرهابية

٢٨- محمد محفوظ، ص٣٣.
٢٩- محمد بن علي الهرفي، "صورة الإسلام في الإعلام الغربي"، ضمن أعمال الندوة الدولية ظاهرة الإسلاموفوبيا وسبل التعامل معها، إيسيسكو، الرباط، ٢٠١٥، ص ٢٥٣.
٣٠- تقرير ربيتا ايجاك، مرجع سابق.
٣١ - YamanAkdeniz, op.cit, pp 19-18

وقدرتها على الحشد والتعبئة ونشر التكفير، كما تزايدت المجموعات الداعية لكراهية الأجانب والمسلمين بالخصوص والتحريض على العنف ضدّهم، إذ شكّلت حرية التعبير حصان طروادة لممارسة أنشطة التحريض على الكراهية العنصرية والدينية المهدّدة للنظام العام وحتى للعلاقات الدولية. وسنتطرّق فيما يلي إلى صور التحريض الديني على الكراهية في وسائل الإعلام الغربية والعربية على حدّ سواء.

١. وسائل الإعلام وظاهرة الإسلاموفوبيا:

يأخذ الغرب صورته عن الإسلام مختصره وعامته من الصور التي يقدّمها الإعلام على الرغم من آثار التشويه الإيديولوجي والسياسي التي ترافق هذه الصور حتى ظهرت صورة المسلمين كبرابرة متوحشين ينتظرون اللحظة التي ينقضّون فيها على الغرب فيدمّروا حداثته ومشاريعه، صورةٌ مرعبة تجعل من العالم الإسلامي شرّا يجب أن يزول في نظر الرأي العام الغربي. ومن ثمّة تمّ تحصيل صورة ضبابية مقيتة عن روح هذه الحضارة تسم الإسلام بأنه دين تعصب وإرهاب ونبذ للآخر، وتظل هذه الصورة محايثة لباقي الحوارات التي يديرها الغرب في إطار حوار الأديان والحضارات.

يرى الغرب أنه مهدد وهذا التهديد هو الإسلام وهو ما أدّى إلى انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام "الإسلاموفوبيا" التي وضعت الإسلام ضمن ثنائية ضدّية للغرب يوجهها خطاب الكراهية ويطبعها الكثير من سوء الفهم المتبادل والتوجّس، إذ قامت الميديا الأمريكية "بتجنيد أبواق دعايتها من مثقفين وإعلاميين وفنانين لإثارة الرعب من هذا الشرق الأسطوري الدموي"[٣٢]، من هذا الدين الذي يسعى إلى اجتثاث الآخر «وفق ما تنتجه طبيعة الكراهية الدينية "من أنهم يكرهوننا» وهي مقولة الخصم/الآخر دينياً وثقافياً وهو ما يؤدّي إلى تأييد الصراع كحالة ثقافية تستمد وجودها ومقوماتها من مادة الكراهية"[٣٣]، والنتيجة هي تنامي مشاعر الفوبيا من الإسلام.

وبالمحصّلة ظهرت في السنوات التي تلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر حملات إعلامية مقصودة وغير مقصودة تروج للعداء والكراهية والتخويف من الإسلام من خلال نشر صور مغلوطة عنه، حيث "أن الإعلام الغربي أصبح عاملاً رئيسياً في تشويه صورة العربي المسلم"[٣٤] انطلاقاً من الرؤية الأمريكية "إنّ الإسلام يكرهنا» وهو ما أدّى إلى انتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا، "وقد غذّى هذه الظاهرة مجموعة كبيرة من السياسيين الغربيين بالإضافة إلى عدد من رجال الدين النصارى واليهود وكانت كراهية الإسلام من جهة، والبحث عن مصالح مادية، من جهة أخرى هي السبب وراء كل تلك الكراهية التي طفح بها الإعلام الغربي ولا زال"[٣٥]، وبطبيعة الحال فقد أثّرت هذه الوسائل على

٣٢- مصطفى بن تمسك، "دور المركزية الغربية في صناعة خطاب الكراهية"، مؤمنون بلا حدود، الرباط، ٢٠١٨.
٣٣- حكمت البخاتي، "الكراهية الموجة أو الظاهرة الأمريكية، مرجع سابق، ص٣٠.
٣٤- محمد بن علي الهرفي، مرجع سابق، ص٢٥٣.
٣٥- المرجع نفسه، ص٢٤٥.

تغيير صورة الإسلام، واتّخذت بسرعة عدة أشكال جعلت من المسلمين نموذجاً لممارسة مختلف أشكال الكراهية الدينية.

وإذ لا يسعنا الحديث بحق عن موجة الاعتداءات وأشكال التحريض التي يتعرّض لها العرب والمسلمين نظراً لشساعتها، فإننا نشير إلى أن أعمال العنف والكراهية تراوحت في مداها بين شتائم أطلقت في الشارع، وصولاً إلى أعتى أشكال التطرف والتمييز أو التحريض عليها، فلقد غدا شائعاً منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ربط الإسلام بالإرهاب واعتباره رديفاً لجميع أشكال العنف[٣٦]، ولقد استغلّت المنظّمات المتطرفة المعادية للمسلمين هذا الوضع لنشر خطاب الكراهية ورسائل التحريض على العنف في وسائط الإعلام والإنترنت ضدّ المسلمين[٣٧].

وفي هذا السياق تُشكّل مسألة الرسوم الكاريكاتورية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في الصحيفة الدانماركيةيولاند بوسطن أخطرَتجسيد على الإطلاق لكراهية الإسلام، فقد قامت هذه الصحيفة في ٢٠١٥ بنشر ١٢ رسماً كاريكاتورياً، والربط بين الإسلام ونبيّه بالعنف والإرهاب هو الميزة الأساسية لهذه الرسوم[٣٨]، كما اتّخذت العديد من وسائل الإعلام الغربية من الاحتقان والتأزّم الذي ساد عقب أحداث ١١ سبتمبر مبررات لتسويغ قرارات القطيعة مع الإسلام ونشر مشاعر الكراهية وهذا عبر مختلف الوسائط التي جعلت من هذه الأحداث مصدراً للشهرة والأضواء كبعض الكلمات العنصرية التي أطلقها الرئيس الأمريكي جورج بوش مثل مصطلح "الحملات الصليبية"، وبعض الأقوال التي تسيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو ما أدّى إلى انتفاضة الشارع العربي والإسلامي وظهرت جبهات للمقاطعة وازدادت حدّة التوتّر الإقليمي بين الغرب والإسلام واتّسعت الهوّة القيمية بينهما.

وإذا كانت الصورة العامة للإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية تعكس حالة من سوء الفهم والحقد، فإن هذه الوسائل لم تتوان عن عرض مشاهد العنف والدماء وصور الاعتداء كأنجح وسيلة للترويع وزرع الكراهية، مثال المجلة الأمريكية (The econimst) الأكثر انتشاراً بنسخها الورقية والإلكترونية والتي تنشر الأخبار المثيرة والصور الأكثر استفزازاً للمسلمين٣٩، بالإضافة إلى تسويق الفوبيا في قوالب نمطية مستفزة واستخدام أساليب النقد الساخر للتهكم على الشخصيات المقدسة والرموز الدينية، وكمثالٍ عن ذلك: إذاعة (WMIL) الأمريكية التي تصف الإسلام في برامجها الحوارية بأنه منظّمة إرهابية٤٠، كما أن أساليبها الموسومة بالتحيّز الكبير تستخدم التشهير والتحريض كوسيلة لازدراء المسلمين والهجوم عليهم.

٣٦- الأزهر لعبيدي، منع التحريض على الكراهية الدينية في الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، جامعة ورقلة، الجزائر، ٢٠١٤، ص١٤٠.
٣٧- تقريرريتا ايجاك، مرجع سابق.
٣٨- الأزهر لعبيدي، مرجع سابق، ص١٤٠.
٣٩- نادية أقجوج، سياسة التخويف من الإسلام في الإعلام الغربي، ضمن أعمال الندوة: ظاهرة الإسلاموفوبيا وسبل التعامل معها، مرجع سابق، ص٢٨٩.
٤٠- الأزهر لعبيدي، مرجع سابق، ١٤٢.

وفي هذا الإطار اعترف تقرير لجنة حقوق الإنسان الصادر سنة ٢٠٠٠ بأن "هناك حملة تشويه متنامية ضدّ الإسلام في الغرب وأنّ المسلمين يتعرّضون للتمييز والإضرار بمصالحهم إلى درجة تصل إلى حدّ العنف على أساس ديني"[٤١]، وهو ما لخّصه الخبير الألماني كاي حافظ بقوله «عندما تركزوسائل الإعلام على العنف يجيب الجمهور بكرهه للإسلام أو ما يسمى بالإسلاموفوبيا"[٤٢].

ولعلّ أقرب مثال هو ما حدث في ما سميّ إعلامياً بـ "مجزرة المسجدين" بنيوزلندا حيث بث الجاني مجزرته على المباشر على الفيسبوك وقبل الهجوم نشر بياناً مطوّلاً يشرح فيه الأسباب التاريخية للكراهية الدينية مع شعارات معادية للمهاجرين والمسلمين، ولم تستطع أيّ جهة اكتشاف الهجوم قبل وقوعه بينما كان الكثير من الناس يشاهدونه على المباشر.

"إنّ خطاب الكراهية الواسع النطاق ضدّ المسلمين يقرع رؤوسنا ويجبرنا على التذكر بأنّاللاتسامح الديني، العنصرية ورهاب الأجانب لم تمُتّ بعد، حيث أنها لا تزال قوية جدا في الولايات المتحدة الأمريكية"[٤٣]، وهكذا يظهر أن درجات السوء والضرر تتضاعف «عندما يكون الدين مصدراً لخطاب الكراهية"[٤٤]، فجوهر الخلاف عقائدي يتعلق بتصور متمايز عن المقدس الديني، وهو ما يطرح أسئلة وتحدّيات كبيرة حول حماية الأفراد من خطر هذا الخطاب "إحدى الأسئلة التي تتحدّى إجابة مقنعة هو عندما يصبح العداء الشديد للعقائد أو المنظمات الدينية، في الواقع كراهية للأتباع أنفسهم"[٤٥]،حيث أنه «عندما يتمّ توجيه خطاب الكراهية إلى مجموعة مثل المسلمين، فإنه ينسب إيماناً غير مرغوب فيه أو إيماناً خطيراً إلى المجموعة ككل"[٤٦]، ومن ثمّة يجد هؤلاء أنفسهم ضحية للاعتداء من قبل الجماعات المتطرفة والذين ينفذون أعمالهم في الغالب باسم الدين.

ب. وسائل الإعلام وظاهرة الغربوفوبيا:

لقد أدّت الصورة النمطية التي صاغها الإعلام الغربي عن الإسلام - والتي تطفح بالحقد والكراهية الشديدة- إلى تزايد مشاعر الكراهية من المسلمين للغرب وتمّ تحصيل صورة سيئة عن هذا الآخر بوصفه المتآمر والمشارك في معظم الأزمات الاقتصادية والسياسية التي تصيبهم، ولعلّ أبرزها الضغوط الاقتصادية والتدخّل في الشؤون الداخلية، "وترتب على ذلك وجود حالة من خوف شائعة بين العرب والمسلمين تجاه الغرب نتيجة التأثير العكسي والسلبي لـ "إسلام فوبيا"[٤٧] وأصبح المسلمون يطرحون السؤال عينه الذي صار عنواناً للخطاب

٤١- محمد بن علي الهرفي، مرجع سابق، ص٢٥٣.
٤٢- دور وسائل الإعلام في العلاقة بين الغرب والإسلام، ملتقى لوغانو جنوب سويسرا، ١٦-١٧ مارس ٢٠٠٧، عن مجلة Swissinfo، ٢٢ مارس ٢٠٠٧.
٤٣- Antony Cortese, "Opposing hate speech", Praeger Publishers, US , US, 2006, p56
٤٤- Richard Moon, op.cit, p56.
٤٥- Blackford Russel, "Freedom of religion and the secular state", John Wiley & Sons, UK, 2012, p176.
٤٦- Richard Moon, op.cit, p67.
٤٧- عطية فتحي الويشي، «الخواف الإسلامي، بين الحقيقة والتضليل»، رابطة العالم الإسلامي، مصر، ٢٠٠٧، ص ص ١٩٧، ١٩٨.

السياسي الأمريكي في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١: لماذا يكرهوننا؟

ومن ثمّة درج الإعلام العربي على «تدشين آلية إعلامية مضادّة تعمل على الترويج لما يمكن أن نسميه الغرب فوبيا أو أمريكا فوبيا»[٤٨]، تروج لبروبغندا دعائية تلصق جميع التهم بالغرب وتنقل عنه تمثلات سلبية إلى العالم العربي، حيث يتبدّى الغرب عدواً مسؤولاً عن كل النكسات التي يعيشونها، "ذلك العالم الذي بات برمّته ينظر إلى الولايات المتحدة الأمريكية والغرب نظرة عداء وكراهية"[٤٩] ويقرأ الآخر في سياق العداوة الأبدية.

ولعلّ التمركز حول الذات هو الذي دفع المركزية العربية- على شاكلة المركزية الغربية- إلى رفض التغاير وتسفيه معتقدات وقيم الغرب، ذلك أن "الباعث على تأجيج الصراع بين الغرب والإسلام، لا تبرره الاختلافات الفكرية أو الحضارية القائمة، بقدرما تبرره التشابهات القائمة على "الهيمنة الكونية" التي يسعيان إليها بكل جهدهما"[٥٠]، فوسائل الإعلام العربية والإسلامية تقوم بنفس الشيء فيما يتعلق بالغرب، وإن لم توجد دراسة فعلية معمقة حول هذا الموضوع[٥١]، فإنه يمكن القول بأن الصورة التي تعطيها هذه الوسائل عن الغرب هي صورة منحازة تعتمد على تغذية أفكار ليست صحيحة إلى حدّ كبير[٥٢].

وهي تتحجج بنظرية المؤامرات التي صدّقتها، إذ "يزعم العقل المسلم أنه ضحية لكل المؤامرات التي يحيكها العقل الغربي ضدّه ويُعبئ ويحشد الفئات المتدّينة بمختلف طوائفها ومذاهبها للقبول بهذه النتيجة"[٥٣]، وقد أسفر هذا عن ردود فعل قوية تتسم بالعداء للمسيحية ومقاومتها وارتفاع منسوب التحريض الديني ضدّها، "وانتشرت في المجتمع تيارات وأفكار متطرفة ومتعصبة لنفسها، ومعادية للغرب، تعادي كل ما هو غربي... إنها "الغربوفوبيا": أي الخوف والتوجس من الغرب"[٥٤]،وقد حصل فعلا أن تطور هاجس الخوف "في المنظومة الإسلامية، فاتجه نحو تبَنّيمواقف أكثر عدوانية وراديكالية من الغرب، بل إن هذا الإحساس بالظلم هو الذي عمل على تأسيس خلايا جهادية، تتخذ العنف المادي وسيلة لإيصال الرسائل"[٥٥]، إذ أصبحت مظاهر الكراهية والتحريض الديني عليها تتكرر عبر وسائط الإعلام من خلال نشر المعلومات المضللة والتحريض على العنف والعداء.

وفي هذا الإطار "تعد وسائط التواصل الاجتماعي أرضاً خصبة للجماعات

٤٨- المرجع نفسه، ص ٢١٣.
٤٩- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
٥٠- محمد البوبكري، «أدلوجة الخوف من الإسلام في المشروع الحضاري الغربي»، مؤمنون بلا حدود، الرباط، ٢٠١٧، ص٢٤.
٥١- إذا كانت الدراسات التي تتناول دور وسائل الإعلام الغربي في إنتاج ونشر خطاب الكراهية كثيرة، فإنه ليس هناك دراسات معمقة عن انحراف وسائل الإعلام العربية وإنتاجها لهذا الخطاب.
٥٢- دور الإعلام في العلاقة بين الغرب والإسلام، ملتقى لوغانو، مرجع سابق.
٥٣- يوسف هريمة، «العودة إلى الذات: قراءة في الخوف المتقابل بين الشرق والغرب؟»، مؤمنون بلا حدود، الرباط، ٢٠١٨.
٥٤- الزبير مهداد، «الغربوفوبيا» الراسخة فينا، مؤمنون بلا حدود، الرباط، ٢٠١٧.
٥٥- العربي إدناصر، الإسلاموفوبيا وهم أم حقيقة، مؤمنون بلا حدود، الرباط، ٢٠١٦.

المتطرفة والإرهابية لبث رسائل الكراهية، فتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام يستخدم منابر على شبكة الأنترنت من بينها تويتروفيسبوكوإنستغراموبوتوب، من أجل عرض مستجدات أعماله وكذلك للتواصل مع المجنّدين المحتملين، ويشمل ذلك وضع مقاطع الفيديو ورسوم مصممة بالحاسوب"[٥٦]، ممّا يعد محركا رئيسياً لنشر التطرف والإرهاب.

ليس الدين في هذا المستوى إلا سبباً لإذكاء خطاب الكراهية بين الغرب والإسلام، ومن المؤسف أنّوسائل الإعلام توظف هذا العامل في تدعيم مجالات التحريض، حيث "أن الإعلام من الطرفين يواصل تغطية الأحداث بطريقة تعكس صورة العداوة"[٥٧] ويؤدّي إلى بثّ اللاتسامح الديني بين الحضارتين وهو إذّاك ينشر أعتى أشكال العنف وخطابات الكراهية، ولا غرو أن هذا الخطاب الإعلامي يؤسس للصراع والكراهية على أسس عقائدية لا تخدم الإنسانية بل توسّع الهوّة بين هذه العقائد غير المتسامحة، ذلك أننا نواجه اليوم مشكلة مشتركة وهي أننا نفتقر إلى نموذج إعلامي مهنيّ ومسؤول. فما السبيل إذن لتفادي تعميق إنتاج خطاب الكراهية إعلامياً والخروج به من دائرة التحريض الديني؟

خاتمة: (دور الإعلام الإيجابي في دحض خطاب الكراهية).

لقد تزايد العنف والتحريض الديني الذي يعزى إلى خطاب الكراهية في وسائل الإعلام بشقيّها التقليدي والجديد في جميع أنحاء العالم، وفي هذا الإطاريطرح خطاب الكراهية تحدّياً هائلاً أمام حرية التعبير على اعتبار أن مروّجي هذا الخطاب يتّخذون من نطاق الحق في حريّة التعبير الذي كفلته المواثيق الدولية وسيلة للتحريض على الكراهية بما في ذلك الإساءة إلى الأديان ومعتنقيها والسخرية منهم. وهذا ما يخلق مفارقة بين المطالبة بحرّية التعبيرمن جهة وبين الأضرار التي يُحدثها خطاب الكراهية ولذلك «هناك اختلاف كبير في المجتمع حول ما إذا كان أو إلى أيّ مدى يمكن التوفيق بين تقييد خطاب الكراهية وبين الالتزام العام بحريّة التعبير"[٥٨]، إذ يزداد خطاب الكراهية ضراوة في وسائل الإعلام كلما أخذت حريّة التعبير أبعاداً غير إنسانية أو شكّلت تهديداً عنصرياً أو طائفياً على فئات اجتماعية معيّنة أو تحوّلت في نهاية المطاف إلى التحريض الديني على العنف.

يشكّل خطاب الكراهية أيضاً تحدّياً أمام القانون لأنه لا يخضع لنظام الفعل المباشر المؤدّي إلى الضرر وإنما هو خطاب يقبل التأويلات والتفسيرات ومن ثمّ يمكنه أن يُفلت من قبضة الحظر والتجريم، وهذا ما دفع العديد من الأكاديميين والسياسيين إلى المطالبة بفرض قيود على حريّة التعبير في الخطاب الإعلامي، كل ذلك في محاولة لتعزيز الوئام وتخفيف التوتّرات الطائفية، وإلاّ فإنّ حريّة التعبيرنفسها ستكون مهدّدة بالكراهية التي تبدأ في التجلّي داخل أشكال خطابية

٥٦ - تقرير ربتا إيجاك، مرجع سابق.
٥٧ - ملتقى لوغانو، مرجع سابق.
٥٨ - Richard Moon, op.cit, p01

من التعبير لكنّها سرعان ما تتحوّل إلى برامج للعنف الطائفي والعنصري والديني.

إنّ مواجهة خطاب الكراهية تتطلّب الكثير من العمل المشترك وعلى أكثر من صعيد تربوياً وإعلامياً وقانونياً، ويظلّ التحدّي قائماً، في ظل غياب تعريف محدّد لخطاب الكراهية، ومع غياب المرتكزات القيمية الدقيقة الموجهة لأسس النشر المهني ومواثيق الشرف، فإن مسؤوليات وسائل الإعلام تتعاظم وتتعدّد في هذا الإطار.

إنّ أفضل نهج للتعامل مع خطاب الكراهية والتحريض الديني يكمن في الإعلام في حدّ ذاته والذي يمكن أن يكون جزءاً من الحلول ذلك أن للإعلام تأثيراً مباشراً في نشر قيم التسامح والتعايش المشترك وتعزيز قيم المواطنة لقبول الآخر المختلف، ومن ثمّة يجب على الإعلام أن يضع استراتيجية تؤمن بالتعدّدية وتعترف بالأديان الأخرى وذلك من خلال الخطوات التالية:

الحلول والتوصيات:

- الابتعاد، في الممارسات الخطابية اليومية في الإعلام، عن التأجيج والتعبئة والإضاءة على الإيجابي وليس على الجانب السلبي والمخيف.

- تحاشي التراشق والخطاب الاتهامي لأنه يمكن بسهولة أن ينزلق باتجاه التحريض.
- ضرورة وضع استراتيجية لوسائل الإعلام في كيفية التعامل مع الخطاب الديني التحريضي والإيديولوجيا المتطرّفة أي عدم الانجرار إلى تبنّي المقترح بسرعة بل التحضير مسبقاً لكيفية تحرير المادة الإعلامية [٥٩].
- توعية الصحفيين بمسؤولياتهم تجاه خطورة إنتاج خطاب إعلامي مبني على الكراهية والتحريض.
- إصدار مرسوم رسمي من كلّ دولة لمنع هذه التجاوزات في الخطاب الإعلامي ووضع حدود لمن يتجرّأ على بثّ خطاب الكراهية أو التحريض من مؤسّسته الإعلامية مهما كانت الظروف[٦٠].
- الجمع بين الغرب والإسلام في صيغة تصالحية تتوسّم الحوارَ طريقاً للخروج من محظور المركزية الهووية ودحض الآخر، وضرورة العودة إلى المهنية والموضوعية بعيداً عن الجري وراء تقديم الصور العدائية.
- اقتراح قرارٍيُدين خطاب الكراهية ضدّ الأديان ومكافحة التشهير بها.
- إلزام وسائل الإعلام بأخلاقيات العمل واحترام المواثيق الدولية.
- اتّخاذ إجراءات عميقة لتوطين القيم الأخلاقية وتعزيزها لتجويد العمل الإعلامي وترشيده، ذلك أن محاربة خطاب الكراهية إعلامياً أولوية قصوى للعيش في أمن وسلام.
- تبنّي ميثاق شرف إعلامي يواجه خطاب الكراهية والتحريض على الآخر ونبذه من خلال التركيز على الوسطية وقبول التنوّع.

إنّ مواجهة خطاب الكراهية تبدأ بالتفكيك الديني لحصون الخوف والفوبيا من الآخر من خلال تجديد الخطاب الديني والبدء بتغيير اللغة التي تنقله إلى الآخرين أي بتخفيف شحنة الفزع التي يحملها الخطاب الإعلامي وتحويله إلى خطاب معتدل ومتسامح.

المصادر والمراجع:

أحمد برقاوي، "الدولة الوطنية وتحديات العولمة"، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤.

الأزهر لعبيدي، "منع التحريض على الكراهية الدينية في الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان"، جامعة ورقلة، الجزائر، ٢٠١٤.

تقرير ريتا إيجاكا المقررة الخاصة المعنية بقضايا الأقليات، تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان المدنية والسياسية والاقتصادية..، مجلس حقوق الإنسان، الدورة الثامنة والعشرون، الجمعية العامة للأمم المتحدة، HRC/A/٢٨/٦٤، ٢٠١٥.

الجمعية العامة للأمم المتحدة، التحريض على الكراهية العنصرية والدينية وتعزيز التسامح، مجلس حقوق الإنسان، الدورة الثانية، ٢٠٠٦.

٥٩- جورج صدقة، ص٦٥.
٦٠- سكاي لاين الدولية، ص١٢.

جورج صدقة وآخرون، "التحريض الديني وخطاب الكراهية"، مؤسسة مهارات، لبنان، ٢٠١٥.
جون لوك، "رسالة في التسامح"، ترجمة: منى أبو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧.
دور وسائل الإعلام في العلاقة بين الغرب والإسلام، ملتقى لوغانو جنوب سويسرا، ١٦-١٧ مارس ٢٠٠٧، عن مجلة Swissinfo، ٢٢ مارس ٢٠٠٧.
الزبير مهداد، "الغربوفوبيا" الراسخة فينا، مؤمنون بلا حدود، الرباط، ٢٠١٧.
سكاي لاين الدولية ترصد خطاب التحريض والكراهية في الإعلام العربي، سكاي لاين الدولية، ستوكهولم، مارس ٢٠١٩.
سناء الخوري، "بين حرية التعبير والتنمر وخطاب الكراهية: هل التشريع حل عادل؟"، ضمن مجلة المفكرة القانونية، لبنان، العدد ٥٧، ٢٠١٨.
العربي إدناصر، الإسلاموفوبيا وهم أم حقيقة، مؤمنون بلا حدود، الرباط، ٢٠١٦.
عطية فتحي الويشي، "الخواف الإسلامي، بين الحقيقة والتضليل"، رابطة العالم الإسلامي، مصر، ٢٠٠٧.
محمد البوبكري، "أدلوجة الخوف من الإسلام في المشروع الحضاري الغربي"، مؤمنون بلا حدود، الرباط، ٢٠١٧.
محمد بن علي الهرفي، "صورة الإسلام في الإعلام الغربي"، ضمن أعمال الندوة الدولية ظاهرة الإسلاموفوبيا وسبل التعامل معها، إيسيسكو، الرباط، ٢٠١٥.
محمد محفوظ، "ضدّ الكراهية" من أجل تفكيك خطاب الكراهية في العالم العربي، المركز الإسلامي الثقافي، لبنان، ط١، ٢٠١٢.
مصطفى بن تمسك، "دور المركزية الغربية في صناعة خطاب الكراهية"، مؤمنون بلا حدود، الرباط، ٢٠١٨.
نادية أقجوج، سياسة التخويف من الإسلام في الإعلام الغربي، ضمن أعمال الندوة: ظاهرة الإسلاموفوبيا وسبل التعامل معها.
يوسف هريمة، "العودة إلى الذات: قراءة في الخوف المتقابل بين الشرق والغرب؟"، مؤمنون بلا حدود، الرباط، ٢٠١٨.
- YamanAkdenig, " Racism on the internet, Council of Europe Publishing, Strasburg, 2009.
- Richard Moon, " Putting faith in hate: when religion is the source or target of hate speech", Cambridge University press, UK, 2018.
- Erica Haward, " freedom of expression and religions hate speech in Europe", Routledge, London and New York, 2018.
- Nancy L. Rosenblum," Obligations of citizenship and demands of faith: religions accommodation in pluralist democracies", Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 2000.
- Antony Cortese, " Opposing hate speech ", Praeger Publishers, US, 2006.
- Blackford Russel, "Freedom of religion and the secular state", John Wiley & Sons, UK, 2012.

سؤال الكراهية بين الخطاب الديني والواقع البشري: قراءة في طروحات فكرية مختلفة

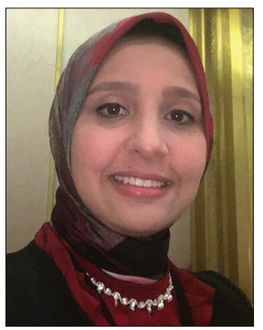

الدكتورة جميلة تِلوت

كثر الحديث عن "العنف" في الخطاب الديني، الإسلامي على وجه التخصيص، بعد أحداث ١١ سبتمبر، وفي كل مرة كان تجرى جدالات طويلة عن علاقة الدين بالعنف هل هي علاقة جوهرانية أم علاقة خارجية لا علاقة لها بالدين؟ وتفرق الخائضون في هذا الأمر إلى أقوال شتى.

عادت هذه التيمة مؤخرا بعد صعود داعش، وتجدد الجدال حول نسق مفاهيمي يضم مصطلحات من قبيل "العنف/الإرهاب/ ا لكر ا هية / ا لجها د / القتال..." إلى غيرها من المصطلحات التي لا تتفق في مضامينها وتختلف من سياق إلى آخر.

إن هذه الورقة لا تدعي الجواب عن هذا الإشكال، إنما هي مجرد مقدمة تحتاج إلى دراسات كثيرة تؤكد تبني على تراكم هائل جدير بالدراسة والتأمل، ويشترك هذا التراكم المعرفي في دحض ربط العنف بالدين، وإن

وجد لدينا فهم عنفي للدين، فإن هذا الفهم يتأطر بعوامل ثقافية، سياسية، اقتصادية، سيكولوجية... وغيرها من العوامل التي تجعل الفهم محفوفا بالعوارض البشرية. وهذا الأمر لا يرتبط بالإسلام خصوصا، ولا بالدين عموما، وإنما يرتبط بأية إيديولوجية تصلح للتأويل. إن جوهر المسألة من الناحية المعرفية يرتبط بجدليتين؛ جدلية تأويل الخطاب دينيا كان أو إيديولوجيا، وجدلية الواقع حربيا كان أو سلميا.

لقد ارتبط العنف في السنوات الأخيرة بالإسلام خصوصا، وإذا اعتبرنا الإسلام يتأسس على خطاب إلهي يتجسد في القرآن الكريم، الكتاب الإلهي الخاتم من المنظور الإسلامي، أتساءل: هل الإسلام يدعو إلى الكراهية ؟

إذا أردنا الجواب عن هذه الإشكالية من داخل المؤسسات الدينية الرسمية سنجدها تجمع على تحريم الإسلام لكافة التصرفات الإرهابية والعنفية، بل كثيرا ما أقيمت ندوات ومؤتمرات دولية حول معضلة العنف، ولا أدل على ذلك من زخم الندوات والمؤتمرات الرسمية التي عرفها المغرب بعد الأحداث الإرهابية ١٦ مارس والتي راح ضحيتها مسلمون موحدون[١]. وخارج المؤسسة الدينية لا نعدم أفكارا تلامس حقيقة الخطاب الديني، من منطلقات معرفية مختلفة، لذلك اخترت في هذه الورقة الوقوف عند بعضها بتقديم قراءات وصفية، لأن المقام لايسع للتحليل، واخترت هنا ثلاثة أعلام يجدر البناء على تراكمهم مجتمعين لتأسيس تصور متجاوز؛ وهؤلاء هم: محمد عبد الله دراز وطه عبد الرحمن وكارين آرمسترونغ.

المبحث الأول: الإسلام والقتال: قراءة في أطروحة محمد عبد الله دراز

كان لدراز باع طويل في النداء بالتعايش ونبذ التطرف، وكان دائم النداء بأهمية التسامح وتشابك الثقافات، وقد عمل دراز على تأصيل مبدأ الحوار والسلام من القرءان الكريم والسنة النبوية، حتى يستبين بذلك أن السلام مفهوم أصيل في الشرعة الإسلامية.

ويمكن تقسيم جهوده في الدعوة للحوار والتعايش إلى قسمين: قسم دفعي درئي الغرض منه دفع عدد من الشبهات التي يرمى بها الإسلام، كرميه ونبزه بأنه دين التطرف والحامل للسيف على كل من خالفه الرأي، فعمل الشيخ على تحقيق المسائل والقضايا، وتحرير منازع الخلاف، وبيان الخلفيات الموجهة.

وقسم بنائي: وهو الذي جلى فيه الأستاذ دعوة الإسلام للتعايش والتسامح.

١- تحقيق مفاهيم ودرء شبهات:

ومنها تحقيقه شبهة تناقض الإسلام بين دعوته للسلام وحثه على الجهاد:

١ - ينظر مثلا أعمال الندوة العلمية: حكم الشرع في دعاوى الإرهاب، من تنظيم المجلس العلمي الأعلى بتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالدار البيضاء عام ٢٠٠٧. من منشورات المجلس العلمي الأعلى، الرباط، المملكة المغربية، ط٢، ٢٠٠٨، مطبعة النجاح الجديدة.

فهناك سؤال دوما يثار إما من المستشرقين أو من بعض بني جلدتنا وصيغته: "إذا كان الإسلام قد دعا إلى السلام وتدعيم العلاقات الطيبة مع العالم أجمع، فلم كانت حروبه في المرحلة الأولى من الدعوة وما تبعها؟[٢]".

ويحاول دراز إزالة التناقض بين كون الجهاد فريضة إسلامية أصيلة ورحمة الإسلام ودعوته للسلام، وبين كون الإسلام حين كان في موقع الضعف استكان وحين تقوت شوكته وتوطدت أركانه باشر يحارب الناس، فيزيل الالتباس ويبين موضع الاشتباه معتبرا أن "أول حرب في الإسلام لم يوقدها المسلمون، بل كانوا وقودها، وإن أعداء الإسلام هم الذين أشعلوا نارها، وأطاروا شرورها، لا أقول إنهم كانوا سببها البعيد فحسب، بل كانوا هم معلنيها عمليا. والمتسببين فيها من طريق مباشر، وما كان من المسلمين إلا أنهم قبلوا التحدي ورودوا التعدي"[٣]، لذلك لا يكف محمد عبد الله دراز عن القول إن الحرب ليست هي القاعدة، إنما هي استثناء من القاعدة، وأنها لا يخلقها الإسلام، ولكن يخلقها أعداؤه بعدوانهم المسلح على دعوته السلمية، وأنها ضرورة تقدر بقدر أسبابها، وعقوبة تزول بزوال الجريمة التي استوجبتها، وبالجملة فإنها محدودة بحدود الدفاع المشروع لا تتقدم عنه خطوة، ولا تستأخر خطوة، وتشهد لذلك مجموعة من الآيات القرآنية: ﴿قاتلوا في سبيل الله الذي يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ ﴿فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم﴾ [البقرة:١٩٠-١٩٢]. ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ [الأنفال:٦١]. ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾ ﴿فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا﴾ [النساء:٩٠/٩١].

لقد أبطل الإسلام حروب العصبية الدينية: ﴿لا إكراه في الدين﴾ [البقرة:٢٥٦] ﴿أ فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس:٩٩].

ومنع حروب التشفي والانتقام للإساءات الأدبية: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ [المائدة:٢].

وأنكر حروب التخريب والتدمير، وحروب الفتح والتوسع والاستيلاء: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا﴾ [القصص:٨٣] واستنكر حروب التنافس بين الأمم في مجال الضخامة والفخامة ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة﴾ [النحل:٩٢] .

فهل كان يراد منه فوق ذلك كله أن يمحو حق الدفاع عن النفس والحليف، وواجب الذود عن المستضعف والمظلوم؟ كلا. إن الإسلام دين إحسان، ولكنه إحسان لا

٢ - نظرات في الإسلام، ص١٢٣.
٣ - المرجع السابق، ص١٢٧.

يناقض العدل، ولا يشجع الإجرام، ولا يدع الحق مكبل اليدين..."[٤].

فالحرب المشروعة في الإسلام هي "الحرب الدفاعية"، من وجهة نظر دراز، لأن "الإسلام لا يرمي قط إلى القضاء على أعدائه، ولا الاستيلاء عليهم بالقهر، ولكن يهدف بالأساس إلى تجنب خطرهم، فمتى تحقق هذا الغرض لم يبق للصراع في نظره مبرر، لأن هدفه إيجاد علاقات عامة مع الناس قاطبة"[٥].

ومنه فإن في الإسلام ما يغني عما يسمى اليوم ب "القانون الدولي"، ويمكن الجزم بيقين أن «التشريع الدولي العام في الإسلام صفحة فخار، تشهد له بحرصه على إيجاد علاقات طيبة مع البشر قاطبة، لأنه دين إنساني خالد..."[٦].

٢- القسم البنائي:

الدعوة إلى الحوار الديني تحتاج إلى معرفة موقف الإسلام من الأديان الأخرى، أ هو موقف الإلغاء والإقصاء، أم موقف التكميل والتصحيح والتتميم والإبقاء؟

ولبيان هذه الدعوى فإن الشيخ دراز عمد إلى بسطها على ضربين؛ الضرب النظري، والضرب العملي.

أ- الضرب النظري:

يتمثل في تأكيده أن الإسلام ليس دينا قوميا ولم ينسب إلى هذا الدين إلى نبي بعينه فلم يسم الدين المحمدي، بل تم ربطه بقيمة نبيلة وهي قيمة السلام المشتركة بين الأديان لذلك فإننا «نرى اسم الإسلام شعارا عاما يدور في القرءان على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية، ثم نرى القرءان يجمع هذه القضايا كلها في قضية واحدة، يوجهها إلى قوم محمد صلى الله عليه وسلم، ويبين لهم فيها أنه لم يشرع لهم دينا جديدا، وإنما هو دين الأنبياء من قبلهم.[٧]

وعليه فإن الإسلام دين مشترك، "فلا يصلح أن يكون محلا للسؤال عن علاقة بينه وبين سائر الأديان السماوية، إذ لا يسأل عن العلاقة بين الشيء ونفسه، فها هنا وحدة لا انقسام فيها ولا اثنينية.

غير أن كلمة الإسلام قد أصبح لها في عرف الناس مدلول معين، هو مجموعة الشرائع والتعاليم التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم.[٨] وبذلك فإن الاستشكالات تنصب على المفهوم العرفي للإسلام.

وعليه فإن بيان جوهر العلاقة وحقيقتها بين الإسلام وباقي الأديان لكفيل بأن يزيل

٤ - نظرات في الإسلام، من ١٣٠ إلى ١٣٢.
٥ - نظرات في الإسلام، ص١٣٨.
٦ - نظرات في الإسلام، ص١٤٣.
٧ - موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها بحث أعده الدكتور درازرحمه الله لإلقائه في الندوة العالمية للأديان التي عقدت بلاهور بباكستان، جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧هـ الموافق ل يناير١٩٥٨، ملحق بكتاب الدين، ص٢٣٧.
٨ - موقف الإسلام من الأديان الأخرى، ص٢٣٨.

كل لَبس، وخلاصة هذه العلاقة يتجلى في "أن علاقة الإسلام بالديانات السماوية في صورتها المنظورة علاقة تصديق لما بقي من أجزائها الأصلية، وتصحيح لما طرأ عليه من البدع والإضافات الغريبة عنها.

هذا الطابع الذي تتسم به العقيدة الإسلامية، وهو طابع الإنصاف والتبصير الذي يقتضي من كل مسلم ألا يقبل جُزافا، ولا ينكر جزافا، وأن يصدر دائما عن بصيرة وبينة في قبوله ورده، ليس خاصا بموقفها من الديانات السماوية، بل هو شأنها أمام كل رأي وعقيدة، وكل شريعة وملة، حتى الديانات الوثنية نرى القرءان يحللها ويفصلها، فيستبقي ما فيها من عناصر الخير والحق والسنة الصالحة، وينحي ما فيها من عناصر الباطل والشر والبدعة»[٩].

ب- الضرب العملي:

فبعد أن تبينا موقف الإسلام من الأديان الأخرى نظريا ومن الآيات والأحاديث، بقي أن نعرف تجليات هذه العلاقة ونتبين ملامحها عمليا، فهل هي تم إغضاء الطرف عنها اكتفاء بالأمر الواقع؟ أم هل يقف المسلم موقف المحارب والمقاتل؟

هناك من يذهب المذهب الأول أسفاً، كالكاتب الغربي (جوتييه في كتاب أخلاق المسلمين وعوائدهم): إن المسلم أناني، وإن الإسلام يشجعه على هذه الأنانية، فالمسلم لا يعنيه ضل غيره أم اهتدى، سعد أم شقي، ذهب إلى الجنة أم إلى السعير.[١٠]

وهناك من ذهب إلى الرأي الثاني، فقلل من شأن الجهاد في الإسلام، فكان الإسلام دين خنوعيا يستكين ويرضى بالقليل، والحال أن الرأيين تطرف مذموم.

كما أن" الإسلام في الوقت نفسه ليس كما يزعم الكثيرون، عنيفا ولا متعطشا للدماء، وليس من أهدافه أن يفرض نفسه على الناس فرضا حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة، فنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم هو أول من يعرف أن كل محاولة لفرض ديانة عالمية وحيدة هي محاولة فاشلة، بل هي مقاومة لسنة الوجود، ومعاندة لإرادة رب الوجود ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾[سورة هود:١١٨].

﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أ فأنت تكره الناس حتى يكون مؤمنين﴾ [سورة يونس:الآية ٩٩]﴾ ، ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [سورة القصص:الآية ٥٦].

ومن هنا نشأت القاعدة الإسلامية المحكمة المبرمة في القرءان قاعدة حرية العقيدة ﴿لا إكراه في الدين﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]، ومن هنا رسم القرءان أسلوب الدعوة ومنهاجها فجعلها دعوة بالحجة والنصيحة في رفق

٩ - موقف الإسلام، ٢٤٢.
١٠- موقف الإسلام من الأديان الأخرى، ص٢٤٤.

ولين ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [سورة النحل: ١٢٥]" [١١].

وإذا كان هذا حال الدين فكيف كان حال نبيه الذي بلغه؟ هل أعماله الشريفة متوافقة مع ما تم تقريره سلفا؟ أم العكس؟ وبعد أن نظر الأستاذ في سيرة النبي تبين له " أن محمدا عليه السلام نفسه كان مطبوعا بفطرته على التسامح وحب السلام، وأنه كان داعية توفيق لا تفريق" [١٢].

وبذلك فإنه بعد نظره في الأديان تبين له ما يأتي:

أولا: أن الأديان كلها، بدلا من أن تكون سبب نزاع وخصام في شؤون هذه الحياة، هي على الضد من ذلك تنادي بالائتلاف والوئام.

ثانيا: أن السبب الحقيقي لهذه الخصومات هو بالعكس تعمد الانحراف عن الدين، وأن كل طائفة تثير نار الحرب باسم الدين كاذبة في دعواها الانتساب إلى دينها.

ثالثا: أن العلاج الوحيد لآلام الإنسانية الحاضرة هو أن يعنى رجال كل دين عناية خاصة بالجانب الخلقي العام منه، فينموا في اتباعهم عاطفة الأخوة الإنسانية باسم الدين نفسه.

إن هذا التقارب والتعاون في الحياة العملية إن تم على وجهه سيكون خطوة أولية في سبيل التفاهم في الحقائق الدينية نفسها، ويرجى من وراء ذلك تقليل فوارقها النظرية وتسهيل الوصول إلى الحقيقة بالبحث الحر، وفي جو ودي نزيه.[١٣]

يقول دراز: " إنه – أي القرءان – يقرر أن من الواجب الدعوة إلى الحق وإلى الفضيلة، ومزاولة ذلك بهمة ونشاط. ولكن الأسلوب المتبع في ذلك يجب أن يتسم بالحكمة وبالإقناع واللين. فالواجب على كل فرد هنا ليس في إكراه الغير وإنما في الشرح والتوضيح والإقناع بكل ما يعتقد أنه حق. وللغير أن يؤمن بما يسمع أو لا يؤمن وعليه بعد ذلك ألا يضيق ذرعا بحرية المؤمنين في القيام بشعائرهم وإعطائها ما تستحق من تبجيل. وفيما عدا يتحمل كل فرد مسؤولياته كاملة. فالمبدأ القانوني الذي يحدد العلاقة بين جماعة المسلمين وبين الأمم والأديان الأخرى هو المبدأ الذي يطلق عليه، بصفة عامة، اسم " التسامح"" [١٤].

إن الغرض من استصحاب آراء دراز في هذا المقام هو الإشارة إلى الآراء النيرة التي تتحدث باسم الإسلام، بدل الآراء التي تثير الضوضاء هنا وهناك وتسيء للإسلام بفهوم عقيمة أو معوجة، وليس معنى هذا القول أن كلام دراز صحيح كله، وإنما يمكن اعتباره أرضية للحوار العلمي النافع بدل خوض جدالات دفاعية عن الدين سبقنا إليها غيرنا.

١١ - موقف الإسلام، ٢٤٥.
١٢ - دراسات إسلامية، ص ١٣٧.
١٣ - دراسات إسلامية، ص١٣٩.
١٤ - مدخل إلى القرءان الكريم، ص ٦٤.

المبحث الثاني: الدين والعنف: قراءة في طرح طه عبد الرحمن

طه عبد الرحمن مفكر مغربي أثرت كتاباته- المتعددة كمّا والمتنوعة كيفًا- في مسار البحث في قضايا الفلسفة والفكر في العالم العربي؛ إذ خاض الدكتور طه عبد الرحمن في قضايا متشعبة على رأسها "مناهج التراث" "وفلسفة الحوار" و"سؤال الأخلاق" و"المنطق" و"نقد الحداثة" و"فقه الفلسفة"و"تأصيل الاختلاف" و"الدين والسياسة» و»علم النفس" و"سؤال العنف"و"الفقه الائتماني"وغيرها من المواضيع الفكرية والقضايا المعرفية التي تجتمع على ضرورة استعادة التفلسف ليكون منخرطا في القضايا ذات الراهنية الثقافية.

ينطلق طه عبد الرحمن من معالجته لسؤال العنف من مقاربته الائتمانية، القائمة على ميثاق الائتمان الذي حمل الإنسان بموجبه أمانة القيم التي تجلت بها أسماء الله الحسنى. ويتأسس منظوره هنا على آية الأمانة «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» [الأحزاب:٧٢] [١٥]. فالفكر الائتماني فكر أخلاقي في العمق، وهو في استناده على الإسلام يقرر أن القيم الإسلامية لا تتعلق بأمة بعينها، وإنما هي عامة تشترك فيها البشرية جمعاء. ويؤكد طه عبد الرحمن أن مرجع العنف في تاريخ الإنسانية، والذي أخبرت به الأديان السماوية، يتمثل في قتل هابيل لأخيه هابيل[١٦]، مبينا أن التفكر في "مقتل هابيل"، على بعد زمانه ودروس آثاره ليفتح لنا آفاقا في فهم طبيعة العنف وأسبابه، على قرب زمانه وظهور آثاره، لاعتبارات كثيرة، منها مثلا اعتبار قتل النفس الواحدة بغير حق بمثابة قتل النفوس جميعا مصداقا لقوله تعالى: «مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)" [المائدة:٣٢]، والمراد أن القاتل لا ينزع من المقتول روحه فحسب، بل ينزع عنه لباس الإنسانية الذي يشترك فيه مع بني آدم كلهم، جاعلا من المقتول مجرد شيء لا اعتبار له، كأنه ينازع في أصل خلقه؛ والحال أن نزع أصل الإنسانية عن المقتول إنما هو نزع لباس الأخلاق الذي حصل به تكريمه على سواه من الكائنات، والذي تجلى بكل وضوح في قول هابيل لأخيه: «ما أنا بباسط يدي لأقتلك"، مع وجود يقينه بأن "قابيل" عازم على قتله، إذ انحاز إلى خيار عدم العنف أو قل خيار "اللاعنف"[١٧].

وهناك من يفرق بين مراتب العنف؛ فالتطرف يرجع إلى عنف القول، والإرهاب يرجع إلى عنف الفعل، بينما يرى طه أنهما صنوان؛ اذ تعتبر الفلسفة الائتمانية القول عملا مثله مثل الفعل، فيلزم أن يكون التطرف القولي بمنزلة الارهاب الفعلي، وإن

١٥ - ينظر: طه عبد الرحمن، دين الحياء: من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني، ج١: أصول النظر الائتماني، بيروت: المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ط١، ٢٠١٧.
١٦- سؤال العنف، ص٣٤.
١٧ - سؤال العنف، ص٤٤-٤٥، بتصرف يسير.

كان البعض يعتبر ذلك حرية رغم ما يسببه من أذى للآخرين بسبب طغيان سلطان الحس عندهم.

ويرى صاحب "سؤال العنف" أن الإنسان العنيف ينازع الله سبحانه في صفاته، فهو ينازع الله في صفة الجبار، لأن العنف الديني، تطرفا كان أو إرهابا، يندرج فيما يسمى ب"الجبر على الشيء" بمعنى "القهر"؛ فالعنيف يجبر غيره على اعتقاد ما يريد أو العمل بما يريد من غير حق، ويذهب في جبره –أو إجباره- إلى أقصاه، غير مكترث بنتائج فعله؛ فحينئذ، يكون اسم "العنيف" مرادفا لاسم "الجبار"، والجبار كما يعرفه المفسر فخر الدين الرازي: هو "الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم، لا ينظر إلى العواقب، ولا يدفع بالتي هي أحسن"[١٨]، ومن الشواهد على الترادف بين الاسمين "الجبار" و"العنيف" ثلاث آيات من كتاب الله:

أولاها: «فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ» [القصص:١٩]، فهذه الآية تقابل بين الجبار والمصلح، فالإصلاح بين الخصمين يقتضي الرفق معهما، حتى يتراضيا فيما بينهما، في مقابل التجبر الذي يفضي إلى إكراه أحد الطرفين، باستعمال الشدة معه.

والثانية: «نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ" [ق:٤٥]، فهذه الآية تقابل بين "الجبار" و"المذكر"؛ إذ التذكير يوجب إظهار الرفق والصبر، في مقابل التجبر الذي شأنه إكراه الناس على الإيمان، لا تخييرهم فيه.

والثالثة: "وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا" [مريم:١٤]، فهذه الآية الثالثة تقابل بين "الجبار" و"البر"؛ إذ "البر" هو إبداء الرأفة ولين الجانب، في مقابل "التجبر" الذي يتميز بالغلظة والقسوة في المعاملة.

ومعلوم أن الجبار اسم من أسماء الله الحسنى، فيلزم أن العنيف ينازع الحق سبحانه وتعالى في هذا الاسم.[١٩]

والمظهر الأول من مظاهر "تجبر" العنيف هو التربب أو التسيد؛ إذ لا أحب إليه من أن يستتبع الآخرين ويتولى الرئاسة عليهم، فتراه يحمل هذا الاسم أو ذاك من الأسماء الشرعية التي تجلب التعظيم، فضلا عن الألقاب التي تبعث على الشعور بالسطوة في النفوس.[٢٠]

والمظهر الثاني ل»تجبر» العنيف هو التكفير؛ فلا أيسر عليه من أن يرسل حكمه بالتكفير على من شاء ومتى شاء وأين شاء، فضلا عما دونه من تفسيق وتبديع وتجريم، حتى كأنه مطلع على القلوب والنوايا والخبايا اطلاع الحق سبحانه عليها، ناهيك عن ظاهر السلوكات وبادي التصرفات التي لا ينفك يترقبها ويتعقب فيها المعايب والمفاسد؛ ولا

١٨ - التفسير الكبير، ج٢٤، ص٢٣٧. ذكر طه عبد الرحمن هذا التعريف في هامش كتابه سؤال العنف، ص٥٥.
١٩- سؤال العنف، ص٥٤-٥٥-٥٦، بتصرف يسير.
٢٠ - سؤال العنف، ص٥٦-٥٧، بتصرف يسير.

يكتفي بتكفير الأفراد، الواحد تلو الواحد، لشُبه قد تدفع، بل يكفر الجموع الغفيرة دفعة واحدة، متهما إياها بالشرك الصريح. وعلى فرض أنه رأى من المنكر ما لم يره غيره، ألم يكن من سبيل إلى تغييره إلا بالتكفير! لكن هيهات ! إذ أن اعتقاده راسخ في لاشعوره بأن بيده وحده معيار الحق وميزان العدل، وأن له وحده حق الولاية وحق الوصاية وحق الشهادة على الناس.[٢١]

والمظهر الثالث ل"تجبر" العنيف هو التقتيل؛ فما كان له أن يبلغ بالتكفير المدى الذي بلغه لولا أنه يريد أن يتخذه ذريعة توصله إلى إضفاء المشروعية على التصرف بالأرواح والاستحلال للدماء، حتى يطلق يده في الرقاب، يحيي من يشاء ويميت من يشاء أنى يشاء [٢٢].

والمظهر الرابع ل"تجبر" العنيف هو التعذيب؛ إذ لا يكتفي بالتقتيل، بل يقدم له بصنوف من العذاب، بدءا بإنظار الضحايا لمدد زمنية لا يعلمون نهايتها، والإمعان في السخرية منهم، وإشهار السكاكين في وجوههم، وتشبيههم بالحيوانات، إلى غير ذلك من الأعمال البشعة التي تكشف أن العنيف لا يستهتر بالقيم والحقوق فحسب، بل كذلك يستهتر بسنن التاريخ وقوانين الاجتماع وضرورات الواقع، ويتعامى عن مقاصد الشرع وأسراره؛ ولا يمكن رد ذلك إلا إلى التجبر الذي استبد به، جاعلا جهله على مقدار ظلمه[٢٣].

كما يرجع طه مختلف الظواهر المستندة إلى العنف إلى فسادين اثنين: أحدهما، فساد الفهم للنص، والمراد به أن الالتزام الحرفي بالنصوص يجعل الشخص العنيف يغفل عن المقاصد الشرعية التي من ورائها، أي أنه يسيء فهم النص بتضييق أفقه؛ والثاني، فساد الفهم للواقع، والمراد به أن التغيير الظاهر للمنكر يجعل العنيف يغفل عن الأسباب الموضوعية التي من ورائه، أي أنه يسيء فهم الواقع بتجاهل أسبابه [٢٤].

وينطلق طه من تحليلاته من آية الأمانة، ويرجع العنف إلى خاصيتين اثنتين، وهما الظلم والجهل وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" [الأحزاب:٧٢].

إن متن طه عبد الرحمن "سؤال العنف" مليء بالإشارات المنهجية والمعرفية لفهم أسباب العنف، الديني خصوصا، والناظر إليه يفهم أن الكتاب موجه لنقض الدعائم الفكرية "لداعش"؛ إذ صدر بعد ظهورها، وأجاب عن الإشكالات التي يثيرها الخطاب الداعشي من منطلق فلسفة الدين.

المبحث الثالث: أسطورة العنف الديني: قراءة في طرح أرمسترونغ

من الطروحات الجديرة بالتوقف والتحليل أطروحات كارين أرمسترونغ، والتي تتميز بخلفية فلسفية تفكك مقولات العنف

٢١ - سؤال العنف، ٥٧-٥٨.
٢٢ - سؤال العنف، ص٥٨.
٢٣- سؤال العنف، ص٥٩-٦٠، بتصرف.
٢٤ - سؤال العنف، ص٦٦-٦٧.

الديني، فقد بينت في مقدمة كتابها "حقول الدم" سبب تأليفها له، والذي يرجع إلى دحض الفكرة القائلة إن الدين عنيف بطبيعته، واعتبار الدين عنيفا وعدوانيا، بل واعتبار بعضهم أن "الدين هو السبب في جميع الحروب الكبرى في التاريخ" ثم تقول: "لقد سمعت هذه الجملة تتلى مرارًا كما تتلى التعاويذ، جملة تتردد بواسطة محطات التلفاز والإذاعة الأمريكية، والأطباء النفسيين، بل يقولها سائقي سيارات الأجرة في لندن قبل أكاديمي أكسفورد. إن هذه العبارة الرائجة تثير الاستغراب؛ فمن الواضح -مثلًا- أن الحربين العالميتين لم تقوما بسبب ديني"[٢٥]، وكأن الإنسان سلمي خيّر متصالح، فيأتي الدين طارئا على حالة السلام والخير الإنساني ليقلبها عنفا وحربا.

إن الفلسفات تتباين في تحديد طبيعة الإنسان، فنجد هوبز يجعل العنف أصلا متجذرا في الإنسان، خلافا لكانط وروسو اللذان يريان أن المجتمع هو الذي يشوه حالة الخير الإنساني، أما سيغموند فرويد فيرى أن الميل إلى العنف فطرة مركوزة في لاوعي الإنسان، وبذلك فإن الآراء تتعدد حول تحديد طبيعة الإنسان، دون الاتفاق على رأي قار وثابت.

أما الربط بين الدين والعنف والحرب فهو تحليل فيه من التبسيط والخفة والاختصار ما يحول دون استحضار الأبعاد النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والإيديولوجية...؛ إذ إن شأن الظواهر التركيب، فالأصل دراسة العنف باعتباره سلوكا لا أخلاقيا لا باعتباره سلوكا دينيا، وهذا ما يفضي بنا فلسفيا لسؤال الشر، واجتماعيا لقضايا غياب العدالة الاجتماعية، وسياسيا لغياب الحرية والحق والقانون، واقتصاديا لتقويم الرأسمالية، ودينيا لإشكالات استغلال الدين وفساد التأويل وسوء التنزيل، فالدين هو كبش فداء على حد تعبير 'ريني جيرار' جعله المجتمع كذلك ليحمله كل خطاياه؛ لذلك لا نعدم تفنيدات لربط الدين بالعنف وفق مقاربات متعددة بالنظر في طبيعة الإنسان ودوافع الحرب ومتغيرات السياق ودخول الدولة على الخط في التاريخ الحديث وغير ذلك من العوامل المتعددة التي يصعب حصرها في هذا المقام [٢٦].

كما أن التاريخ يكذب هذه الأقوال والآراء، والدين إذ زج به في خانة الحروب فإنه يكون متبوعا لا تابعا، وعرضا لا أصلا، إذ يتوسل به كما يتوسل بمختلف الإيديولوجيا للتسويغ والتبرير، لا البناء الأصلي للأفكار.

لقد أبانت كارين أن الحروب ترجع إلى مجموعة من العوامل الاجتماعية المترابطة، والعوامل المادية والأيديولوجية، بالإضافة إلى عامل رئيس يتمثل في التنافس على المواد النادرة والشحيحة. كما يؤكد الخبراء في العنف السياسي أو الإرهاب أن البشر

٢٥ - حقول الدم، ص١٧-١٨.
٢٦ - ينظر كتاب كارين آرمسترونج: حقول الدم: الدين وتاريخ العنف. أسطورة العنف الديني: الأيديولوجيا العلمانية وجذور الصراع، وليام كافانو. Greg Cashman, What causes War

يرتكبون الأعمال الوحشية لعدد كبيرومعقد من الأسباب.[٢٧]

إن كتاب أرمسترونغ جدير بالتأمل، إذ أظهرت أن الدين يمكن أن يفعل أشياء عديدة مختلفة، ومن ثم؛ فإن الادعاء بأن الدين جوهرواحد، ثابت، عنيف بطبيعته ادعاء غير دقيق، فالاعتقادات الدينية والممارسات نفسها قد ألهمت مسارات عمل متعارضة تماما. بل حتى في الفترة الحديثة كان الدين يتخلل جوانب الحياة كافة، بما فيها السياسة والحروب، ليس لأن رجال الكنيسة قد خلطوا بين نشاطين منفصلين في جوهرهما، ولكن لأن البشر أرادوا أن يمنحوا وجودهم وأفعالهم القيمة والمعنى.[٢٨]

إن هذه الورقة لا تسعى إلى تحليل الأطروحات، وإنما إلى تقريبها إلى القارئ، مع الاعتراف بالوقوع في الاختزال، إذ يحتاج كل طرح إلى دراسات مطولة، ولما كان المقام هنا ليس مقام تفصيل وإنما مقام تعريف، فقد ارتأيت التعريف ببعض الأعلام؛ بدءا بمحمد عبد الله دراز العالم الذي جمع بين ثقافتي الأزهروالسوربون، وطه عبد الرحمن الذي جمع بين الفلسفة والمنطق والدين مشاركا بذلك في قضايا فلسفة الدين، وكارين آرمسترونغ التي تجمع بين الفلسفة والبحث في مقارنة الأديان، إضافة إلى كونها راهبة كاثوليكية سابقا.

المصادروالمراجع:

١. حقول الدم: الدين وتاريخ العنف، كارين آرمسترونغ، ترجمة: أسامة غاوجي، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٦.

٢. حكم الشرع في دعاوى الإرهاب، من تنظيم المجلس العلمي الأعلى بتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالدار البيضاء عام ٢٠٠٧. من منشورات المجلس العلمي الأعلى، الرباط، المملكة المغربية، ط٢، ٢٠٠٨، مطبعة النجاح الجديدة.

٣. دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، محمد عبد الله دراز دار القلم، د.ر.ط، ١٩٧٣م – ١٣٩٣ هـ.

٤. دين الحياء: من الفقه الائتماري إلى الفقه الائتماني، طه عبد الرحمن، ج١: أصول النظر الائتماني، بيروت: المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ط١، ٢٠١٧.

٥. الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، دار القلم، ط٣، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م.

٦. سؤال العنف بين الائتمانية والحوارية، طه عبد الرحمن، بيروت: المؤسسة العربية للفكر والإبداع، ط١، ٢٠١٧.

٧. مدخل إلى القرءان الكريم: عرض تاريخي وتحليل مقارن، ترجمة محمد عبد العظيم علي، مراجعة: د: السيد محمد بدوي، دار القلم، د.ر.ط، ١٩٨٤.

٨. نظرات في الإسلام، محمد عبد الله درازتح: محمد موفق أبو اليسر البيانوني، حلب: مكتبة الهدى، ط٢، ١٩٧٢.

٩. موقف الإسلام من الأديان الأخرى وعلاقته بها بحث أعده الدكتور دراز رحمه الله لإلقائه في الندوة العالمية للأديان التي عقدت بلاهور بباكستان، جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧هـ الموافق ل يناير ١٩٥٨.

٢٧- حقول الدم، ص١٨.

٢٨ - حقول الدم، ٥٨٧-٥٨٨.

خِطَابُ الكَرَاهِيَّةِ: الأسباب الجوهرية والحلول المقترحة (من منظور الإسلام)[١]

الأستاذ الدكتور جمال بدوي

ترجمة: الدكتور أحمد عبد الرحيم

ممَّا لا يخفى على أحد أن هناك ميلا عاما لربط الأديان بالنزعة الإقصائية والانحرافات التي تصدر عن أتباعها مثل التطرف والعنصرية والشعبوية وخطاب الكراهية؛ ولذلك فإن الدراسة المعمقة للدور المتصور للأديان في هذه الانحرافات هو أ مر مشروع، وبالمثل فإن دراسة الصور الأخرى للانحرافات التي تتعلق بالجذور السياسية والاجتماعية والأيديولوجية، هو أمر مشروع كذلك.

إضافة إلى ذلك فإن هناك أدوارا أخرى مؤثرة ولا شك في تأجيج هذه الانحرافات وانتشارها وتنامي جذورها في المجتمعات مثل الظلم والتهميش غير ذلك من الأسباب التي بدورها تعد تبريرا لأصحابها على أنها مقاومة مشروعة أو دفاع عن النفس، وقد يكون ذلك بالنسبة للبعض ناشئا من اعتقاد ديني خاطئ، وإن كان لا يقتصر عليه كما ذكرنا.

مما لا شك فيه أن مفاهيم العدالة

١- تم عرض أجزاء من هذه الرسالة في مواضع أخرى كما أضيفت إليها بعض التعديلات.

الاجتماعية وحقوق الإنسان السياسية والاقتصادية هي مفاهيم راسخة عند أتباع الأديان السماوية، وحتى الوضعية بل مَن لا يؤمنون بالأديان، يتفقون عليها، ويسعون لتحقيقها جميعًا.

وتركيزا على الموضوع الرئيسي، فإن التناول في هذا البحث سوف يقتصر على خطاب الكراهية؛ إذ إن تناول جميع هذه القضايا المذكورة مسبقا لن يحيط المقام بتحليلها جميعا ودراستها، وكذلك فإن هذه الدراسة سوف تقتصر على (المنظور الإسلامي)، أما خطاب الكراهية من منظور الأديان الأخرى، فآمل وأتوقع أن يتم تناوله بشكل أعمق من قبل علماء الأديان الأخرى كلٍّ من منظور دينه.

المبحث الأول: قضايا منهجية (ما معنى قولنا: "من وجهة نظر إسلامية"، ولم نقل "المنظور الإسلامي")

إنه من الأفضل لدي حينما أكتب في موضوع يرتبط بالإسلام، ان أي نص يحتمل ان يكون له أكثر من رؤية تفسيرية تقبل التطبيق الواقعي، ولتفسيرها أسباب منطقية يمكن مناقشتها؛ عندئذ يناسبني في ذلك استخدام تعبير "من وجهة نظر إسلامية"؛ وذلك لأن قناعتي لا تأتي إلا من الحجج والبراهين الأكبر استدلالا وبيانا، وهذا يتطلب مقابلة الأدلة المختلفة والتفسيرات المتنوعة، وليس هذا من قبيل التساهل وإنما قبولا-وليس موافقةً- للآراء المختلفة واحتراما للتفسيرات المختلفة والمنطقية التي قد يوردها المخالف في هذا الشأن. ويحضرني في هذا المقام قول الإمام الشافعي رضي الله عنه: "رأيي صَوابٌ يَحتَمِلُ الخَطأ، ورأيُ غَيري خَطأ يَحتَمِلُ الصَّوابَ". وهذا لا يعني أن هناك قضايا قاطعة يكفي تسميتها (المنظور الإسلامي)، مثل: الإيمان بالله الواحد الأحد، وأنبيائه ورسله الكرام المذكورين في القرآن الكريم، وكذلك الإيمان بالوحي واليوم الآخر والجنة والنار، والجزاء والمسؤولية الفردية، وهذا كله يتطلب فهما جيدا للمنهجية الصحيحة لتفسير مبادئ الإسلام وأصوله وتعاليمه.

وفيما يلي نحاول أن نضع قواعد ميسرة لفهم تلك المحددات الرئيسية لهذه المنهجية:

أولا: من حيث المعتقد الديني، فإن الإسلام (كدين) ليس متطابقا مع ممارسات وأفعال أتباعه، تماما مثل الأديان الأخرى، فإن أتباع الأديان والمنتسبين إليها هم في النهاية بشر غير معصومين، تتوافق أعمالهم حينا- وبدرجات متفاوتة- مع تعاليم دينهم ومبادئه، وحينا آخر تستقل تلك الأعمال في ذاتها، أو حتى تنتهك هذه المبادئ والتعاليم. وقد يرى الطرف الآخر المختلف في الدين أن مثل هذه الانتهاكات ما هي إلا جزءا من التعاليم الدينية للذين قاموا بها، والحقيقة أنه في كثير من الأحيان يتم ارتكاب هذه الانتهاكات باسم الدين، ويتم تبريرها- زورا- نتيجة للجهل والفهم الخاطئ لصحيح هذا الدين، أو حتى نتيجة تأويلات وتفسيرات فاسدة منحرفة متسلطة لمثل هذه الأفعال، ومن الأمثلة الصارخة على مثل هذا محاولة تبرير قتل النفس البريئة غير المقاتلة بتفسير فاسد منتزع من سياقه لنص أو كتاب مقدس أو آخر. والتاريخ مليء في الماضي والحاضر بمثل هذه الفِرق التي تمثل

هذه الانحرافات، إلا أن التاريخ مليء كذلك بنماذج الصالحين الذين سعوا جاهدين في مجتمعاتهم إلى إبراز الفطرة الإنسانية الخيرة، ونجحوا فهما في تضييق الفجوة بين المبادئ والأصول الدينية لنصوصهم الدينية وبين الواقع الذي يعيشون فيه، ومهما كانت درجات النجاح والإخفاق في ذلك فإنها ليست بالضرورة دائما هي الصورة المثالية المتطابقة تماما مع المقصد الأسمى للدين[٢].

ثانيا: إننا لتقييم أعمال معينة أو الحكم على حجج وأدلة بعينها ينبغي أن يكون لدينا معايير ثابتة لهذا التقييم وكيفية تحديده.

إن القرآن الكريم وحجيّته، والسنّة الصحيحة وحجيّتها هما ذلك المعيار الأصيل في الإسلام؛ فالقرآن الكريم عند المسلمين هو كلام الله تبارك وتعالى ووحيه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم[٣]، وخاتم رسله للبشرية جمعاء، والإيمان بالقرآن الكريم والتصديق والقبول به هو أصل أصيل حتمي للإيمان بالله عزوجل في الإسلام؛ لكونه كلام الله عز وجل الحرفي الذي أوحى به إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليه السلام (مَلَك الوحي)، وكون القرآن الكريم وحيًا من الله فذلك من حيث المعنى وأيضا من حيث اللفظ والصياغة الدقيقة بما في ذلك القراءات والاحرف المتواترة وهذا ما يجعل القرآن الكريم في أعلى درجات مصادر التعرف على الإسلام، وموقفه من مختلف القضايا والتساؤلات. أما السنّة الصحيحة فتشمل أساسا الحديث الشريف وهو قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته في الأمور المتعلقة بالعقيدة والإيمان والتعاليم الدينية.

والحديث مثل القرآن من حيث أنه مصدر رئيسي من مصادر الإسلام، إلا أنه يختلف عن القرآن في حقيقة أن وصف الحديث بالوحي قائم من حيث المعنى فقط لا من حيث اللفظ؛ إذ إن كلمات الحديث هي كلام النبي صلى الله عليه وسلم وليست كلام الله، إضافة إلى هذا فإن القرآن الكريم أصيل في كماله ودقته وصحته، ومحفوظا حفظا دقيقا من خلال الحفظ والذاكرة من جماهير الحفاظ، وكذلك من خلال كتابته عن طريق كتبة الوحي منذ البداية.

ومن جانب آخر فإن الحديث يختلف عن القرآن الكريم من حيث درجة الصحة التي تم بها حفظ مرويّاته؛ ولذلك كان من الواجب فهم الحديث الشريف وتفسيره وَفقا لما لا يتعارض مع القرآن الكريم أو الأحكام والمبادئ الواردة فيه.

كذلك فإن الحديث الشريف هو مبيّن ومفسّر وشارح للقرآن الكريم، وهذا يعني ضرورة دراسة النصّ القرآني والحديث الشريف

٢- مما يثار أحيانا أن عدد الذين قُتلوا (باسم الله) أكثر من الذين قُتلوا تحت أي مسمًّى آخر، وهذا غير صحيح؛ وتصحيحا لذلك يُقال بداية: «عدد الذين قُتلوا –كذبا-باسم الله. فقد قُتل ملايين من الناس تحت رايات وأيديولوجيات أخرى علمانية أو لأسباب دنيوية أخرى. المشكلة في رأيي تكمن في ميل الناس إلى تبرير أعمالهم وشرورهم، فإن ناسهم الدين بروا تلك الأعمال بأنهم فعلوها باسمه، وإن ناسهم غير ذلك من الأسباب احتجوا بها أيضا.

٣- "صلى الله عليه وسلم": هي الصيغة المعروفة عند المسلمين التي تتبع دائما ذكر اسم النبي محمد وينطبق هذا على سائر أنبياء الله وكذلك صيغة "عليه السلام"

بصورة متصلة ومتكاملة غير متعارضة في كل ما يخصّ حكما معينا أو قضيّة معينة.

ثالثًا: مصادر التشريع الإسلامي (الثانوية) غير القرآن والسنة اثنان من المصادر المتفق عليهما عند المسلمين بشكل عام، وهناك مصادر أخرى ليست قاطعة في الاحتجاج بها، أما المصدران المتفق عليهما فهما (الإجماع والقياس)، وبالرغم من أن هذين المصدرين ليسا جزءًا من الوحي، ويعتمدان على تفسيرات لهما؛ إلا أنهما من المصادر المقبولة، ويرى الكثيرون من علماء المسلمين أنهما المصدر الثالث والرابع للتشريع الإسلامي.

وهنا ينبغي أن يُعلم أن الإجماع والقياس يعتمدان بصورة رئيسية على القرآن والسنة وتفسيرهما.

إن التفسيرات الإنسانية التي تصدر من حكم الإنسان، لا شك أنها قد تختلف ويجوز فيها الصواب والخطأ، وهذا يعني أن الحجيّة الأساسية القائمة على القرآن والسنة لا يمكن رفضها على أنها رأي عالم أو مجتهد يختلف عنها أو يتعارض معها، فإن كان الخطأ في الفهم أو التفسير وارد وممكن حدوثه؛ إلا أن هذا الخطأ لا تصح نسبته للنص القرآني أو السنة أو بمعنى آخر لا تصح نسبته إلى الله أو إلى الوحي انما عن أخطاء بشريّه في فهمه وتفسيره.

وعلى الرغم من ذلك فإننا يجدربنا الإشارة إلى أن مراجعة بعض الآراء القديمة والاجتهادات السابقة في بعض القضايا لا يعد خطأ منهجيا فيما قد تم الاستقرار عليه، وإنما لأن بعض هذه الآراء والاجتهادات قد تشكلت وفقا لظروف تاريخية خاصة وفي بيئتها، وهي قد تختلف كثيرا عما هو عليه الحال في عالمنا اليوم. وعلى أية حال، فإن الحكم على الآراء يتم من خلال المصادر الرئيسية وليس العكس.

كذلك مما ينبغي أن يُعلم أنه لا يوجد في الإسلام (كهنوت) أي وجود شخصية أو سلطة واحدة يتم قبول تفسيرها في أي قضية من القضايا على أنها حقيقة ثابتة غير قابلة للنقاش، أو أنها الحقيقة الوحيدة المطلقة والصحيحة، ناهيك عن النظر إلى ذلك بنفس المقياس الذي ينظر به إلى نصوص الوحي (القرآن والسنة).

رابعًا: القرآن يفسّر بعضه بعضا، أو بمعنى آخر، إن القرآن نظرًا لأنه قد نزل (مُنجَّمًا) أي متفرّقا وليس مرتبا حسب الموضوع الواحد بصورة متكاملة، وذلك لكونه نزل مرتبطا بالوقائع والأحداث؛ وأهمية معرفة هذا أنها توجب على الباحث أن يكون على دراية تامة بجميع آيات القرآن التي تتناول موضوعا واحدا وترتبط به بصورة مباشرة أو غير مباشرة؛ وإلا فإن عدم توفر ذلك للباحث سيؤدي لحدوث انتقائية تُخل بالفهم والمراد الحقيقي من الآية، مما يُخل بالكلية بالرسالة القرآنية الموجَّهة في هذه القضية أو تلك؛ ولهذا فإن النصوص القرآنية كلها لها أهمية كبيرة في تحديد المراد الحقيقي لنص معين، هذا بالإضافة إلى السياق العام للقرآن الكريم.

كل ذلك ينبغي مراعاته عند تفسير آية معينة أو استنباط حكم منها.

وإنه لمن الخطأ الكبير أن يتم اجتزاء القرآن أو الاقتباس لجزء منه أو آية واحدة في سورة ما بطريقة خاطئة تؤدي في النهاية إلى تغيير معناه والمراد منه.

خامسًا: مراعاة أسباب النزول لبعض الآيات (إن كانت معروفة وصحيحة)، فينبغي تفسير هذه الآيات في سياقها المرتبط بالوحي.

سادسًا: إن كان هناك حديث صحيح يفسر المراد من آية معينة فإن هذا الحديث يُقدّم في الاستدلال على غيره من الآراء والاجتهادات التي قد تكون مختلفة أو متعارضة معه.

سابعًا: ينبغي مراعاة أن هناك آيات قرآنية قد نزلت لتعالج مواقف اجتماعية للمجتمع المسلم الناشئ، أو تحديات تاريخية مرهونة بوقتها الذي نزلت فيه، والتي قد لا تكون موجودة في وقتنا الحاضر، وإن كانت موجودة فهي تتخذ أشكالا مختلفة؛ ولذلك لا ينبغي إسقاط حكم هذه الآيات على واقعنا الحالي ما لم يكن لنفس الحالة أو ذات الموقف المماثل لما نزلت له[٤]، على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة: ٥).

إن تم تفسير هذه الآية دون النظر إلى سياقها التاريخي؛ فإن ذلك سينشأ عنه فهم مغلوط مضلّ، وهو أن القرآن يأمر بقتل جميع المشركين دون تمييز، في حين أن الآية تشير إلى قتل الخائنين من المشركين الذين خانوا العهد مع المسلمين وتآمروا مع أعدائهم لقتلهم لانّهم غيّروا موقفهم من مسالمين الي محاربين.

ثامنًا: يجب تفسير الآيات القرآنية الخاصة في ضوء الآيات القرآنية العامّة، ومثال ذلك أن القرآن الكريم يؤكد دائما على حرية الاختيار للإنسان، وعدم إكراه أحد على الدين والإيمان، ولكننا مع ذلك نجد بعض الآيات التي ورد فيها قتال غير المسلمين، مما يجعل البعض يدعي أن تفسير ذلك بسبب رفضهم للإسلام أو من أجل إكراههم على قبوله، وهذا تجاهل لنصوص القرآن الكثيرة التي لا توافق هذا التفسير.

والسؤال: هل كان هذا الأمر بقتال غير المسلمين ناشئا عن اختيارهم المخالف ألا يدخلوا في الإسلام، أو ممارسة للاضطهاد ضدهم، مع كون الإسلام واختياره لم يكن سببا أساسيا في مقاتلتهم؟!

٤- إن النظر في السياق التاريخي لنص بعينه في القرآن الكريم أو الحديث الشريف لا علاقة له بمصطلح (تاريخية القرآن) والذي يدعي مناصروه أنه ينبغي دراسة القرآن كنص تاريخي مرتبط بزمان الأحداث التي نزل لأجلها كتاريخ التأليف الإنساني، مما يوهم أن صلاحية القرآن الكريم وأهميته تقتصر فقط على وقت نزوله. والصواب أن ثبات نصوص القرآن الكريم وتوجهاته وتعاليمه الأساسية ومرونتها في التطبيق تجعله صالحا لكل زمان ومكان وقادرا على التعامل مع تحديات كل عصر. (دون الانزلاق في الحداثة وتعقيدات مفاهيمها).

تاسعًا: ينبغي تأويل النصوص المتشابهة في القرآن والسنة، والتي تحتمل أكثر من دلالة وفقا للنصوص المحكمة والثابتة، وليس العكس[٥].

عاشرًا: ينبغي النظر بعناية إلى (ادعاء النسخ في القرآن الكريم)، والنسخ يعني إلغاء الحكم الوارد في آية معينة او استبداله بحكم آخر لاحق له.

لا شك أن القرآن الكريم كله صحيح قطعيّ الثبوت، وبالتالي فإن ادعاء النسخ لا بد ان يستند الي دليل قطعي الثبوت كذلك، وليس على الآراء والاجتهادات. وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أن المسلمين الأوائل قد استخدموا مصطلح النسخ بمعنى (التخصيص) أي تحديد الحكم على واقعة بعينها أو الحد منه، وليس بالضرورة إلغائه. وهذه المسألة لها أهمية قصوى في التراث الإسلامي، ونجد بعض الكتاب قد تجاوزا حد المعقول في ادعاء النسخ، في حين ذهب عدد قليل منهم إلى أن النسخ نتج عنه إلغاء الأحكام لمئات من الآيات القرآنية، لكن الغالبية العظمى من العلماء رفضوا هذا الادعاء الذي لا أساس له من الصحة.

ولنمثل لذلك بما ذهب إليه جلال الدين السيوطي الذي عدَّ مواضع النسخ في القرآن أنها (تسعة عشر موضعا)، وذهب علماء آخرون مثل شاه ولي الله الدهلوي وصبحي الصالح إلى أن عدد هذه المواضع في القرآن أقل من ذلك بكثير[٦].

وعلى أية حال، فإن وجود مثل هذه الاختلافات المشروعة حول عدد آيات النسخ في القرآن الكريم يعد دليلا على نفي المزاعم التي تدعي النسخ في عدد كبير من الآيات، ودليلا على أن معظمها لم يكن له أساس من الصحة، وذلك بالأدلة الأخرى القوية التي تخالفها.

استرشادا بما قدمنا له من منهجية، فإننا نشرع الآن في تناول وبيان القيم والمبادئ القرآنية التي تمثل الموقف الإسلامي الأصيل في التعامل الإنساني بين كافة البشر دون النظر إلى اختلافاتهم وتنوعهم.

المبحث الثاني: التصدي لخطاب الكراهية وَفقا للقيم والمبادئ الإسلامية الأساسية

إن خطاب الكراهية- برأيي-لا يأتي من الكَلِم أو القلم أو لوحة المفاتيح الإلكترونية (الكيبورد)؛ وإنما يبدأ من (القلب)، ثم يتبع ذلك المواقف والأفعال.

إن هناك علاقة وطيدة بين الجانب العاطفي والعقلي لكل من ينشأ منهم خطاب الكراهية، وما هو واضح أن خطاب الكراهية الموجه للأفراد والجماعات المختلفة في الدين

٥- هناك دلالات مختلفة لمصطلحي (المحكم والمتشابه في القرآن)، وما نقصده هنا بالمحكم أي المعنى النهائي القاطع، ونقصد بالمتشابه المعنى المحتمل.

٦- انظر:صبحي الصالح،مباحث في علم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٨٢م، ص(٢٧٢-٢٧٤). انظر أيضا: عبدالله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠٠١م، ص(٢١٥-٢١٧).

أو الجنس أو العرق أو اللون أو الطبقة الاجتماعية يتأثر بمجموعة عوامل مترابطة (اجتماعية وتاريخية واقتصادية وسياسية ودينية)، وهذه العوامل مع شدتها تؤدي إلى وجود ميل شخص ما أو جماعة ما لإيجاد مبرر لإعلان خطاب الكراهية الذي تتجلى صورته في أعمال كراهية وعنف، قد تصل إلى الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية.

إن الشعور بالظلم الدائم والتمييز وانتهاك الكرامة الإنسانية والحقوق الأساسية للإنسان ومصادرة الحريات التي وهبها الله عز وجل للإنسان، كل ذلك يخلق مبررا للكراهية والعداء للآخرين، وإلحاق الأذى بهم والانتقام منهم؛ ويأتي ذلك كرد فعل مضاد وعنيف ظاهر أو خفي للمظالم التي يتعرض لها هؤلاء.

وفيما يلي سوف نحاول بصورة موجزة بيان كيفية معالجة الإسلام في أصوله الثابتة الأساسية لخطاب الكراهية للآخر وسبل الوقاية منه والتصدي له، دون تحليل مفصَّل لهذه القضية المعقدة.

أولًا: مصطلح الإسلام نفسه

إن الإسلام في جوهره لفظا ومعنى يعني السلام، وتعزيز قيم التعايش السلمي بين الناس كافة، وهذا هو أساس العلاقات الإنسانية بين البشر.

كلمة (الإسلام) تُشتق في اللغة العربية من مادة (س-ل-م)، والتي تعني السلام والاستسلام، والإسلام كمصطلح ديني يمكن تعريفه استنادًا لمعناه اللغوي أنه: "تحقيق السلام من خلال الاستسلام لله تبارك وتعالى، أو بمعنى آخر هو سلام النفس المستسلمة لله".

هناك إشارات كثيرة في القرآن والسنة تكشف لنا أن مفهوم السلام يشمل: السلام مع الله، والسلام مع النفس الناتج من علاقة الإنسان مع ربه، والسلام مع الناس، والسلام كذلك مع الحيوان والنبات والبيئة بأكملها.

ولذلك فإن الإسلام في معناه الواسع هو جوهر رسالة جميع الأنبياء وتعاليمهم عبر التاريخ.

ويصرح القرآن أن مادة الإسلام (س-ل-م) يُستمدّ منها معانٍ لمصطلحات أخرى إيمانية وأخروية[٧]؛ فالسلام اسم من أسماء الله الحسنى، الذي هو واهب السلام ومصدره الأول، والجنة في القرآن تُسمى دار السلام، وتحية الملائكة للمؤمنين عند دخولهم الجنة "سلامٌ عليكم"، وهي نفس التحية بين أهل الجنة، وهي كذلك التحية الأساسية بين المسلمين في جميع أنحاء العالم.

كذلك فإن السلام يكمن في مقاصد الشريعة الإسلامية الخمسة الأساسية (حفظ الدين

٧- انظر على سبيل المثال: قوله تعالى: "واللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ" (سورة الحشر: ٢٣). وقوله تعالى: "لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (سورة الأنعام: ١٢٧). وقوله تعالى: "وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ" (سورة الرعد: ٢٣- ٢٤). وقوله تعالى: "دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (سورة يونس: ١٠).

والنفس والعقل والعِرض والمال)، وكل ذلك يمثل العلاقات الإنسانية السوية للإنسان في دوائرها المختلفة الأسرة والمجتمع والمسلمين فيما بينهم والإنسانية بشكل عام.

ثانيًا: الإيمان بوحدانية الله

إن الإيمان بإله واحد (الله في العربية)[٨] الخالق البارئ، رب العالمين ورازقهم أجمعين؛ هو الركن الأول الذي يرتكز عليه الدين الإسلامي؛ وهذا يختلف عن فكرة المشركين والمدعين بتعدد الآلهة، فكون الله واحد منزه عن الشريك يجعل كل البشر هم خلقه، ورزقهم عليه، سواء من آمن به ومن لم يؤمن.

إن الله رب للجميع يرعاهم كما خلقهم، ويغفر ذنوبهم، وهذا الاعتقاد يجعل جميع البشر متساوون أمام الله عزوجل من حيث إنسانيتهم، دون النظر لاعتقادهم، وهو وحده سبحانه الحكم بينهم يوم يرجعون إليه، من كان منهم على هدى ومن كان في ضلال؛ وهذا يوجب ألا يتعرض أي إنسان لاضطهاد أو كراهية أو أذى من قِبل الآخرين بسبب إيمانه أو اعتقاده[٩].

ثالثًا: عالمية الرسالة ووحدة التعاليم الأساسية للأنبياء

لقد كان السلام والاستسلام لله عز وجل هو الرسالة الأساسية لجميع الأنبياء، وهو ذاته معنى (الإسلام). ووَفقًا للقرآن الكريم فإن من واجب كل مسلم الإيمان بجميع الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وإجلالهم وتقديرهم دون تمييز.

إن أنبياء الله جميعهم هم من يمثلون أخوة الإسلام الأصيلة، والتي (إن جاز لنا التعبير) تمتد رأسيًا لتشمل أجيالا عديدة، وتمتد أفقيًا لتشمل الإنسانية جمعاء، يقول تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(سورة البقرة: ٢٨٥). ويقول تعالى:﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾(سورة النساء: ١٦٣).

وفيما يخص الإيمان، فهو كذلك إيمانٌ واحد لجميع الأنبياء، يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾(سورة الشورى: ١٣).

٨- (الله): لفظ يتطابق كذلك مع ما يطلقه المسيحيون العرب للإشارة إلى الله، ويظهر ذلك في الكتاب المقدس بالعربية، وهو كذلك يشبه إلى حد كبير اللفظ الآرامي "Alaaha" إشارة إلى الله.

٩- القرآن يرفض وينتقد المعتقدات الخاطئة (كعبادة الأوثان أو البشر) كما يرفض الأفعال الخاطئة مهما كان من يصدر عنه هذه الأفعال أو انتمائه الديني؛ وهذا حق أصيل وجزء من بيان الحقيقة في كتابه الخاتم والأخير، والمسلمون أنفسهم لم يكونوا متحررين من هذا النقد القرآني للأخطاء وتصحيحها.

وهذه الآيات الكريمة تستبعد وتنفي نفيًا تاما فكرة التفكك والتحزب والضيق الذي يدفع إلى الكراهية والعنف ضد المجتمعات من أتباع الأنبياء الآخرين[١٠].

رابعًا: عالمية الكرامة الإنسانية

إن القرآن الكريم يقدم لنا أسبابا مختلفة لتكريم الإنسان من حيث كونه إنسانا مهما كان معتقده، ويتجلى هذا التكريم في القرآن في وصف الطريقة التي خلق الله بها الإنسان﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[١١]، وأمر الله للملائكة أن تسجد لآدم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾[١٢] وجعل الإنسان خليفة له في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١٣]، بل جعل سبحانه كلَّ شيء في السماوات والأرض مسخرا لخدمة الإنسان ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[١٤]؛ ولذلك فإن قدسية الحياة الإنسانية مؤكدة في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ﴾(سورة الإسراء: ٣٣)، وتلك القدسية للحياة يؤكد القرآن على أن الله قد كتبها على الأنبياء السابقين كذلك، يقول تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(سورة المائدة: ٣٢).

كذلك يخبرنا القرآن بتكريم الله للإنسان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (سورة الإسراء: ٧٠)، وفي هذه الآية إشارة إلى أن التكريم قد شمل الناس جميعا دون تمييز لهم بدين أو حتى إيمان بالله أو عدم إيمان.

لا شك أن عدم الإيمان بالله عزوجل له جزاء وعقاب في الآخرة؛ ولكن ذلك راجع لله تبارك وتعالى وحده، وليس لأحد سواه؛ ولذلك فإن هذا التقدير للجزاء في الآخرة لا يؤثر على احترام كرامة الإنسان في الدنيا، أما في الآخرة فكون الإنسان مخيرا وحرا في اختياره، فهذا يجعله مسؤولا أمام الله عزوجل في الآخرة، سواء كان هذا الاختيار منه إيمانيا أو أخلاقيا، ولا يحق لأي أحد مساءلة الآخر عن اختياره؛ إلا إذا كان هذا الاختيار اختيارا أخلاقيا تُنتهك به حقوق الآخرين أفرادا أو مجتمعات، وذلك مثل ارتكاب الجرائم، كما

١٠- القرآن يوجب على كل مسلم ألا يميز بين رسل الله عزوجل، إلا أن الله عزوجل قد جعل بعض الأنبياء وهم أولوا العزم من الرسل (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم) في مكانة أعلى من غيرهم، وليس ذلك أبدا من قبيل التقليل من مكانتهم أو رسالتهم، ومن ذلك قوله تعالى: "وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا" (سورة الإسراء: ٥٥)، وقوله تعالى: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ» (سورة البقرة: ٢٥٣).

١١- القرآن الكريم، سورة التين: ٤.

١٢- سورة البقرة: ٣٤.

١٣- سورة البقرة: ٣٠.

١٤- سورة لقمان: ٢٠

لا يحق له معاقبة أحد على جرم لم يرتكبه لمجرد اعتناق الآخر لدين مختلف عنه، أو حتى إن كان بلا دين.

مما سبق يظهر لنا أن مبدأ احترام كرامة الإنسان والتعايش السلمي بين أتباع جميع الأديان هو مبدأ ليس فقط منصوصا عليه في الإسلام، وإنما هو مفصلا تفصيلا في القرآن الكريم.

خامسا: عالمية العدالة التامة الشامل

العدالة تعني في المصطلح العربي (العدل) أي التوازن، يقول تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ*وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ* وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[15] وهذه العدالة قد أقامها الله عز وجل وجعلها متأصلة في النظام البيئي والكون كله، وبقدر هذا التوازن بقدر ما أمر سبحانه بتأصيلها في القيم الأخلاقية والروحية، وحذر من التعدي والإخلال بهذا التوازن، يقول تعالى: ﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[16]

وفي هذا السياق الواسع يمكن لنا دراسة مفهوم العدالة في الإسلام من خلال أصوله الأساسية، ويمكن لنا أن نوجز خصائص هذا المفهوم فيما يلي:

١. العدل بالنسبة للمؤمن ليس مجرد التزام سياسي أو واجب دنيوي يحققه الإنسان لكسب غرض ما؛ وإنما العدل أمر إلهي. يقول تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[17].

٢. العدل جوهر التعاليم النبوية. يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[18].

٣. العدل قيمة عالمية شاملة، يجب الالتزام به حتى مع العدو. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾(سورة النساء ١٣٥)، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(سورة المائدة: ٨).

٤. لا يمكن أن يُتصور تحقيق سلام حقيقي دون عدل، فإقامة العدل شرط أساس لتحقيق السلام، كما أن إلحاق الأذى والاضطهاد والعداء لأي شخص بسبب معتقداته الدينية لهو أشد أنواع الظلم.

سادسًا: عالمية الأخوة الإنسانية

يشير القرآن الكريم للأخوة الإنسانية التي قضت حكمة الله بها لنا جميعا. يقول

١٥- سورة الرحمن: ٥-٧.
١٦- سورة الرحمن: ٨-٩.
١٧- سورة النحل: ٩٠.
١٨- سورة الحديد: ٢٥.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(سورة الحجرات: ١٣).

وجدير بالملاحظة أن الله في هذه الآية الكريمة لا يخص المسلمين بالخطاب؛ وإنما الخطاب لجميع البشر، كتذكيرا لهم بإنسانيتهم التي ينتمون إليها، وأصلهم الذي إليه يرجعون (بني آدم)، كعائلة واحدة بالرغم من وجود التنوع والاختلاف فيما بينهم؛ إشارة إلى إمكانية التنوع في الوحدة كما هي الوحدة في التنوع، وكأن الإنسانية باقة من الزهور فيها جمال خاص لكل زهرة بلونها؛ إلا أن تنوع الألوان وتناغمها لجميع الزهور يجعل الباقة أكثر جمالا.

إن هذا البيان القرآني عن الأخوة الإنسانية بمفهومها الواسع لهو أساس عميق للسلام من أجل جميع البشر.

سابعًا: قبول التنوع في المجتمعات الإنسانية

إن القرآن الكريم في تقرير هذا الأمر واضح تمام الوضوح. يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (سورة المائدة: ٤٨)، ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (سورة هود: ١١٨)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس: ٩٩).

وهذا يعني أن إجبار الناس على الإيمان يتعارض مع صريح الآيات التي أقرت حرية الإرادة والاختيار لكل إنسان، والتي تحمل في طياتها حقيقة أن هناك من الناس من سيرفض الإيمان، وجزاءه سيكون على الله وحده مؤجلا في الآخرة.

وهذه الآيات تغرس مبدأ عدم الحكم على الناس، وقبولهم كما هم، كما تغرس مبدأ أن البشر مخيَّرون، وهذا حق لهم من الله؛ لأنهم مسؤولون عن هذا الاختيار أمامه سبحانه وتعالى.

إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن قبول التعددية لا يعني قبول تعدد الحقيقة المطلقة، كما أنه لا يمنع الإنسان من إعلانه لمعتقده، والاعتزاز به، والدعوة إليه. فالتعددية تعني التعايش السلمي للإنسان مع المخالفين له في الدين والمعتقد والأفكار.

ثامنًا: لا إكراه في الدين

أو بمعنى آخر: إن الإكراه على الإيمانممنوع في الإسلام.

وهذا لا يعني أن الدعوة أو حتى التبشير هو نفسه الإكراه؛ فالقرآن يوجب على المؤمنين الدعوة إلى الله وتبليغ رسالة الإسلام إلى إخوانهم من البشر، وبذلك جعل الله المسلمين شهودا على الناس، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (سورة البقرة: ١٤٣). وهذه الشهادة تقتضي أن يكون المسلم صالحًا في أفعاله، وأن يدعو إلى ذلك الصلاح وما يعتقد أنه حقيقة، وهذا- ولا شك- فيه النفع للبشرية جمعاء.

في بعض المجتمعات يُستخدم مصطلح (conversion) أي تغيير الدين والمعتقد والفكر بوسائل قد تستغلّ حاجة المدعو فيقبل الدين الاخر دون قناعة حقيقية، أما المصطلح القرآني فهو (الدعوة)، والتي تعني في لفظها أن الشخص المدعوّ له كامل الحق والحرية في قبول أو رفض ما يُدعى إليه.

وبهذا المعنى للدعوة فإنها لا تتفق بأي حال من الأحوال مع الإكراه والتهديد والوعيد أو الرشوة والخداع والابتزاز واستغلال حاجة المدعو من جوع أو فقر أو مرض.

إن القرآن الكريم يقدم إرشادات للداعي، وكيفية دعوة الآخرين للإسلام، وأهمها أن تكون تلك الدعوة برفق وحكمة. يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(سورة النحل: ١٢٥).

وفي عدد كبير من آيات القرآن نجد التحذير من الإكراه على الإيمان، يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾(سورة الغاشية: ٢١-٢٦). ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة يونس: ٩٩).

هذا والقرآن الكريم لم يجعل أي عقوبة دنيوية لمن يرفض قبول الإسلام، يقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (سورة الشورى: ٤٨).

تاسعًا: عالمية الرحمة

إن جوهر الإسلام ورسالة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تتلخص في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧).

ولإزالة أيّ شك في تفسير هذه الرحمة فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الرحمة ليست للمسلمين فقط، وإنما هي رحمة للناس أجمعين، يقول صلى الله عليه وسلم: "لن تؤمنوا حتي ترحموا قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم، قال انه ليس برحمة احدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة "[١٩].

كما بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن من لا يرحم الناس فليس أهلا لأن يرحمه الله، يقول صلى الله عليه وسلم: "مَن لا يَرحم لا يُرحم"[٢٠].

إنه لمن المؤكد أن المسلمين ليسوا وحدهم على هذه الأرض، وهذا يكشف لنا معنى قوله: "رحمة العامة " أي الرحمة لجميع الناس مسلمين كانوا أم غير مسلمين، وحتى باقي المخلوقات في الكون[٢١].

١٩- رواهالطبراني،انظر: محمد الغزالي،خلقالمسلم،دارالبيان،الكويت، ١٩٧٠م،ص ٢٥٤.

٢٠- صحيح البخاري،مجلد ٨ حديثرقم ٤٢، ترجمة محمد محسن خان، مكتبة الرياض الحديثة ١٩٨٣.

٢١- تشير العديد من المواضع في القرآن والسنة إلى أهمية الرفق بالحيوانات، وضرورة الحفاظ على النباتات، والاستخدام الرشيد لهما، وفي الحديث نجد قوله صلى الله عليه وسلم عن جبل أُحد: "هذا جبل يحبنا ونحبه".

إنه لمن ثمار الرحمة وموقف الإسلام منها أن يحب المسلم كل الناس كأخوة له في الإنسانية، وخلق من خلق الله مكرمون عنده، هذا دون النظر لمعتقداتهم الخاطئة أو حتى عدم إيمانهم المطلق بالله.

وهذا الحب يتجلى في أعلى درجاته في حب الخير والصلاح لكل الناس، وهذا لا يعني- بالتأكيد- محبةَ أفعالهم السيئة وخطاياهم، أو إلحادهم وعدم إيمانهم، وإنما محبة رجاء الهداية والصلاح لهم في الدنيا والآخرة.

عاشرًا: عالمية التعايش السلمي بعدل ورحمة

إن المبدأ الأصيل في علاقة المسلمين مع غيرهم هو مبدأ (التعايش السلمي بعدل ورحمة)، وقد تعرض القرآن الكريم لهذا المبدأ في آيتين كريمتين تجسدان ذلك المبدأ، يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة الممتحنة: ٨-٩).

وهاتان الآيتان أمر إلهي للمسلم بأن يعامل الآخرين المخالفين له في الدين (بالبّر والرحمة)، ومصطلح (البر) ومشتقاته يكثر وروده في القرآن الكريم، وقد ورد للإشارة إلى علاقة الإنسان بوالديه وهي علاقة تتخطى المعاملة برفق ولين، وتشتمل تلك العلاقة أيضا على المحبة والاحترام.

وبالمثل، فإن ترجمة اللفظة القرآنية "القسط " الي "justice" باللغة الإنجليزية ليس دقيقا لأنها تشير أساسا إلي اقتضاء الحقوق، اما مفهوم العدل فيشمل التوازن في كل الأمور، وأسمي من العدل القسط؛ فالعدل يعني إعطاء الآخرين حقوقهم لا أقل ولا أكثر، أما القسط فيشير إلي إعطاء الآخرين حقوقهم وزياده كالهدايا والعون والإحسان إلي الجار ولو لم يكن مسلما[٢٢].

حادي عشر: الحوار السلمي (خاصة مع أهل الكتاب)

إن جميع المبادئ (العشرة) السابقة نراها جامعة مع غير المسلمين أيًّا كانوا؛ إلا أن القرآن الكريم يمنح أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وضعًا خاصا يميزهم عن غيرهم من المشركين، يقول تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (سورة البينة: ١).

إن مصطلح (أهل الكتاب) يحمل في طياته إقرارا أن معتقدات أهل الكتاب تستند مثل المسلمين إلى كتب ونصوص مقدسة؛ ولهذا فإن القرآن الكريم يدعو إلى الحوار السلمي مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، يقول

٢٢- الانصاري القرطبي في احكام القرآن، داراحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٦، ص .٥٩

تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(سورة آل عمران: ٦٤).

وهنا ينبغي التذكير- لما أشرنا له من قبل- أن رفض هذه الدعوة لا يقابله تجريم وعقاب في هذه الحياة، وإنما هي دعوة شهادة واجبة على المسلمين بمقتضى إيمانهم بالله تعالى ومحبة الخير للجميع.

وتتعدد الآيات في القرآن الكريم للدعوة إلى هذا الحوار والترغيب فيه على أرضية مشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب، وكذلك الإحسان والرفق في هذه الدعوة، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٤).

إن المسلمين والمسيحيين واليهود لا يشتركون معا فقط في الإيمان بإله واحد، والإيمان بالوحي المنزل فحسب، وإنما يشتركون كذلك في الإيمان بالمسؤولية الإنسانية والجزاء عن أعمال الخير والشر، وكذلك القيم الأخلاقية كالحب والسلام والعدل.

خاتمة:

إن المبادئ والأصول الإحدى عشر السابقة تمثل أساسًا قويًا للعلاقات الإنسانية والسلام والتعايش بين الناس، دون النظر إلى دينهم أو معتقداتهم؛ إلا انه يجدر بنا الإشارة إلى أن السلام الحقيقي الدائم ينبغي حمايته وصونه ممن يعارضونه ويقفون عقبة دون تحقيقه؛ ولذلك فإن السلام الحقيقي لا يعني بالضرورة غياب القوة الحامية له والمدافعة عنه والحافظة لأمن وسلامة الجميع، ومقاومة العدوان والبغي بالطرق المشروعة.

وحبذا لو تعاون الجميع، بغض النظر عن خلفياتهم في إشاعة ثقافة السماحة وقبول الآخر والحوار السلمي محل النزاعات، والأهم من ذلك نشر المحبة التي لا يقف دونها ما أراد الله تعالى من سنن التنوع في شتى المخلوقات؛ لان الأوضاع المأساوية للعالم لا تحتمل الانتظار ودورنا جميعا الدفع باتجاه عالم أفضل للجميع.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الحديث الشريف:
- خان، محمد محسن: ترجمة صحيح البخاري، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٩٨٢م
- الجديع، عبدالله بن يوسف: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠٠١م.
- الصالح، صبحي: مباحث في علم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٨٢م.
- الغزالي، محمد: خلق المسلم، دار البيان، الكويت، ١٩٧٠م.

ملخص بحث
(الموريسكيون.. ضحايا الاضطهاد الديني)[1]

الدكتور: محمد عبد السميع

في جميع المجتمعات البشرية، بغض النظر عن معتقداتهم، هناك دائمًا أصوات تغذي خطاب الكراهية وتتبنى العنف بحجة الدفاع عن معتقداتهم وملاحقة واضطهاد أولئك الذين لا يؤمنون بها. في هذا البحث سنسلط الضوء على المجتمع الإسباني في القرنين الخامس والسادس عشر، تحديدًا بعد سقوط غرناطة، في عام ١٤٩٢، وسيطرة الممالك الكاثوليكية على زمام الأمور في شبه الجزيرة الأيبيرية. بدايةً من هذا التاريخ، بدأ صراعٌ أيديولوجي بين نظام الحكم الجديد وكل من يخالفها الاعتقاد الديني، خاصةً الأقلية المسلمة، التي أطلقت عليها السُلُطات فيما بعد "الموريسكيون". في الحقيقة، لم يكن صراعًا متكافئً، فقد حاولت الأغلبية، طوال أكثر من قرن، محو الهوية الدينية والثقافية للأقلية الموريسكية وفَرْض معتقدها الديني قسرًا. ولقد مارست في سبيل هذا كل وسائل القمع المختلفة من الحض على كراهية الموريسكيين، إلى ملاحقتهم واضطهادهم -رجالًا ونساءً وأطفالًا- بل وسجنهم وتعذيبهم،

١- البحث الكامل منشور في هذا العدد من المجلة (باللغة الأسبانية).

وأحيانًا قتلهم. لم تحقق الممارسات القمعية هدفها المنشود، بل ازداد القطاع الأكبر من الموريسكيين تمسكًا بهويتهم الدينية والثقافية، وحاولوا الحفاظ على شعائرهم الدينية، ولو سرًا. ولما ضَعُفَت ثقافتهم الدينية واللغوية، جرَّاء هذه الممارسات، تشبثوا بآخر ما تبقى لهم من هويتهم الدينية والذي تمثَّل في الحرف العربي –حرف الوحي- فاخترعوا «الألخميادو»، الرومانثية أو الإسباينة الوسيطة المكتوبة بحروفٍ عربية. لما يأست السُلُطات الإسبانية من إجبار كثيرٍ من الموريسكيين على التخلي عن معتقدهم الديني وتقاليدهم الثقافية، أصدَرَت مرسومًا ملكيا بطردهم نهائيًا من شبه الجزيرة الإيبيرية سنة ١٦٠٩ ميلادية. مع هذا الطرد طويت صفحة الموريسكيين في كتاب التاريخ الإنساني، تاركةً لنا رسالةً مفادُها أن كراهية "الآخر" وقمعه لأسبابٍ دينية أو أيديولوجية لا يؤدي إلا إلى المزيد من الكراهية والعنف، وأن الحوار والتسامح والتعايش السلمي هي دائمًا حلولٌ ناجعة لجميع الصراعات البشرية.

السيرة الذاتية للكتاب

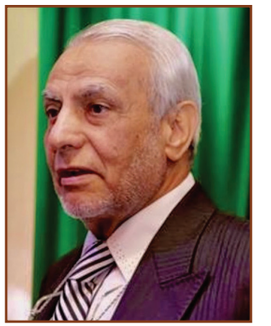

الأستاذ الدكتور إبراهيم سالم: المفتي العام للقارة الأسترالية منذ ٢٠١١ وحتى الآن، دكتوراه في أصول الدين، أستاذ الفكر الإسلامي، رئيس المؤسسة الأسترالية للثقافة الإسلامية، ورئيس مجلس إدارة إذاعة القرآن الكريم في أستراليا، وعضو مجلس أمناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. في عام ٢٠١٣ كان هو الشخصية العربية الوحيدة التي تم اختيارها ضمن قائمة خمسين شخصية هي الأكثر فاعلية وتأثيرا في المجتمع الأسترالي، وتكرر الحدث في عام ٢٠١٥م.

الدكتورة ليليا شنتوح: أستاذة محاضرة بجامعة الجزائر١ ، ورئيس اللجنة العلمية لقسم العقائد والأديان، وعضو بمخبر مناهج البحث بالعلوم الإسلامية، وعضو بالمجلس العلمي لكلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر١، شاركت في العديد من المؤتمرات والملتقيات العلمية في الجزائر وبلجيكا وتركيا والسعودية، كما ناقشت وأشرفت على العديد من أطروحات الدكتوراه والماجستير، لها العديد من الأبحاث والمقالات المنشورة في مجلات علمية محكمة، وفي الأنترنت.

الدكتور الحسن حما: دكتوراه في الدراسات الإسلامية، وأستاذ مشارك جامعة محمد الخامس بالرباط ٢٠١٨/٢٠١٩، ورئيس تحرير مجلة تحولات معاصرة، باحث بمركز برق للدراسات والبحوث ٢٠١٦ – ٢٠١٧.

الدكتور أحمد عبد الرحيم: دكتوراه في الآداب)العربية والفارسية(كلية الآداب- جامعة الإسكندرية، يعمل باحثا أولا بمركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، وعمل أستاذا مساعدا منتدبا للغة العربية بكلية المجتمع في قطر، وعمل باحثا أول بتحقيق المخطوطات، والتدقيق اللغوي للبحوث التراثية بمكتبة الإسكندرية، ، عضو الجمعية الفلسفية المصرية، ومحرّر القسم العربي لمجلة أديان (مجلة دولية محكمة تصدر عن مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان)، له العديد من الكتب تأليفا وتحريرًا وترجمة ودواوين شعرية بلغ عددها ١٥ كتابا، وله في مجال الحوار١٢ بحثا شارك بهما في العديد من المؤتمرات الدولية، كما أذيع له ثلاثة برامج إذاعية تخطى عددها ٦٠ حلقة إذاعية.

الدكتور وليد منصور: باحث بمركز المخطوطات مكتبة الإسكندرية، وباحث في مقارنة الأديان، حاصل على الدكتوراه من قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، له خبرة علمية في مجال فهرسة وتوثيق المخطوطات بمكتبة الإسكندرية وإعداد برامج الندوات العلمية المتخصصة والدورات التدريبية بمجال دراسات المخطوطات والتراث ين العربي واليهودي وإلقاء المحاضرات فيها.
من مؤلفاته المنشورة: "إله العهد القديم بين الوحي وأساطير الشرق القديم "، وله العديد من البحوث العلمية المحكمة في مجال المخطوطات والتراث والديانة اليهودية.

الدكتور مكي سعد الله: دكتوراه في الأدب العربي الحديث جامعة باتنة١، أستاذ محاضر الأدب الحديث والأدب المقارن - جامعة تبسه - الجزائر، حاصل على شهادة الدراسات المعمقة (DEA)في الأدب المقارن، جامعة باريس السوربون الرابعة (Paris-Sorbonne IV).

الدكتور محمد حسين الحاج: دكتوراه في الشريعة الإسلامية، مديرعام الاستثماروزارة الأوقاف والإرشاد اليمنية. من مؤلفاته: -توظيف أموال الأوقاف في الفقه الإسلامي دراسة فقهية مقارنة بالقانون اليمني، وأحكام العصيان في الفقه الإسلامي دراسة فقهية مقارنة بالقانون اليمني، والحوكمة ودورها في تطوير أداء المؤسسات الوقفية (حوكمة قطاع الأوقاف في اليمن أنموذجاً) .

الدكتورة سعدية بن دنية: أستاذة التعليم العالي، في الفلسفة اليونانية والإسلامية والأخلاق، بكلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، لها العديد من المقالات المنشورة، منها: الحداثة وما بعد الحداثة والقيم السياسية الأخلاقية الإسلامية، مجلة الكلمة، العدد٧٣، ٢٠١١، والأمة الإسلامية ومفهوم صدام الحضارات، مجلة الكلمة، العدد٦٤، ٢٠٠٩.

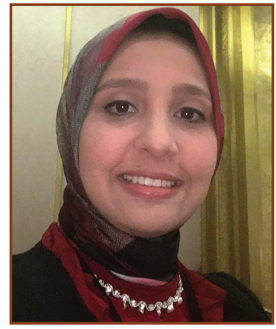

الدكتورة جميلة تِلوت: حاصلة على الدكتوراه من جامعة سيدي محمد بن عبد الله سايس-فاس، أستاذة مساعدة، ورئيسة تحرير سلسلة مغارب الصادرة عن مركز مغارب للدراسات في الاجتماع الإنساني بالرباط، ومهتمة بقضايا الاجتماع الديني والإنساني. من كتبي: الأسرة في التصور القرآني، نظرية دوران الأحكام الشرعية، مرتبة العفو، فقه التنزيل، مقاصد الأسرة في القرآن من الإنسان إلى العمران، معجم المصطلحات المقاصدية (عمل جماعي) إضافة إلى العشرات من المقالات البحثية في قضايا التراث والمرأة والأسرة والقيم.

الدكتور محمد عبد السميع: كبير باحثين، مكتبة الإسكندرية، دكتوراه في اللغة والأدب الإسباني، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، مُدرِّس اللغة الإسبانية والترجمة بقسم اللغة الإسبانية، كلية اللغات والترجمة، جامعة فاروس، تَرجَم عددا من الكُتُب والمقالات التراثية والأدبية من الإسبانية والفرنسية إلى العربية والعكس، كما نَشَرَعدد من الأبحاث في الدراسات التراثية والأدبية بالعربية والإسبانية والفرنسية.